المدخل إلى علم الدعوة

دراسة منهجية شاملة
لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها
في ضوء النقل والعقل

تأليف
محمد أبو الفتح البيانوني
[illegible]
بالمدينة المنورة

مؤسسة الرسالة

المدخل
إلى علم الدعوة

طبعة مزيدة مصححة ومنقحة

الطبعة الثالثة

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف : ٦٠٣٢٤٣ - ٨١٥١١٢ - ص.ب : ٧٤٦٠ - برقياً : بيوشران

المدخل إلى علم الدعوة

دراسة منهجية شاملة
لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها
في ضوء النقل والعقل

تأليف
محمد أبو الفتح البيانوني
الأستاذ المشارك في المعهد العالي للدعوة الإسلامية
بالمدينة المنورة

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه المبين : ﴿ وَمَنْ أحسنُ قَوْلاً ممن دعا إلى الله ، وعَمِل صالحاً ، وقال إنني من المسلمين ﴾ (١) .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الدعاة ، وخاتم النبيين ، الذي أرسله الله داعياً إلى الله بإذنه ، فقال في حقه : ﴿ ياأيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهِداً ومُبشِّراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسِراجاً مُنيراً ﴾ (٢) .

ورضي الله عن الصحابة والتابعين ، الذين دعوا بدعوته ، واهتدوا بهديه ، وعَمَّن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ...

وبعد :

فقد اشتدت الحاجة اليوم إلى كتابة المداخل العلمية لمختلف العلوم الضرورية الهامة ، تعريفاً للناس بها ، وتقريباً لموضوعاتها ومضامينها من الدارسين لها . وكلما كان العلم أبعدَ عن حياة الناس ، وأكثر تنوعاً في موضوعاته ، وأحدثَ نشأةً وتاريخاً من غيره ، كانت الحاجة إلى كتابة مَدْخَل إليه أكثر وأكبر ...

---

(١) الآية / ٣٣ / من سورة فصلت .

(٢) الآية / ٤٥ ـ ٤٦ / من سورة الأحزاب .

ولما كان علم الدعوة من أحدث العلوم الشرعية نشأةً ، وأخطر العلوم الإسلامية موضوعاً ، كان لابد من كتابة مدخل إليه يقربه من الدارسين له ، ويعرف به من يجهله .

فليست الدعوة الإسلامية حركةً تِلْقائية عَفْوِيّة ، ولا مُجَرَّدَ وعظٍ للناس ، وتذكيرٍ بفضائل الإسلام وآدابه فحسب ـ كما فهمها كثير من المسلمين ، ومارسها كثير من الدعاة في العصور المتأخرة ـ وإنما هي كما كانت في نشأتها الأولى حركةٌ علمية وعملية ، تتميز في مبادئها وأهدافها ومصادرها ، وترتكز على أسس وقواعد علمية مدروسة ، وتنضبط بضوابط شرعية محددة ، فيختار لها أقوم المناهج ، وأحكم الأساليب ، وأفضل الوسائل ... إذ هي عمل صفوة الخلق سيدنا محمد ﷺ ، وعمل من سبقه من رسل كرام عليهم الصلاة والسلام ، وعمل من تبعه على هدى وبصيرة ...

قال تعالى :

﴿ رُسُلاً مبشرين ومُنْذِرين لئلا يكونَ للناس على الله حجةٌ بَعْدَ الرُّسُل ، وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (١) .

وقال سبحانه :

﴿ قُلْ هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ، أنا ومَن اتبَّعني ... ﴾ (٢) .

---

(١) الآية / ١٦٥ / من سورة النساء .

(٢) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

وقد أتى على الناس حينٌ من الدهر ، فهموا فيه الدعوة إلى الله مجرَّدَ وعظٍ وتذكير ، أو عبادة وذِكْر ، أو عِلْم وتعليم ، أو حركة وجهاد ... وما إلى ذلك ، فَقَصَروا معناها العظيم الشامل على موضوعٍ من موضوعاتها أو جانب من جوانبها ، أو مظهر من مظاهرها ، ناسين أنها تشمل الخير كله ، فضعف في الناس أثرها ، وتَقَلَّص في الحياة خيرها ، وشابَ كثيراً من مفاهيمها الشوائب . مما جعل المهمة صعبةً على الدعاة المصلحين ، والعلماء المجددين ، ليصححوا للناس مفهومها ، ويعودوا بها إلى وضعها الصحيح ، ويعيدوا بناء الأمة على أساسها ، فكانت تعترضهم في حركتهم الدعوية العقبات الداخلية من المسلمين أنفسهم ، خاصتهم وعامتهم ، قبل أن تعترضهم المشكلات الخارجية من أعداء الأمة المتربصين بها ، مما بَطَّأ حركة الإصلاح ، وأخرَّ عملية النهوض ...

ولقد تنبهت بعض المؤسسات التعليمية إلى أهمية علم الدعوة ودراسته ، فَفَتَحتْ بعض الجامعات الإسلامية أقساماً لعلم الدعوة ، وخصص له بعضها كليات مستقلة ...

ويوم افتَتَحَتْ جامعةُ الإمام محمد بن سعود الإسلامية مشكورة المعهد العالي للدعوة الإسلامية في الرياض[1] عام ١٣٩٦ هـ الموافق ١٩٧٦ م ، هَمَمْتُ بالانتقال إليه من كلية الشريعة التي كنت أعمل فيها شعوراً مني بأهمية العمل الدعوي ، والدراسات الدعوية ، ولكن عزمي على الاستقالة في العام التالي لافتتاحه ، والعودة إلى بلدي صرفني عن ذلك الانتقال ...

---

(١) أصبح اسم المعهد حالياً « كلية الدعوة والإعلام » .

ثم كتب الله لي أن أعمل في المعهد العالي للدعوة الإسلامية [1] في المدينة المنورة الذي افتتح كفرعٍ لذلك المعهد عام ١٣٩٨ هـ الموافق ١٩٧٨ م ، ثم استقلَّ عنه ، فقضيت فيه أكثر من عشر سنوات ومازلت ، ساهمتُ فيه بوضع المناهج الدعوية المتنوعة للمرحلة العليا والمرحلة الجامعية ، مع زملاء أفاضل ، وعلماء دعاة جاءوا من أكثر من بلد ، وحملوا معهم أكثر من تجربة مفيدة في ذلك . فزادت قناعتي بأهمية العمل في هذا المجال العلمي ، وحاجته إلى دعم وتعميق ...

وكان من فضل الله علي في تلك السنوات ، أن أعيش أجواءً دعوية علمية ، تزامن حركتي الدعوية العملية ، مما جعلني أستشعر أكثر وأكثر بأهمية دراسة هذا العلم ، وحاجة الدعاة إليه ، تأصيلاً لقواعده من جهة ، وتقويماً لمناهج الدعوة القائمة وأساليبها ووسائلها ، وتسديداً لمفاهيمها وأعمالها من جهة أخرى .

فكنت كلما وقفتُ على قاعدة دعوية ، أو بَدَا لي مفهوم من مفاهيم الدعوة ، ذاكرتُ به من حولي دعاة وأساتذة ، وتدارسته مع طلابي في المرحلة العليا ، ودرسته لطلابي في المرحلة الجامعية كمذكراتٍ دراسية أولية في هذا العلم ، مع توضيح ذلك لهم ، والتأكيد على أن ما أمليه عليهم أو أدرسه لهم ، إنما هو في معظمه اجتهادات شخصية ، ودراسات أولية في سبيل تأصيل علم الدعوة ، وبلورة مصطلحاته ، وكثيراً ما أفدتُ من سؤال طالب ومراجعته ، ومن مناقشة زميل ومجادلته في مسألة من مسائل هذا العلم ، وماكنت أضيق ذرعاً ـ والحمد لله ـ بأي نقاش أو نقد في المجالس العلمية في المعهد ، أو في المناقشات العلمية للأبحاث والرسائل التي كنت أشرف عليها أو أناقشها ، وذلك رغبةً في

(١) أصبح اسم المعهد حالياً « كلية الدعوة »

الوصول إلى الحق من جهة ، واستزادة من الوضوح في مسائل هذا العلم الناشئ من جهة أخرى .

وبعد مرور سنوات علي ، وأنا على هذه الحالة ، بدأتُ أشعر بضرورة كتابة شيء في هذا العلم ، وإمكانية مساهمتي بشيء فيه ، ورافق ذلك إلحاح بعض الأحبة والدعاة والزملاء علي في ذلك .

فكنت أفكر يوماً بكتابة شيء عن مناهج الدعوة وأساليبها ، ويوماً بكتابة شيء عن وسائل الدعوة وأصولها ... نظراً لتوفر المادة الأولية فيها عن طريق المسودات الجاهزة لدي ، التي احتفظت بها كمذكرات طلابية خاصة .

ولما تعددت لدي المذكرات الدراسية ، ومارست عملياً تدريس معظم المواد الدعوية في المعهد ، ولأكثر من فصل دراسي ، واستقرت عندي بعض المعلومات والنتائج ، رأيت أن أعدل عن الكتابة في مادة من هذه المواد الدراسية ، إلى كتابة مدخل عام يتناولها جميعاً ، ويضع المعالم الأساسية لكل مادة منها ، ويلخص الأفكار والنتائج التي توصلت إليها ، لتكون جميعُها في كتاب واحد ، وإطار منسجم يلخص الفوائد ، ويمنع التكرار والتداخل في الموضوعات ، ويوسع دائرة الانتفاع بها ، ويفتح الباب للكتابة مستقبلاً في كل مادة من مواد هذا العلم كتابة مستقلة تزيدها وضوحاً وتفصيلاً ... وذلك مبادرةً مني للعمر الذي شارف على الانتهاء ، وكسباً للهمة الضعيفة المتبقية من جهة ، واغتناماً للفرص العارضة في زحمة الأعمال والواجبات المتنوعة من جهة أخرى .

ولاسيما أني لم أقف على كتاب عام شامل يسد هذه الثغرة ، أو بحث مستوف لهذه الجوانب المتعددة في علم الدعوة ، وكل ما وقفت

عليه في ذلك من جهود علمية ـ على الرغم من فائدتها ونفعها ـ لاتعدو صنفين أساسيين من الكتابات :

أ ـ صنف يعالج قضيةً أو أكثر من قضايا الدعوة ، فلا يُغَطّي الحاجة المطلوبة ، ولعل أوسع ما وقفت عليه في ذلك كتاب « أصول الدعوة » للدكتور عبد الكريم زيدان ـ جزاه الله خيراً ـ الذي أراه أشبه مايكون بمدخل عام للدعوة .

ب ـ وصنف يأخذ الطابع الأدبي والوعظي ، ويبتعد عن الأسلوب العلمي ، مما قد يفيد العامة ، ولايغني الخاصة ، مع ملاحظة التفاوت والتباين في المصطلحات ، والاضطراب والتنوع في التقسيمات ، التي تُعدُّ طابعاً عاماً لما وقفت عليه ، وذلك لجدة العلم وعدم استقرار مصطلحاته بين الدعاة من جهة ، ولأن مُعْظم ما كتب من كتب دعوية ، لم يكتب للدارسين والمتخصصين في الدعوة من جهة أخرى .

ولا أريد بما قلته أن أنقص من قدر ما كُتبَ ، ومَنْ كتب ، فجزى الله الجميع خير الجزاء ، ولكنه بيان لطبيعة نشأة العلوم وتطورها ، فما من علم إلا وقد مر في مرحلة نشوئه بمثل هذه التطورات ، وأُخِذَ على ماكتب فيه قبل استقراره مثل هذه الملاحظات .

وإن عشرات السنين التي تمر في حياة العلوم ، وتُسهم في استقرارها على مختلف أنواعها ، ليست كثيرةً إذا ماقيست بعمر العلم كله ، وأثره في حياة الناس .

فأسأل الله عز وجل أن يجعلني من الذين ساهموا في بناء صرح هذا العلم العظيم (علم الدعوة) ، وأن يُسددني في جميع ماأكتب فيه وفي غيره ، وأن يجزي خيراً جميع من سبقوا إلى الكتابة فيه ، والذين

يكتبون وسيكتبون في تكميل بنائه ، وتسديد أخطاء من سبقهم ، فإن المهمة كبرى ، والزمن كفيل بعون الله وفضله باستكمال النواقص ، واستدراك الأخطاء .

وسأبذل ــ إن شاء الله ــ جهدي في تأصيل كل مسألة أكتب فيها ، فأستدل عليها بالأدلة الشرعية ، والقواعد العلمية ، كما ألتزم بإحالة جميع ما أنقله إلى مصادره ، سواء أكان نصاً شرعياً ، أم حكماً اجتهادياً ، أم تجربةً دعوية ... مستعيناً بالله ، وسائلاً إياه التوفيق والسداد ، وأن يتقبل هذا الجهد ، ويجعله خالصاً له ، وينفع به ، وأن يجعله ذخراً لي يوم ألقاه ...

والحمد لله رب العالمين

كتبها :

محمد أبو الفتح البيانوني

(المدينة المنورة)

* * *

قائمة بموضوعات الكتاب

يشتمل كتاب المدخل إلى علم الدعوة على مايلي :

١ ـ المقدمـــــة .

٢ ـ التمهيـــد : ويتناول :

أ ـ تعريف علم الدعوة ، وبيان نشأته ، وصلته بالعلوم الشرعية الأخرى .

ب ـ بيان حكم الدعوة ، وموضوع علم الدعوة .

جـ ـ تحديد مصطلحات علم الدعوة .

٣ ـ الفصل الأول : تاريخ الدعوة وتطورها .

ويشتمل على مقدمة وأربعة مباحث ، هي :

أ ـ الدعوة قبل الإسلام .

ب ـ الدعوة في زمن الرسول ﷺ وزمن خلفائه الراشدين .

جـ ـ الدعوة في زمن الأمويين ، والعباسيين ، والعثمانيين .

د ـ الدعوة في العصر الحديث .

٤ ـ الفصل الثاني : أصول الدعوة .

ويشتمل على مقدمة ومبحثين ، هما :

أ ـ أدلة الدعوة ومصادرها .

ب ـ أركان الدعوة : الداعي ـ المدعو ـ موضوع الدعوة .

٥ ـ الفصل الثالث : مناهج الدعوة .

ويشتمل على ثلاثة مباحث ، هي :

أ ـ التعريف بالمناهج الدعوية ، وبيان أنواعها وأهدافها .

ب ـ التعريف بالمناهج الثلاثة : العاطفي ، والعقلي ، والحسي ، وبيان أساليبها ، ومواطن استعمالاتها ، وخصائصها .

٦ ـ الفصل الرابع : أساليب الدعوة .

ويشتمل على مقدمة ، وخمسة مباحث ، هي :

أ ـ أسلوب الحكمة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

ب ـ أسلوب الموعظة الحسنة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

د ـ أسلوب المجادلة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

د ـ أسلوب القدوة الحسنة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

هـ ـ الخصائص العامة للأساليب الدعوية .

٧ ـ الفصل الخامس : وسائل الدعوة .

ويشتمل على مقدمة ، وأربعة مباحث ، هي :

أ ـ ضوابط مشروعية الوسائل الدعوية .

ب ـ نماذج من الوسائل المعنوية .

جـ ـ نماذج من الوسائل المادية .

د ـ الخصائص العامة للوسائل الدعوية .

٨ ـ الفصل السادس : مشكلات الدعوة وعقباتها .

ويشتمل على مقدمة ، وأربعة مباحث ، هي :

أ ـ المشكلات الداخلية (الذاتية) .

ب ـ معالم عامة في طريق معالجة المشكلات الداخلية .

جـ ـ المشكلات الخارجية .

ب ـ معالم عامة في طريق معالجة المشكلات الخارجية .

٩ ـ الخاتمــــــة .

١٠ ـ الفهارس العامة .

* * *

التمهيد

ويشتمل على مايلي :

١ ـ تعريف علم الدعوة ، وبيان نشأته ، وصلته بالعلوم الشرعية الأخرى .

٢ ـ بيان حكم الدعوة ، وموضوع علم الدعوة .

٣ ـ تحديد مصطلحات علم الدعوة .

١ ـ تعريف علم الدعوة ، وبيان نشأته ، وصلته بالعلوم الشرعية الأخرى :

اختلفت تعريفاتُ علم الدعوة ، وتعددت لدى الكاتبين والباحثين ، تبعاً لاختلافهم في تحديد معنى الدعوة من جهة ، وتفاوت نظرتهم إليها من جهة أخرى ، فلم أقف حتى الآن على تعريف سابق دقيقٍ شامل لحقيقة هذا العلم .

فهناك من نظر إلى الدعوة على أنها تبليغٌ وبيانٌ لما جاء به الإسلام فحسب ، وهناك من نظر إليها على أنها علم وتعليم ، وجردها عن الجانب التطبيقي والتنفيذي ... إلى غير ذلك من نظرات .

وهناك من عرفها تعريفاً عاماً يمزج بين مفهوم الدين ومفهوم الدعوة إليه ، كما فعل الأستاذ الشيخ محمد الراوي في كتابه « الدعوة الإسلامية دعوة عالمية » فقال : « هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات »[1] .

وهناك من قصر التعريف على بعض جوانبها ، كما فعل الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه « الدعوة إلى الإصلاح » فعرفها بأنها : « حَثُّ الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل »[2] . واعتمد هذا التعريف الشيخ علي محفوظ في كتابه « هداية المرشدين »[3] . وكما فعل ذلك الدكتور

---

(١) انظر ص ١٢ .

(٢) انظر ص ١٧ .

(٣) انظر ص ١٤ .

أحمد غَلْوش في كتابه « الدعوة الإسلامية » فقال عنها :

« العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام مما حوى عقيدة وشريعة وأخلاقاً ... »[1] .

وهناك من أدخل في تعريف الدعوة أهدافها وغاياتها كما فعل الأستاذ محمد الغزالي في كتابه « مع الله » فقال عنها : « برنامجٌ كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ، ليبصِّروا الغايةَ من محياهم ، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين »[2] .

وكما فعل الشيخ آدم عبد الله الألوري في كتابه « تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم » فقال عنها :

« صَرْفُ أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم ، أو مصلحة تنفعهم ، وهي أيضاً : نُدْبَةٌ لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها ، أو من معصية كادت تحدق بهم »[3] . وقد اختار هذا التعريف واستحسنه الأستاذ : محمد خير رمضان في كتابه « الدعوة الإسلامية »[4] .

كما خلا كتاب الأستاذ الدكتور عبد الكريم زيدان « أصول الدعوة » من تعريف علمي للدعوة ، وشمل كتابه هذا الحديثَ عن الإسلام والدعوة إليه ...

كل هذا دعاني إلى أن أنظر في تعريف الدعوة نظرة جديدة مستقلة ، أتبع فيها مسالك العلماء السابقين في تعريفاتهم للعلوم ،

---

(١) انظر ص ١٠ .

(٢) انظر ص ١٧ .

(٣) انظر ص ١٧ .

(٤) انظر ص ١٢ .

وأتجنب في ذلك الأسلوب الأدبي والخطابي ، فأقول :

لابد للوصول إلى تعريف دقيق شامل لعلم الدعوة ، من الوقوف على تعريف كلٍ من المضاف والمضاف إليه في هذا الاسم ،

فالعلمُ في اللغة : « إدراك الشيء بحقيقته » (١) أو هو « أدراك الشيء على ما هو به » (٢) ويُطلق العلمُ في الاصطلاح على « مجموع مسائلَ وأصولٍ كليةٍ تجمعها جهة واحدة ، كعلم الكلام ، وعلم النحو ، وعلم الأرض ، وعلم الكونيات ، وعلم الآثار ، وجمعها علوم ... » (٣) .

والدعوةُ في اللغة : « الطلب ، يُقال : دعا بالشيء : طلب إحضاره ، ودعا إلى الشيء : حَثَّه على قَصْده ، يُقال : دعاه إلى القتال ، ودعاه إلى الصلاة ، ودعاه إلى الدين ، وإلى المذهب : حَثَّهُ على اعتقاده وساقه إليه » (٤) .

ويمكننا استخلاص المعنى الاصطلاحي للدعوة من معناها اللغوي السابق وهو « الطلب والحثُّ على الشيء ، والسَّوْق إليه ... » فيتضمَّن معنى الدعوة إلى الإسلام طلبَ الناس وسوقَهم إليه ، وحثهم على الأخذ به ،

ولكي يشمل تعريفُ الدعوة الإسلامية مراحل الدعوة الثلاث : التبليغية ، والتكوينية ، والتنفيذية من جهة ، ولكي يحتوي على عناصر عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عامة وعمل نبينا محمد ﷺ خاصة

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (علم) (٢/ ٦٣٠) .

(٢) انظر « التعريفات » للجرجاني ص : ١٥٥ .

(٣) انظر « المعجم الوسيط » مادة (علم) (٢/ ٦٣٠) .

(٤) انظر « المعجم الوسيط » مادة (دعا) (١/ ٢٨٦) .

من جهة أخرى ... أرى أن تُعرَّفَ الدعوة الإسلامية اصطلاحاً بأنها :

« تبليغُ الإسلام للناس ، وتعليمُه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة »

فقد بين الله عز وجل عمل رسوله ﷺ ، الداعية الأول للإسلام ، وفصَّله بما يشمل هذه العناصر الثلاثة في أكثر من موضع في كتابه ، فقال سبحانه وتعالى :

﴿ هو الذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ رسولاً منهم ، يَتْلو عليهم آياته ، ويُزَكِّيهم ، ويُعلِّمُهم الكتابَ والحكمة ، وإنْ كانوا من قَبْلُ لفي ضَلال مبين ﴾ (١) .

فقد شمل قوله سبحانه ﴿ يتلو عليهم آياته ﴾ البيان والتبليغ وهو العنصر الأول من عناصر الدعوة ، كما شمل قوله ﴿ ويزكيهم ويعلمهم الكتاب ﴾ التربية والتعليم ، أو ما يُعبِّر عنه عادة في المصطلح الدعوي « التكوين » ، كما شمل قوله : ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ التطبيق والتنفيذ ، لأن الكتاب هنا القرآن الكريم ، والحكمة هنا : السنة النبوية ـ كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء (٢) ، والسنَّةُ في حقيقتها (الطريقة) أي : طريقة تطبيق هذا القرآن ، فقد أوضحت السنة للمسلمين طريقة تطبيق القرآن على مستوى الأفراد والجماعات ...

ولا أنسى أن أشير هنا : إلى أن هذا التعريف الذي توصلت إليه

---

(١) الآية /٢/ من سورة الجمعة ، وانظر الآية /١٦٤/ من سورة آل عمران ، والآية / ١٢٩ ـ ١٥١ / من سورة البقرة .

(٢) انظر على سبيل المثال « الرسالة » للإمام الشافعي ص ٣٢ وما حولها ، وتفسير هذه الآية في أمهات التفاسير .

في تعريف « علم الدعوة » قاربَه بعضُ الكاتبين والباحثين في هذا العلم ، وإن لم تخل تعريفاتهم ـ في نظري ـ من شيء من التعميم والغموض الذي لايصلح في التعريفات .

فقد سبق أن عرف الدعوة الأستاذ بهي الخولي بقوله : « نقل الأمة من محيط إلى محيط »[1] وعرفها الدكتور رؤوف شلبي بقوله : « الحركة الإسلامية في جانبيها النظري والتطبيقي »[2] .

كما لا أنسى أن أشير أيضاً إلى أن الدعوة تُطلق أحياناً على الإسلام نفسه المَدْعو إليه ، ولعلَّ منه قوله تعالى :

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ ... ﴾[3] فقد ذكر الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لهذه الآية أن فيها قولين : « أحدهما : أنها كلمة التوحيد وهي : لا إله إلا الله ، قاله عليٌّ وابن عباس والجمهور ، فالمعنى : له من خَلْقِه الدعوةُ الحق ، فأضيفت الدعوة إلى الحق لاختلاف اللفظين والثاني : أن الله عز وجل هو الحق ، فمن دعاه دَعا الحق ، قاله الحسن »[4] .

إلا أن لفظ الدعوة إذا أُطلق ينصرف عرفاً إلى المعنى الأول الذي عرفناها به وهو « الدعوة إلى الإسلام » وهو المعنى الذي تواردت عليه معظم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

---

(١) انظر « تذكرة الدعاة » ص ٣٨ .

(٢) انظر « الدعوة الإسلامية في عهدها المكي » ص ٣٨ .

(٣) الآية / ١٤ / من سورة الرعد .

(٤) انظر « زاد المسير في علم التفسير » (٣١٧/٤) ط المكتب الإسلامي ، وتفسير ابن كثير (٥٠٧/٢) ط دار المعرفة .

وبما سبق بيانه ، يمكننا تعريف عِلْمِ الدعوة بعد أن أصبح عَلَماً على علمٍ معين ، بأنه :

« مجموعةُ القواعد والأصول التي يُتَوَصَّل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه » .

وفي ختام الحديث عن تعريف علم الدعوة أود أن أناقش شبهة من قَصَر معنى الدعوة على التبليغ والبيان فحسب ، ونظر إلى التعليم والتطبيق نظرته إلى أمور خارجة عن الدعوة ، مستشهداً لذلك بمثل قوله تعالى :

﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ﴾ [1] وقوله ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [2]، وفاهماً أن هذه الآيات وأمثالها تحصر عمل الرسل الكرام والدعاة في جانب التبليغ فقط .

وللإجابة عن هذه الشبهة أقول :

إن هذه الآيات القرآنية وأمثالها وردت في سياق إعراض الناس عن الدعوة ، فحيث يُعرضُ المدعوون عن الدعوة لايُكلّفُ الرسل الدعاة إلا بالبيان والتبليغ فقط ، أما الهداية فإنما هي على الله سبحانه وتعالى ، ولايملكها إلا هو .

أما حين يستجيب المدعوون للدعوة ، ويقبل الناس على الإسلام ، فعلى الداعية تعليمُهم دينهم ، والسعيُ لتطبيق هذا الدين في حياتهم ، كما كان يفعل النبي ﷺ مع من استجاب له في مكة المكرمة ، حيث كان

---

(١) الآية / ٩٩ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ٥٤ / من سورة النور ، و/ ١٨ / من سورة العنكبوت .

يجتمع بهم في دار الأرقم ابن أبي الأرقم ليعلمهم دينهم ويزكيهم [1] ، وكما كان يفعل إذا أسلم شخص عنده ، فيقول لأصحابه : « فَقّهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن ... »[2] .

ولو أمعنا النظر في الآيات نفسها التي استدل بها المشتبه ، لرأينا معظمها يصرح بهذه الحقيقة ، ويعلق حصر عمل الرسول بالبلاغ بإعراض الناس وتولّيهم ، كما جاء في قوله تعالى :

﴿ وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ﴾ [3] وقوله : ﴿ فإن تَولَّيتم فاعلموا أنَّما على رسولنا البلاغُ المبين ﴾ [4] وقوله : ﴿ فإنْ أعرضوا فما أرسلناكَ عليهم حفيظاً ، إنْ عليك إلا البلاغ ﴾ [5] .

وبهذا تجتمع دلالة هذه الآيات القرآنية مع دلالة الآيات الأخرى التي نصت على أعمال أخرى للرسول الكريم من تلاوة لآيات الله ، وتزكية وتعليم للكتاب والحكمة ، كما تنسجم مع الواقع العملي لدعوة الرسول ﷺ في حياته ، وواقع دعوة صحابته وأتباعه من بعده .

ولقد أسهبت في دفع هذه الشبهة ، وحرصت على توضيح عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والدعاة من بعدهم ، نظراً لما ترتب على مثلها من مواقف خاطئة ونظرات قاصرة لعمل الدعوة في العصر الحاضر . فقد قَصَر بعض إخواننا الدعاة عملهم على جانب حتى عُرِفوا به ظانين

---

(١) راجع « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٢٥٣) في الحاشية .

(٢) راجع « البداية والنهاية » (٣/٣١٣) و « حياة الصحابة » (١/١٩٣) .

(٣) الآية / ٢٠ / من سورة آل عمران .

(٤) الآية / ٩٢ / من سورة المائدة .

(٥) الآية / ٤٨ / من سورة الشورى .

أنه عمل الأنبياء فحسب ، بل نظر بعضهم إلى غيرهم من الدعاة الذين يُعنون بالعلم والتعليم ، أو بالتطبيق والتنفيذ ، نظرة استخفاف ونقد ، كما نظر بعض المعتنين بالعلم والتعليم ، أو التنفيذ والتطبيق لأولئك المبلغين نظرة استخفاف أيضاً ، فوجهوا لهم النقد الشديد في توجههم ودعوتهم ، دون أن يفهم بعضهم بعضاً ، ويقدر بعضهم قدر بعض ، مما زاد المسلمين بعداً وفرقة ،

ولو علم هؤلاء وهؤلاء أنه يَسَعُ الداعية أن يعمل في الميدان الذي يختاره ، والعمل الذي يناسبه من أعمال الدعوة مراعياً في ذلك إمكاناته واستعداداته من جهة ، أو مقدماً أولوية على غيرها في نظره من جهة أخرى ، على أن لايقصر مفهوم الدعوة الإسلامية على عمله واختياره ، أو ينظر إلى من خالفه في ذلك نظرة ابتداع أو خروج عن عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فالميدان الدعوي واسع ، وجوانب العمل متعددة ، والمسؤولية أكبر من أن تقوم بها جماعة من الجماعات ، والثغرة أوسع من أن يَسُدَّها عملٌ من الأعمال .

فلو علم الطرفان هذه الحقيقة ، وفهموها فهماً متوازناً ، لشكر بعضُهم جُهدَ بعض ، ونظر كل طرف إلى العاملين الآخرين في أي مجال دعوي نظرته إلى أعوانه وشركائه .

وأختم حديثي عن هذه المسألة بمقولة كريمة ، وحكمة عظيمة سمعتها شخصياً من الداعية المشهور الأستاذ أبو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ وذلك قبل وفاته بسنوات في مكة المكرمة ، حيث زرتُه في فندق « شبرا » في مكة المكرمة ، وسألته في جلسة خاصة عن رأيه في « جماعة التبليغ » التي نشأت في الهند ، وانتشرت في كثير من بقاع الأرض ،

والتي سمعتُ من بعض أفرادها نقداً لعمل الأستاذ المودودي ، وأنه ترك الدعوة ، وعمل في السياسة والحكم ، فقال لي بلسان عربي بطيء كلماتٍ قليلةً تصلح درساً لجميع الدعاة ، وأنموذجاً صالحاً لنظرة كل عامل وداعية إلى غيره ، قال :

« إنهم يَسدُّون عنا ثغرةً لانستطيع سدَّها ، ولانَنْتَقِدُهم ، ومنهم من يَنْتَقِدُنا » .

ولانستطيع أن نصل إلى مثل هذا التوازن في النظرة إلى الآخرين ، إلا إذا فهمنا الدعوة الإسلامية فهماً واسعاً شاملاً لجميع أعمال الرسول ﷺ ، ولعل تعريفنا الذي توصلنا إليه في تعريف الدعوة يُساعد على ذلك التصور الشامل ، والمفهوم الصحيح ، والله المستعان .

هذا عن تعريف علم الدعوة .

أما نشأة علم الدعوة :

فقد بدأت الدعوة الإسلامية أول مابدأت علماً وعملاً ، إذ قام رسول الله ﷺ بين الناس داعياً إلى الله ، يتلو عليهم آياته ، ويُعَلِّمُ من استجاب منهم لدعوته الكتابَ والحكمة ويُزكيهم ...

وتحمَّلَ رسول الله ﷺ في سبيل ذلك ماتحمل ، وصبر وصابر حتى أظهر الله دينه ، وأعلى كلمته ، وحَقَّق للمؤمنين وعده :

﴿ هو الذي أرسلَ رسولَه بالهُدى ودينِ الحقِ ، ليُظْهِرَه على الدين كُلِّه ، ولو كَرِهَ المشركون ﴾ (١) .

---

(١) الآية / ٣٣ / من سورة التوبة .

فتَبعَه على ذلك صحابته الأكرمون ، وخلفاؤه الراشدون ، فكانوا هادين مهديِّين ، تابعوا المسيرة ، وحَملوا الأمانة ... وجاء مِنْ بَعْدِهم التابعون لهم بإحسان ، فاقتفوا آثارهم وقاموا بوظيفتهم حق القيام ...

ثم تبعهم في ذلك أجيال وأجيال ، نشروا هذا الإسلام ، وبلغوا فيه كل مَبْلغ ، وتضافرت على حمل هذه الرسالة في تلك العصور جميعُ الجهود الفردية والجماعية ، حيث كان الفرد المسلم يرى في الدعوة إلى الله حياتَه ومناط سعادته في الدنيا والآخرة ، فلا يصرفه عنها صارف ، ولا يثنيه عن القيام بواجبها عقبة من العقبات ، فيبذل في سبيل دعوته كل شيء .

كما كانت الدولة المسلمة ترى الدعوة إلى الله أولى وظائفها وأهم واجباتها ، بل ترى الدعوة سِرَّ وجودها وقيامها ، فكانت للدعوة تُخطِّط ، ولصالحها تتحرك داخلياً وخارجياً ، تحفظ الأحكام ، وتطبق النظام ، وتقيم الحدود ، وترسل الدعاة ، وتستقبل الوفود ، وتسد الثغور ، وتُنْفِذ الجيوش ، وتُعد العُدة ...

كل هذا جعل المجتمع الإسلامي بكل وحداته ومؤسساته مجتمعاً دعوياً يعمل لصالح هذه الدعوة ، ويحقق ما وَصَفَهُ الله به بقوله :

﴿ الذين إن مَكَّناهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونَهَوا عن المنكر ، ولله عاقبةُ الأمور ﴾(١) .

---

(١) الآية / ٤١ / من سورة الحج .

ومجتمعٌ كهذا المجتمع ، لم يكن في حاجة ليبرز فيه علم خاص يُعرف بعلم الدعوة ، أو توجَدَ فيه مؤسسات دعوية ، وأخرى غير دعوية !

حتى خلف في المسلمين خَلْف ، أضاعوا كثيراً من تلك الخصائص وغفلوا عن كثير من هذه الواجبات ، فكانت هناك مجتمعاتٌ كَثُر فيها القاعدون ، وقَلَّ فيها الدعاة العاملون ... كما نَمت فيها مفاهيم مغلوطة فصلت العلم عن العمل ، وأضاعت بركته ، وأفرزت عناصر تهتم بالعلم على حساب العمل ، وأخرى تعمل على جهل ، وذلك على مختلف المستويات الفردية والجماعية ، فتتابعت بذلك على المسلمين المصائب ، وفقدت الدعوةُ كثيراً من حيويتها وحركتها ، إلى أن طُعِنت الدعوة الإسلامية في أعلى مؤسساتها ، وأقوى دعائمها بسقوط الخلافة الإسلامية ، فكانت قاصمة الظهر .

ثم استيقظ بعض المسلمين من غفلتهم ، وعرفوا عِظَم مصيبتهم ، واجتهدوا في النهوض بدعوتهم ، فكانت هناك محاولات فردية وجماعية ، وتعددت في سبيل ذلك الاجتهادات العلمية والعملية ، وانبثقت الحاجة الجديدة إلى وجود عِلْم يعرف بعلم الدعوة ، يعتمد على فهم الكتاب والسنة ، ويقوم على سَنَن النبوة الطاهرة ، والخلافة الراشدة ، ويستنير بالتجربة الطويلة الرائدة لرحلة الدعوة على مدى العصور والأزمان ، ويعود بالمسلمين إلى وظيفتهم التي أخرجوا بها للناس ، قال تعالى :

﴿ كنتم خيرَ أمةٍ أُخْرِجَت للناس ، تَأمُرون بالمعروف ، وتَنْهون عن المنكر ، وتُؤمنون بالله ... ﴾ (١) .

---

(١) الآية / ١١٠ / من سورة آل عمران .

فكتبَ حول الدعوة الكاتبون والدعاة ماكتبوا ، وقدموا لخدمة هذا العلم ماقدموا ، حتى قامت باسم الدعوة منظماتٌ ومؤسسات ، وعُرِفَ بها أفراد وجماعات ، وأصبحنا في عصر صارت فيه الدعوة عِلْماً من العلوم المتعددة ، له مؤسساته التعليمية ، ومناهجه الدراسية ...

وبرزت الحاجة إلى هذا العلم مُلِحَّةً ، نظراً لما يكتنف العمل الدعوي الحالي من غموض في بعض مفاهيمه ، وخَلَلٍ واضطراب في بعض أصوله وقواعده ، ومعاناة كبيرة من قصور مناهجه ، وخطأ أساليبه ، وضعف وسائله ...

ولايزال هذا العلم الناشئ ـ كما أشرت في المقدمة ـ بحاجة ماسة إلى تأصيل موضوعاته ، وتحديد مصطلحاته ، وتصحيح تطبيقاته ، وما إلى ذلك ، شأنه في ذلك شأن أي علم جديد ناشئ .

ولعل هذا المدخل يُساهم في تحقيق هذه الأهداف ، ويسد حاجة من هذه الحاجات .

هذا عن نشأة علم الدعوة ،

أما عن علاقته وصلته بالعلوم الشرعية الأخرى :

فلا شك في أن العلوم الشرعية قد تعددت وتنوعت بحسب موضوعاتها ، فكل علم من هذه العلوم يبحث في جانب من جوانب علوم الإسلام الكامل الشامل .

وإن الناظر في طبيعة ونشأة العلوم الإسلامية المتعددة يجدها ترجع إلى أحد أمور ثلاثة جاء بها هذا الإسلام ، وهي : المِلّة ، والشريعة ، والمنهج ، التي يجمعها اصطلاح (دين) أو (إسلام) .

فقد تعبَّد الله عز وجل عباده بهذه الأمور جميعاً ، وبَيَّن أن الملة واحدة ، والشرائع والمناهج متعددة ، فقال سبحانه مبيناً وحدَة الملة :

﴿ ثم أوحينا إليك أن اتَّبِعْ مَلَّةَ إبراهيم حينفاً، وما كان من المشركين ﴾ (١) .

وقال أيضاً :

﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ، ديناً قِيَماً مِلَّة إبراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين * قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لاشريك له ، وبذلك أُمِرت ، وأنا أول المسلمين ﴾ (٢) .

وقال أيضاً :

﴿ إني تركتُ مِلَّة قوم لا يؤمنون بالله ، وهم بالآخرة هم كافرون * واتبعت مِلَّة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ، ماكان لنا أَنْ نُشْرك بالله من شيء ، ذلك من فَضْل الله علينا وعلى الناس ، ولكنَّ أكثر الناس لايشكرون ﴾ (٣) .

كما قال الله تعالى مبيناً تعدُّدَ الشرائع والمناهج :

﴿ إنا أنزلنا التوراةَ فيها هُدَى ونورٌ، يَحكمُ بها النبيون الذين أَسْلموا للذين هادوا ، والربّانيون والأحبارُ بما استُحْفِظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ... إلى أن قال :

---

(١) الآية / ١٢٣ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ١٦١ ـ ١٦٣ / من سورة الأنعام .

(٣) الآية / ٣٧ ـ ٣٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

وقفّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ، مصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونورٌ، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظةً للمتقين .. إلى أن قال :

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يديه من الكتاب ، ومُهيمناً عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تَتَّبِع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكلٍ جَعَلْنا منكم شِرْعةً ومِنْهاجاً ، ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدة ، ولكن لِيَبْلوكم فيما آتاكم ، فاستَبِقوا الخيرات ، إلى الله مَرجِعُكم جميعاً ، فَيُنَبِّئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ (١) .

وسيأتي معنا قريباً في هذا التمهيد بيان معنى كلٍ من الملة والشريعة والمنهج تفصيلاً عند الكلام عن مصطلحات علم الدعوة ــ إن شاء الله ــ

ويكفي هنا أن نعلم بأن دراسة (الملة) أصبحت من اختصاص أقسام العقيدة في الجامعات الإسلامية اليوم ، كما أن دراسة (الشريعة) أصبحت من اختصاص أقسام الكتاب والسنة ، وأقسام الفقه والأصول ، وأصبحت دراسة (المنهج) من اختصاص أقسام الدعوة .

وإن هذه الدراسات جميعها تمثل دراسة الدين الواحد الذي يشمل كلاً من الملة والشريعة والمنهج .

لهذا ، كان أي فَصْلٍ كامل بين هذه الدراسات ، أو العناية بواحدة منها على حساب الأخرى ، يُعدُّ فصلاً بين أجزاء مترابطة ، لايصح الدين ولا يَكمُل ولا يَسْلَمُ إلا بها جيمعاً .

---

(١) الآية / ٤٤ ــ ٤٨ / من سورة المائدة .

فالداعية إلى الله يدعو إلى كلٍ من الملة والشريعة والمنهج ، والدارس للملة والشريعة لابد له من معرفة المنهج والطريق الصحيح لذلك ، فكل اختصاص من هذه الاختصاصات مفتقر إلى غيره ، وإذا كان ثَمَّةَ من فارق ، فإنما هو في نوعية التخصص من جهة ، ومدى عناية أصحاب كل تخصص بتعميق وتأصيل بعض المواد العلمية المتعلقة بتخصصهم أكثر من بعض المواد الأخرى من جهة أخرى .

فإذا كانت أقسام العقيدة تُعنى أول ماتُعنى بدراسة العقيدة التي تتناول أصول الملة وفروعها ، ودراسة الملل والنحل الأخرى ، فإنه لاغنى لدارس العقيدة عن دراسة الأحكام الشرعية ومعرفتها ، وعن بصيرةٍ بالمنهج والأسلوب الذي يدرس به هذه العقيدة ويدعو به إليها ، لتسلَمَ له عقيدتُه ، ويَعلمَ كيف يدعو إليها ويعلمها ويطبقها في حياته ... وإلا كانت دراسته نظريةً مجردة .

وإذا كانت أقسام القرآن والسنة ، وأقسام الأصول والفقه ، تُعنى أول ماتعنى بدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف ، وبدراسة أصول الفقه وأحكام الفقه ، فإنه لاغنى لدارس هذه العلوم من معرفة صحيحة بالملة والعقيدة التي تُعدُّ أساساً لها ، ومن بصيرة بالمنهج والأسلوب الذي يدرس به هذه الشريعة ، ويدعو به إليها ويعلمها للناس ويعمل على تطبيقها في حياتهم ، وإلا كانت عباداته جافة ، وأضحت دراسته للكتاب والسنة نظرية مجردة .

وإذا كانت أقسام الدعوة تُعنى أول ماتعنى بدراسة تاريخ الدعوة وأصولها ، والتعرف على مناهجها وأساليبها ووسائلها وما إلى ذلك ... فإنه لاغنى لدارس الدعوة من معرفة صحيحة بالملة والعقيدة ، وإلمام

واف بالأحكام الشرعية العملية ، لتسلم له عقيدته وشريعتُه من جهة ، ويكونَ على بصيرة بما يدعو إليه من جهة أخرى . وإلا كانت دعوته إلى ضلال ، وعمله في غير هدى ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هذه سَبيلي أدْعو إلى الله على بَصِيرة ، أنا ومَن اتبّعني ﴾ [1] .

ومن هنا يتبيَّنُ لنا : أن اختلاف الأقسام العلمية في ترتيب أولياتها ، وفي تقديم مادة علمية على غيرها ، إنما يعود إلى واقع تخصصها وطبيعة ميدانها فحسب ، ولاصلة له بتفضيل علم على علم أو ترجيح تخصص على غيره ، بل لابد لكل قسم من هذه الأقسام أن يُقَدِّم للدارسين فيه الحد الأدنى الكافي من العلوم الأخرى ، وإن لم تكن من تخصصه في الأصل ...

ويمكنني أن أضرب مثلاً حسياً يبرز لنا صِلَةَ هذه الاختصاصات العلمية بعضها ببعض ، ويكشف لنا عن مدى الترابط بينها :

فإن مثل الملة والشريعة والمنهج ، مثلُ الماء الصافي الذي ينبع من مكان معين ، ثم يمشي في جداول وسواقي يروي الأرض ، وينبت الزرع ، ويستقي منه الناس ...

فأصل النبع ومكانه يمثل (الملَّة الواحدة الثابتة) ، والماءُ المتدفق الجاري الذي يروي الأرض وينبت الزرع ويستقي منه الناس ، يمثل (الشريعة الكاملة المستمرة ...) والجداولُ والسواقي المنتشرة هنا وهناك ، التي يجري الماء في إطارها ، ويتمكن الناس بسببها من الاستفادة من الماء

---

(١) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

على وجه متكامل صحيح ، تمثل المنهج الواضح .

فإن أي ضَعْفٍ أو ضمور في النبع ومصدر الماء ، يؤثر تأثيراً كبيراً في كمية الماء الذي يصدر عنه ، فيضعُفُ سَيْرُه في الجداول والسواقي ، وتقلُّ فائدته ، وقد تُصاب مناطق كثيرة بسبب ذلك بالجفاف والجدب ...

كما أن أي رافدٍ غريب قَدْ يَرْفد هذا النبع ، يعكر من صَفْو الماء ، ويخرجه عن طبيعته الأولى ...

وأي خَلَلٍ في الجداول والسواقي التي تشكل طريق هذا الماء ، قد يُبعثر انتشاره ، ويقلل من الاستفادة منه ، كما قد يضر انتشاره حيث لايراد انتشاره فيه ، أو يتأخر وصوله إلى المكان الذي ينتظره بسبب ذلك ، وهكذا ...

فإنه بقدر حرصنا ومحافظتنا على سلامة المنبع وبقائه ، وسلامة الجداول والسواقي وكثرتها ، يمكننا أن نحافظ على صفاء وقوة تدفّقه ، وعظم آثاره وفوائده ، وبقدر إهمالنا لذلك المنبع ، أو غفلتنا عن تلك الجداول نُعاني من تكدُّر الماء وتغير طبيعته ، وقلة تدفّقه وضعف أثره .

* * *

٢ ـ بيان حكم الدعوة ، وموضوع علم الدعوة :

أ ـ بيان حكم الدعوة :

اتفق العلماء على وجوب الدعوة ، واختلفوا في نوعية الوجوب ، هل هو على التعيين ، أم على الكفاية ؟ وتوسع كل طرف في الاستدلال على قوله بالنصوص الشرعية والأدلة العقلية ، مما قد يُشْعِرُ المطّلع على هذا الخلاف والاستدلال بالبعد بين القولين ، والأثر الكبير لهما في جانب العمل . والذي رأيته بعد متابعة القولين وأدلتهما أن الخلاف بينهما أشبه بالخلاف النظري ، وتَضيقُ المسافةُ بينهما في الجانب العملي .

وقبل أن أقرر هذه النتيجة ، لابد من إلمامة مجملة بأصل الخلاف في المسألة مع الاستدلال عليها . فأقول :

استدل العلماء القائلون بالوجوب العيني بأدلة منها :

١ ـ بأن لفظة « من » في قوله تعالى ﴿ ولتكن مِنْكم أمةٌ يدعون إلى الخير، ويَأْمُرون بالمعروف ويَنْهونَ عن المنكر، وأولئك هم المفلحون ﴾ [(١)] . هي : للبيان والتبيين ، وليست للتبعيض وذلك بقرينة الأدلة الأخرى التالية ، فتفيد هذه الآية عندهم توجيه الخطاب بالدعوة إلى جميع المكلفين ، فتكون الدعوة واجبة على كل فرد مسلم بقدر استطاعته [(٢)] .

---

(١) الآية / ١٠٤ / من سورة آل عمران .

(٢) راجع هذا المعنى في كل من تفسير ابن كثير (٢/١٩٥ ـ ١٩٦) وتفسير الرازي (٧/١٧٧ ـ ١٧٨) وتفسير القرطبي (٤/١٦٥) وغيرها .

٢ ـ بعموم قوله تعالى : ﴿ كنتم خَيرَ أمة أُخْرِجَتْ للناس ، تَأمرون بالمعروف وتَنْهون عن المنكر، وتؤمنون بالله ﴾ [١] . فجعلت الآية الدعوة سمةً عامة من سمات الأمة المسلمة ، فتكون واجبة عليها جميعاً .

٣ ـ وبقوله ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليُغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » [٢] . وإن « مَنْ » من ألفاظ العموم فيعم الحكم .

٤ ـ وبعموم قوله ﷺ : « ليُبْلِغ الشاهدُ الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يُبلغ من هو أوْعى له منه » [٣] .

واستدل العلماء القائلون بالوجوب الكفائي بأدلة ، منها :

١ ـ بأن لفظة « من » في قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة ... الآية ﴾ هي للتبعيض ، وذلك بقرينة الأدلة التالية [٤] .

٢ ـ وبقوله سبحانه : ﴿ وما كان المؤمنون لِيَنْفروا كافةً ، فلولا نَفَرَ مِنْ كل فِرْقة منهم طائفةٌ لِيتفقّهوا في الدين ، وليُنذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، لَعلّهم يَحْذَرون ﴾ [٥] .

---

(١) الآية / ١١٠ / من سورة آل عمران .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، انظر صحيح مسلم رقم (٤٥) كما أخرجه أصحاب السنن : انظر سنن الترمذي (٢١٧٣) وأبي داود (١١٤٠) والنسائي (١١١/٨) وابن ماجة (٤٠١٣) .

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه ، انظر رقم (٦٧) وفتح الباري (١٥٨/١) .

(٤) راجع هذا المعنى أيضاً في معظم التفاسير التي أشرت إليها سابقاً في الكلام عن القول الأول .

(٥) الآية / ١٢٢ / من سورة التوبة .

٣ ـ ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل يحتاج إلى علم وبصيرة بالشروط والأحوال ، وهذا لايتوفر في جميع المسلمين ، فيكون الواجب على من توفر فيه الشرط ، فإذا قام بواجب الدعوة من توفرت فيهم الشروط سقط الإثم عن الباقين . إلى غير ذلك من أدلة .

وقد اختلف العلماء أيضاً في ترجيح أحد القولين على الآخر ، فمنهم من رجح القول الأول ، ومنهم من رجح القول الثاني ، ولا أرى حاجة للدخول في هذه الترجيحات مادام الخلاف في نظري خفيفاً ليس له من أثر عملي كبير ... وذلك لما يلي :

١ ـ لاتفاق الطرفين على أصل الوجوب .

٢ ـ ولأن الذين قالوا بالوجوب الكفائي ، يتفقون مع الآخرين بأنه إذا لم تحصل الكفاية لم يسقط الحكم عن الباقين ، ويبقى الخطاب متوجهاً إلى الجميع حتى تتحقق الكفاية ، وإذا لم تتحقق الكفاية أثم الجميع .

٣ ـ ولأن الذين قالوا بالوجوب العيني ، قيدوا الوجوب بالاستطاعة ، فمن لم يكن عالماً بحكم المنكر لايُعدُّ مستطيعاً بالاتفاق ، وكذلك من كان عاجزاً عن تغيير المنكر سقط عنه الوجوب ، فلا يترتب على القول بالوجوب العيني حرج على أحد .

٤ ـ ولأنه لوسقط الوجوب بقيام من تتحقق بهم الكفاية ، بقي حكم الندب ، فيندب جميع المسلمين إلى القيام بالدعوة استدلالاً بقوله تعالى : ﴿ ومَنْ أحْسَنُ قولاً ممن دَعا إلى الله وعَمِلَ صالحا ،

وقال إنني من المسلمين ﴾ [1] . وبغير ذلك من نصوص شرعية ترغب في الدعوة وترتب على فعلها الثواب العظيم .

هذا كله من جهة ، ومن جهة أخرى : إن تَصَوُّرَ تحقّق الكفاية في جانب الدعوة أمرٌ شبه مستحيل ، لأن للدعوة الإسلامية مجالين أساسيين :

أ ـ دعوة غير المسلمين للإسلام .

ب ـ دعوة المسلمين أنفسهم إلى الإسلام ، على مختلف درجاتهم فيه ـ كما سيأتي في أصناف المدعوّين ـ .

وكلا المجالين مُتجدِّد ، وتستمر الحاجة إلى الدعوة فيه ، ولايمكن أن تتصور الكفاية فيهما إلا على نطاق نادر ومحدود .

ومن هنا كانت النصيحة مطلوبةً من جميع المسلمين ، بل كان الدينُ النصيحة ، كما صرح بذلك قوله ﷺ : « الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » [2] ، وكان التواصي بالحق والتواصي بالصبر شرطين أساسيين من شروط النجاة في الحياة كما صرح بذلك القرآن الكريم في سورة العصر .

ب ـ بيان موضوع علم الدعوة :

لابد لبيان موضوع علم الدعوة من بيانٍ لموضوع الدعوة نفسها ، وذلك دفعاً للالتباس والتداخل ،

---

(١) الآية / ٣٣ / من سورة فصلت .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه ، انظر صحيح مسلم رقم (٥٥) ، كما أخرجه الترمذي في سننه (١٩٢٧) وأبو داود (٤٩٤٤) والنسائي (١٥٦/٧) .

فإذا نظرنا في تعريف الدعوة الذي اخترناه سابقاً هو « تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة » بانَ لنا أن موضوع الدعوة هو (الإسلام) الذي يعمل الداعية على تبليغه وتعليمه وتطبيقه .

وإذا نظرنا في تعريف علم الدعوة الذي عرفناه به سابقاً وهو : « مجموعةُ القواعد والأصول التي يُتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه وتطبيقه » . بانَ لنا بأن موضوعه يشمل جميع المسائل العلمية والقواعد والأصول التي يتوصل بها الداعية إلى القيام بدعوته حق القيام . وهي جميع ما يدرسه طالب علم الدعوة من موضوعات علمية ، أو مواد دراسية ليحصل ذلك العلم . ويمكننا تفصيل هذه الموضوعات والمواد الدراسية في عدة أمور :

١ ـ تاريخ الدعوة : وهو موضوع يتناول دراسة نشأة الدعوة وتطورها من زمنه ﷺ إلى يومنا هذا ، أو من زمن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا ـ على اختلاف اصطلاحي في تحديد الزمن ـ .

٢ ـ أصول الدعوة : وهو موضوع يتناول بيان أدلة الدعوة ومصادرها ودراسة أركانها بما يشمل : الداعي والمدعو وموضوع الدعوة .

٣ ـ مناهج الدعوة : وهو موضوع يتناول خطط الدعوة ونظمها المرسومة لها .

٤ ـ أساليب الدعوة : وهو موضوع يتناول بيان كيفية تطبيق مناهج الدعوة .

٥ ـ وسائل الدعوة : وهو موضوع يتناول دراسة مايستخدمه الدعاة ومايحتاجون إليه في سبيل دعوتهم .

٦ ـ مشكلات الدعوة وعقباتها : وهو موضوع يقف بالداعية على المشكلات والعقبات التي تعترض طريق الدعوة ، وسبل معالجتها ، سواء أكانت عقبات داخلية أم خارجية .

ولما كانت المداخل العلمية تشمل موضوعات العلوم الأساسية ، كان كتابنا هذا (المدخل إلى علم الدعوة) شاملاً لجميع هذه الموضوعات على وجه إجمالي ينسجم مع طبيعة المداخل العلمية .

وأود هنا أن أشير إلى أنَّ هناك من يُدخل موضوع « سِيَر الدعاة وتراجمهم » في موضوعات علم الدعوة ، نظراً لحاجة الدعاة إلى التعرف عليها والإفادة منها .

إلا أنني أرى إخراجه عن موضوع علم الدعوة ـ مع التسليم بأهمية وضرورة دراسة الدعاة له ـ وذلك لأن سير الدعاة بوجه عام تشمل : سيرته ﷺ وسيرة الأنبياء من قبله عليهم الصلاة والسلام ، كما تشمل سيرة صحابته الكرام وتابعيهم ، والتابعين لهم بإحسان إلى يومنا هذا ...

وقد أصبحت السيرة عِلْماً مستقلاً له مؤلفاته الخاصة به ، كما أصبح علم الرجال والتراجم علماً خاصاً أيضاً له كتبه ومصنفاته ، فيمكن للدعاة أن يأخذوا سير الدعاة من كتب السيرة والتراجم ، كما يأخذون علوم القرآن وعلوم الحديث من مصنفاتهما وكتبهما .

وليس من الضروري إدخال كل شيء يحتاج إليه الدعاة في علم الدعوة ، فالحاجات كثيرة ، والمتطلبات متنوعة ، والترابط بين العلوم

الشرعية أمر قائم ـ كما بينت سابقاً ـ .

وبهذا يصبح موضوع علم الدعوة محصوراً في الموضوعات الستة التي ذكرتها ، والتي سنتناول الحديث عنها في هذا المدخل بعد هذا التمهيد إن شاء الله .

* * *

٣ ـ تحديد مصطلحات علم الدعوة :

إن لكل علم مصطلحاته الخاصة به ، كما أن هناك مصطلحات عامة مشتركة بين العلوم ، وكثيراً ماتتداخل المصطلحات العامة مع المصطلحات الخاصة ، فلا يُدقِّق المستعملون لها في تحديدها ، إلى أن يأتي وقت تستقر فيه تلك المصطلحات ، وتصبح أعرافاً ثابتة ، عامة كانت أو خاصة .

ومن هنا جاء التداخل والغموض في بعض مصطلحات علم الدعوة عند كثير من الكاتبين فيه ، فمنهم من يستعمل مصطلح « مناهج الدعوة » ويريد بها أصولها وأهدافها ، كما فعل الأستاذ : محمد سرور زين العابدين في كتابه « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله » فقد قال في مقدمة كتابه :

« في اختيار عنوان الكتاب : [منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله] قَصدْتُ الأصول والأهداف الواحدة التي كانت تجمع بين أنبياء الله جميعاً ، وهذا الذي يعنيه كثير من الكتاب في عصرنا ، وكما يقولون : لا مشاحَّة في الاصطلاحات ، لاسيما إذا كانت لا تتعارض مع تفسير قوله تعالى ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ أي أن أصل الدين واحد والشرائع مختلفة »[1] ا . هـ .

ومنهم من يستعمل مصطلح الطرق والأساليب الدعوية بما يشمل الوسائل ، كما فعل الأستاذ الدكتور : أحمد بن محمد العدناني في

---

(١) انظر (١/٣٦) .

كتابه « طرق الدعوة الإسلامية » فعرض فيه الأساليب الدعوية ممزوجة بالوسائل .

ومنهم من استعمل مصطلح (الدعوة) وأراد به (الإسلام) نفسه ، كما فعل الأستاذ محمد أمين حسن في كتابه « خصائص الدعوة الإسلامية » فبعد أن تحدث بإسهاب عن المعنى الأول للدعوة وعرفها بأنها « تبليغ الناس جميعاً دعوة الإسلام ، وهدايتهم إليه قولاً وعملاً في كل زمان ومكان ، بأساليب ووسائل خاصة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم »[1] . وذكر المعنى الثاني للدعوة بأنه « الدين » قال :

« والدعوة بهذا المعنى ـ أي الثاني ـ موضوع هذه الرسالة » فذكر خصائص الرسالة الإسلامية وتحدث عن عدد منها »[2] .

إلى غير ذلك من تداخلات تورث نوعاً من الاضطراب والغموض في مصطلحات العلم ، وكثيراً ما شعرتُ بأهمية تحديد مصطلحات علم الدعوة ودفع هذه التداخلات خلال مناقشة المناهج والخطط الدراسية لقسم الدعوة في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، حيث كانت تدرو مناقشات كثيرة من وراء هذا اللبس والغموض !

لذا رأيت من الضروري تخصيص مبحث في هذا التمهيد لتحديد مصطلحات علم الدعوة ، عسى أن تنال من الدارسين لهذا العلم حقها من المناقشة والتمحيص ، لتأخذ هذه المصطلحات طريقها إلى الاستقرار .

---

(١) انظر ص : ١٧ .

(٢) انظر ص : ٢١ .

ولعل من أهم وأبرز هذه المصطلحات مايلي :
الدعوة ـ الداعي ـ المدعو ـ المِلَّة ـ الشريعة ـ المنهج ـ أصول الدعوة ـ مناهج الدعوة ـ أساليب الدعوة ـ وسائل الدعوة ـ

١ ـ مصطلح الدّعوة :

سبق في تعريفنا للدعوة عند الكلام عن تعريف علم الدعوة ، أن الدعوة تطلق بمعنيين اثنين : أحدهما على الإسلام نفسه ، والآخر عن الدعوة لهذا الإسلام ، وبينا أن المعنى الثاني هو المراد في مصطلح علم الدعوة ، واخترت في تعريفها أنها :

« تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة »

فلا داعي للإطالة في توضيح هذه المصطلح مرة أخرى .

٢ ـ مصطلح الداعي :

وهو القائم بالدعوة ، واسم فاعل من دعا يدعو ، وتأتي الهاء في آخره للمبالغة ، فيقال عمن عُرِف بالدعوة « داعية »[١] . هذا في اللغة ،

أما في الاصطلاح : فيمكننا استنتاج المعنى الاصطلاحي له من المعنى المختار للدعوة الذي سبق بيانه ، فنقول : الداعي هو :

« المُبلِّغُ للإسلام ، والمُعلِّمُ له ، والساعي إلى تطبيقه » . فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها ، أو بعمل من أعمالها ، إلا أن الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو الداعية الكامل .

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (دعا) .

فقد قال الله عز وجل عن رسوله ﷺ :

﴿ ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيراً ﴾ (١) .

وجاء في القرآن الكريم :

﴿ ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به ... ﴾ (٢) .

كما يمكن تعريف الداعي بأنه « المسلم » مطلقاً ، لأن الدعوة وظيفة كل مسلم ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هذه سَبِيلي أَدْعُو إلى الله على بَصِيرَة ، أنا ومن اتبَّعني ﴾ (٣) .

ولكن التعريف الأول يبقى أولى ، وذلك لوضوحه من جهة ، ولأن المسلم قد يُقصِّر في وظيفته فلا يقوم بالدعوة ، ولايكون داعية من جهة أخرى .

وسيأتي معنا تفصيل المسائل المتعلقة بالداعي في البحث عن أركان الدعوة إن شاء الله .

٣ ـ مصطلح المدعوّ :

المدعوّ : اسم مفعول من دعاه يدعوه ، فهو : مَدْعوّ .

أما معناه الاصطلاحي : فهو « من تُوَجَّه إليه الدعوة » ويمكن أن

(١) الآيات / ٤٥ ـ ٤٦ / من سورة الأحزاب .

(٢) الآية / ٣١ / من سورة الأحقاف .

(٣) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

يعرف أيضاً بأنه : « الإنسان » مطلقاً ، قريباً كان أو بعيداً ، مسلماً أو غير مسلم ، ذكراً أو أنثى ... إلى غير ذلك من أوصاف .

ويدل لهذا قوله تعالى :

﴿ وما أرسلناك إلا كافةً للناس ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ (٢).

وما أكثر النداءات القرآنية التي تبدأ بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ﴾ !

وسيأتي معنا تفصيل المسائل المتعلقة بالمدعو في بحث أركان الدعوة إن شاء الله .

٤ ـ مصطلح المِلّة :

الملة تطلق في اللغة ويراد بها « الشريعة والدين ، وفي الحديث : لايتوارث أهل مِلّتين ، والمِلّةُ : الدين ، كملة الإسلام ، والنصرانية ، واليهودية ، وقيل : هي : مُعظم الدين ، وجملةُ ما يجيء به الرسل »(٣) .

ويفهم من هذا أن كلمة (ملة) تكون مرادفة لكلمة دين أو شريعة ، كما تكون دالة على معظم الدين والشريعة ، قال تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْحَينا إليك أن اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين ﴾ (٤) .

---

(١) الآية / ٢٨ / من سورة سبأ .

(٢) الآية / ١٥٨ / من سورة الأعراف .

(٣) انظر لسان العرب مادة (مَلَل) (٦٣١/١١) . و « النهاية » لابن الأثير (٣٦٠/٤) .

(٤) الآية / ١٢٣ / من سورة النحل .

وقال تعالى :

﴿ ومَنْ يَرْغَبُ عن مِلَّةِ إبراهيم إلا من سَفِهَ نَفْسَــه ﴾ [1] .

أما في الاصطلاح : فقد أطلقت الملّة على « أصل الدين ، أو على جانب العقائد فيه » وعلى هذا القول بأن ملة الأنبياء واحدة ، وملة الكفر واحدة ، كما سُمِّيت كتبٌ بكتب « الملل والنحل » .

فإذا أطلقت « الملّة » بمقابل الشريعة والمنهج ، انصرفت إلى « جانب العقائد من الدين » ، وإذا أطلقت وحدها شملت الدين كله .

٥ ـ مصطلح الشريعة :

الشريعة في اللغة ، والشِرْعةُ : « ماسَنَّ » الله من الدين ، وأمر به ، كالصوم والصلاة ، والحج والزكاة ، وسائر أعمال البر ، مشتقٌ من : شاطئ البحر ، عن كُراع [2] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر ﴾ [3]. وقوله تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شِرْعةً ومنهاجاً ﴾ [4] . ، قيل في تفسيره :

« الشرعةُ : الدين ، والمنهاجُ : الطريق ، وقيل : الشرعة والمنهاج جميعاً : الطريق ، والطريقُ ههنا : الدين ، ولكن اللفظ إذا اختلف أتى

(١) الآية / ١٣٠ / من سورة البقرة .

(٢) هو « كُراعُ النمْل » علي بن الحسن الهنائي الأزدي ، أبو الحسن ، عالم بالعربية ، مصري ، لُقّب بكراع النمل لقصره أو لدمامته ، له كتب ... انظر الأعلام للزركلي (٤/٢٧٢) .

(٣) الآية / ١٨ / من سورة الجاثية .

(٤) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

به بألفاظ يؤكد بها القصة والأمر » . ذكر هذا صاحب « لسان العرب » وأضاف :

« وقال محمد بن يزيد : شِرْعةٌ ، معناها : ابتداء الطريق ، والمنهاج : الطريق المستقيم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : شِرْعةً ومنهاجاً : سبيلاً وسُنّة ، وقال قتادة : شرعةً ومنهاجاً : الدين الواحد ، والشريعة مختلفة ، وقال الفرّاء في قوله تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة ﴾ . على دين ومِلّة ومنهاج ، وكل ذلك يقال ... » (١) .

أما الشريعة في الاصطلاح : فهي : « مجموعة الأحكام الشرعية الصادرة عن الشارع » تُطلق ويُراد بها الأحكام العملية بمقابل الأحكام العقدية ، كما قد تُطلق ويُراد بها جميع الأحكام الشرعية عقديةً كانت أو عملية ، وذلك بحسب السياق .

٦ ـ مصطلح المنهاج :

المنهاج في اللغة (٢) : « الطريق الواضح ، واسَتنْهَجَ الطريقُ : صار نَهْجاً ، وفي حديث العباس : لم يمت رسول الله ﷺ حتى ترككم على طريقة ناهجة ، أي : واضحة بينة . والمنهاج كالمنهج ، وفي التنزيل : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ (٣) .

ومن هذا المعنى اللغوي استحدثت كلمة « منهاج » بمعنى : « الخطة

---

(١) انظر « لسان العرب » مادة (شرع) (١٧٦/٨) .

(٢) انظر « لسان العرب » مادة (نهج)(٣٨٣/٢)، و « القاموس المحيط »(٢١٨/١) .

(٣) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

المرسومة ، ومنها : منهاج الدراسة ، ومنهاج التعليم ونحوها ، والجمع مناهج »[1] .

ولايخفى التقارب بين كلمتي « منهاج وسنة » في المعنى ، فكلاهما في اللغة بمعنى الطريقة ، وإن زادت كلمة المنهج عليها باشتمالها على الوضوح .

ويمكن تعريف المنهج والمنهاج في الاصطلاح : بأنه « النظام والخطة المرسومة للشيء » .

ومن الطبيعي أن تكون المناهج والشرائع متعددة ، لأنها أحكام وأوامر ونواهي ، وخطط ونظم وطرق من جهة ، ولتعلقها بجانب العباد الذين تختلف أحوالهم وأوضاعهم زماناً ومكاناً من جهة أخرى ، خلافاً للملة ، فإنها لاتتعدد ، وذلك لتعلقها بجانب الله عز وجل الواحد الأحد .

٧ ـ مصطلح أصول الدعوة :

أَصْلُ الشيء في اللغة : أساسه الذي يقوم عليه ، ومنشؤه الذي ينبتُ منه ، وأصول العلوم : قواعدها التي تبنى عليها الأحكام[2] .

ومن هذه المعاني اللغوية لكلمة أصول ، يمكننا أن نعرف أصول الدعوة في الاصطلاح بما يشمل :

أ ـ أدلة الدعوة ومصادرها التي تستند إليها ،

ب ـ وأركانها التي تقوم عليها ، ولاتوجد إلا بها .

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (نهج) (٩٦٦/٢) .

(٢) انظر « المعجم الوسيط » مادة (أصل)(٢٠/١) .

فيصبح تعريف أصول الدعوة : « أدلتها ومصادرها ، وأركانها » وسيأتي تفصيل كل هذه الأمور في محله من الكتاب إن شاء الله تعالى .

٨ ـ مصطلح مناهج الدعوة :

المناهج : مفردها : منهجٌ ومنهاج ، وقد سبق معنا في المصطلح السادس بيان معنى المنهاج لغة ، وبينا أنه استحدثت كلمة منهاج بمعنى : (الخطة المرسومة) ، ومنها : منهاج الدراسة ، ومنهاج التعليم ...

ومن هذه التعريفات اللغوية الأصيلة والمستحدثة لكلمة منهاج ، يمكننا أن نعرف مناهج الدعوة في الاصطلاح بأنها :

« نُظُمُ الدعوة ، وخططها المرسومة لها » فيقال :

نظام العقيدة في الإسلام ، ونظام العبادة ، ونظام الاقتصاد ، ونظام السياسة ... وما إلى ذلك ...

كما يقال : نظام تبليغ الإسلام ، ونظام تعلميه ، ونظام تطبيقه ...

وسنتناول أنواع المناهج الدعوية ، والمسائل المتعلقة بها في محلها من هذا الكتاب إن شاء الله .

٩ ـ مصطلح أساليب الدعوة :

الأساليب : جمع أسلوب ، وهو في اللغة : الطريق ، ويقال : سلكت أسلوب فلان في كذا : طريقته ومذهبه ، وأسلوبُ الكاتب :

طريقته في كتابته [1] ، ويقال : أخذ فلان في أساليبَ في القول : أي أفانينَ منه [2] .

ومن هذا التعريف اللغوي لكلمة أسلوب ، يمكننا أن نعرف « أسلوب الدعوة » في الاصطلاح ، بأنه : « طريقة الداعي في دعوته » أو « كيفية تطبيق مناهج الدعوة »

فأساليب الدعوة : « الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته » أو « كيفيات تطبيق مناهج الدعوة » .

ولاشتراك كلٍ من المنهج والأسلوب في المعنى اللغوي وهو« الطريق » ، يبرز الترابط الوثيق بين المناهج والأساليب من جهة ، كما تبرز الدقة في التفريق بينهما من جهة أخرى .

فالمناهج الدعوية : هي النظم والخطط الدعوية ، والأساليب الدعوية ، هي : كيفيات وطرق تطبيق تلك النظم والخطط الدعوية ، ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة زيادة في التوضيح :

إذا كانت العبادة في الإسلام منهجاً ونظاماً ، فإن من أساليبها : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج وما إلى ذلك من أشكال تطبيق العبادة ...

وإذا كان الاقتصاد في الإسلام منهجاً ونظاماً ، فإن من أساليبه : جميع أشكال التعامل المالي في الإسلام ، من البيع والصرف ، والإجارة والرهن والشركة وما إلى ذلك من أشكال التطبيق ...

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » في مادة (سَلَب)(١/ ٤٤٣) .

(٢) انظر « لسان العرب » (١/ ٤٧٣) و « القاموس المحيط »(١/ ٨٦) .

وإذا كان السَمْعُ والطاعة في الإسلام منهجاً ونظاماً ، فإن من أساليب تطبيقه : القيادات الفردية أو الجماعية ، واختيار الإمام ، وتأمير الأمير في السفر وغيره ...

وإذا كانت الشورى في الإسلام منهجاً ونظاماً ، فإن من أساليب تطبيقها الاستشاراتُ الفردية والجماعية ، والشورى الملزمة ، والشورى المُعْلِمَةُ ، وما إلى ذلك من تطبيقات ...

وقد جاءت الآية القرآنية مشيرة إلى أنواع أساسية من الأساليب الدعوية ، وآمرة بالأخذ بها ، مثل قوله تعالى :

﴿ أُدْعُ إلى سبيل ربِّكَ بالحِكْمة والمَوْعظة الحسنة ، وجادِلْهم بالتي هي أحسن ﴾ (١) .

وقوله سبحانه :

﴿ فبِما رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لهم ، ولو كنتَ فَظاً غليظَ القلبِ لانفَضُّوا من حَوْلك ، فَاعْفُ عنهم ، واستغفِرْ لهم ، وشاوِرْهم في الأمر ، فإذا عَزَمْتَ فتوكَّلْ على الله ، إن الله يحب المتوكلين ﴾ (٢) .

١٠ ـ مصطلح وسائل الدعوة :

الوسائل في اللغة : مفردها وسيلة ، والوسيلة : الوُصلة ، والاتصال ،

---

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

وهي في الأصل : ما يُتوصل به إلى الشيء ويتقرَّبُ به ، يُقال : وَسَلَ إليه وسيلةً وتَوسَّلَ [1] ...

ومن هذا المعنى اللغوي لكلمة « وسائل » يمكننا تعريف وسائل الدعوة في الاصطلاح بأنها : « مايتوصل به إلى الدعوة » .

ولما كان مايتوصل به إلى الدعوة عاماً شاملاً لجميع مايحتاج إليه الدعاة من أصول الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها ، وكان لكلٍ من الأصول والمناهج والأساليب معنى اصطلاحي خاص ، قَصَرْنا المعنى الاصطلاحي للوسائل الدعوية على مايستخدمه الداعية للوصول إلى غايته ، سواء أكان اتصافاً بصفاتٍ معنوية ، أم كان استعمالاً لأدواتٍ مادية ، أم قياماً بأعمال تطبيقية ...

فأصبح تعريف وسائل الدعوة هو :

« مايتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية » .

وسيأتي تفصيل هذه الأمور في بحث الوسائل من هذا الكتاب إن شاء الله .

* * *

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (وسل) و (وصل) ، وانظر « النهاية في غريب الحديث » (١٥٨/٥) و « لسان العرب » (٧٢٤/١١ / ٧٢٥) و « القاموس المحيط » (٦٥/٤) .

الفصل الأول

تاريخ الدعوة وتطورها

ويشتمل على مقدمة ، وأربعة مباحث :

١ ـ الدعوة قبل الإسلام .

٢ ـ الدعوة في زمن الرسول ﷺ ، وزمن خلفائه الراشدين .

٣ ـ الدعوة في زمن الأمويين والعباسيين والعثمانيين .

٤ ـ الدعوة في العصر الحديث .

مقدمة بين يدي تاريخ الدعوة

قبل الحديث عن تاريخ الدعوة ، تَحسُن الإشارة إلى عدة أمور :

أ ـ لقد تعددت مناهج الباحثين في تاريخ الدعوة في تحديد بدء الدعوة ، فمنهم من يجعلها تبتدئ من بعثة محمد ﷺ ، وذلك ملاحظة للمعنى الخاص للدعوة الإسلامية .

ومنهم من يرجعها إلى بعثة الأنبياء والرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام ، وذلك ملاحظة للمعنى العام للدعوة الإسلامية ، إذ دعوة الرسل الكرام واحدة ، والرسل جميعاً قد جاءوا بالإسلام بمعناه العام .

ولايُعدُّ هذا خلافاً مادام يعود إلى اعتماد أحد المعنيين لهذا الإسلام : المعنى العام أو المعنى الخاص ، ولكن الذي أراه وأعتمده :

أنه حيث تطلق كلمة الدعوة إلى الله من غير قيد ، فإن تاريخها يشمل دعوة الرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام ، ويبدأ من أول رسالة أرسلت للناس .

وحيث تُقيدُ بالدعوة الإسلامية ، فإن تاريخها يبدأ من بعثة نبينا محمد ﷺ . عملاً بالعموم والخصوص .

ب ـ إنه إذا ما بدأت بعض كتب تاريخ الدعوة بدعوة « نوح » عليه السلام ، فلأنه أول رسول حدثنا عَنْ دعوته القرآن ، أما (آدم) عليه السلام فلم يرسل لأحد [1] ، وإنما أنزل إلى هذه الأرض لتبدأ قصة حياة

---

(١) انظر عَرْضاً مفيداً لما قيل في التفريق بين الرسل والأنبياء ، في كتاب « تاريخ الأنبياء » للأستاذ الدكتور : محمد الطيب النجار ص (١٣ ـ ١٦) .

الإنسان فيها واستخلافه في الأرض ـ كما أشارت إلى ذلك الآيات القرآنية ـ ولم نقف على أثرٍ عَمليٍّ لنبّوة آدم عليه السلام ، إلا فيما حدثنا عنه القرآن في قصة أولاده « هابيل وقابيل » حيث قرّبا القربان وجرى بينهما الحوار الذي ينبئ بإيمان أحدهما وصلاحه ، وبغفلة الآخر وخسرانه . قال تعالى :

﴿ واتْلُ عليهم نَبأَ ابنَيْ آدمَ بالحق ، إذ قَرّبا قُرباناً فَتُقُبِّلَ من أحدِهما ، ولم يُتَقبَّل من الآخر ، قال لأقْتُلَنَّك ، قال : إنما يتقبل الله من المُتَّقين ❁ لئن بَسَطْتَ إليَّ يدكَ لتقتُلَني ، ما أنا بباسطٍ يَديَ إليك لأقتلَك ، إني أخاف الله رب العالمين ... الآيات ﴾[1] .

جـ ـ عند الحديث عن تاريخ الدعوة ، ولاسيما في المدخل ، لايُراد عَرْضُ تاريخ الدعوة والدعاة تفصيلاً لما جرى من أحداث ، وبياناً لتراجم الدعاة وسيرتهم ، وإنما نقتصر الكلام في المدخل على الخطوط العريضة للحركة الدعوية على مدى العصور والأزمان ، تبييناً لزمن الدعوات ، وأشهر رجالاتها ، وأبرز ملامحها ، وأهم نتائجها ...

أما تفصيل الأحداث التاريخية ، وبيان سيرة الدعاة السابقين ، فتتكفل ببيانها مختلف كتب التاريخ الإسلامي ، وكتب السيرة النبوية ، وكتب التراجم والرجال ...

د ـ الكتب التي تعرضت لتاريخ الدعوة تفصيلاً كثيرة جداً في القديم والحديث ، يمكن لأي باحث في تاريخ الدعوة الرجوع إليها كمصْدَرٍ من مصادر البحث ،

---

(١) الآيات / ٢٧ ـ ٣١ / من سورة المائدة .

ولعل من أهم الكتب الحديثة في ذلك :

مقدمة العلوم والمناهج لأنور الجندي ، وحاضر العالم الإسلامي لشكيب أرسلان ، وحاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة للدكتور جميل عبد الله محمد المصري ، والإسلام الفاتح للدكتور حسين مؤنس ، وتاريخ الدعوة للدكتور جمعة الخولي ، وتاريخ الأنبياء للدكتور محمد الطيب النجار ، والدعوة الإسلامية في عهدها المدني للدكتور رؤوف شلبي ، والدعوة الإسلامية بين التنظيم الحكومي والتشريع الديني للدكتور عبد الغفار عزيز ، ودعوة الرسل لمحمد العدوي ، والمنهج الحركي للسيرة النبوية لمحمد منير الغضبان ...

هـ ـ ونظراً لأوجه التشابه والترابط في الحركة الدعوية وملامحها ونتائجها على مدى العصور والأزمان ، رأيت تقسيم تاريخ الدعوة في هذا المدخل إلى أربعة عهود ، هي :

١ ـ الدعوة قبل الإسلام .

٢ ـ الدعوة زمن رسول الله ﷺ ، وزمن خلفائه الراشدين .

٣ ـ الدعوة زمن الأمويين والعباسيين والعثمانيين .

٤ ـ الدعوة في العصر الحديث .

* * *

المبحث الأول

١ ـ الدعوة قبل الإسلام :

(وتبدأ من رسالة نوح عليه السلام ، وتنتهي برسالة عيسى عليه السلام)

ويبدأ تاريخها بدعوة نوح عليه السلام ، أول رسول حدثنا القرآن عن دعوته ورسالته ، فقال سبحانه :

﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال : ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرُه ، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ... الآيات ﴾ [١] .

كما تحدثت عن دعوته سورة كاملة من سور القرآن الكريم عرفت بسورة نوح ، عرضَت لنا جانباً من أسلوبه عليه السلام في الدعوة ، وتدرجه فيها ، وإسراره وإعلانه في دعوته ، وصبره على قومه زمناً طويلاً ، حيث كان أكثر المعمَّرين من الرسل والأنبياء الذين عرفناهم فعاش ألف سنة إلا خمسين عاماً .

قال تعالى :

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ، فَلَبِثَ فيهم ألفَ سنة إلا خَمسينَ عاماً ، فأخذَهُم الطوفانُ وهم ظالمون ﴾ [٢] .

فلما يئس منهم دعا ربه فقال :

---

(١) الآيات / ٥٩ ـ ٦٤ / من سورة الأعراف .

(٢) الآية / ١٤ / من سورة العنكبوت .

﴿ قال رب إن قومي كَذَّبون ، فافْتَحْ بيني وبَيْنهم فتحاً ، ونَجِّني ومَنْ مَعِيَ من المؤمنين ﴾ (١) .

فأمره الله بصنع السفينة ، ونجاه ومن معه ، وكانت عاقبة قومه الإغراق ... قال تعالى :

﴿ وأوحِيَ إلى نوح أنَّه لن يؤمنَ من قومك إلا مَنْ قد آمن ، فلا تَبتئِسْ بما كانوا يفعلون ، واصنع الفُلْكَ بأعْيُننا ووَحْينا ، ولاتُخاطِبْني في الذين ظَلَموا إنهم مُغْرقون ... الآيات ﴾ (٢) .

ثم يأتي « هود » عليه السلام ، فيقوم بدعوة قومه كما فعل نوح عليه السلام ، قال تعالى :

﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ، قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، أفلا تتقون ... ﴾ (٣) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى جانب من أسلوب دعوته ، وذكر بعضاً من أقواله لقومه ، فقال سبحانه :

﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه : إنا لَنَراكَ في سَفاهةٍ ، وإنا لَنظُنُّكَ من الكاذبين ، قال ياقومِ لَيْسَ بي سَفاهةٌ ، ولكنّي رسولٌ من رب العالمين ... الآيات ﴾ (٤) .

---

(١) الآيات / ١١٧ ـ ١١٨ / من سورة الشعراء .
(٢) الآيات / ٣٦ ـ ٤٨ / من سورة هود عليه السلام .
(٣) الآية / ٦٥ / من سورة الأعراف .
(٤) الآيات / ٦٦ ـ ٧٢ / من سورة الأعراف .

فما كان من قومه إلا الإعراض والتكذيب ، قال تعالى :

﴿ قالوا ياهودُ ماجِئْتَنا ببيِّنةٍ ، وما نَحْنُ بتاركي آلهتِنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين ، إِنْ نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ، قال : إني أُشهِدُ الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دُونِه ، فكيدوني جميعاً ثم لاتُنظِرون ... الآيات ﴾ (١) .

ولما اشتدت به الحال دعا ربه فقال : ﴿ قال رب انصرني بما كَذَّبون ﴾ (٢) فاستجاب الله له وقال : ﴿ قال عما قليل لَيُصْبِحُنَّ نادمين ﴾ (٣) ونفذ وعيد الله بهم ، قال تعالى :

﴿ وأما عادٌ، فأُهلِكوا بريح صَرْصَرٍ عاتية ، سَخَّرها عليهم سبعَ ليال وثمانيةَ أيام حُسوماً ، فَتَرى القوم فيها صَرْعى كأنهم أعجاز نَخْلٍ خاوية ، فهل تَرى لهم من باقية ﴾ (٤) .

ثم جاء « صالح » عليه السلام بدعوته إلى قومه ، قال تعالى :

﴿ وإلى ثَمودَ أخاهمُ صالحاً ، قال : ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرُه ، هو أنشأكم من الأرض واستَعْمَرَكُم فيها ، فاستغفروه ثم توبوا إليه ، إن ربي قريبٌ مجيب ﴾ (٥) .

فأعرضوا عن دعوته ، وجادلوه فيها بالباطل ، قال تعالى :

﴿قالوا ياصالحُ قد كنتَ فِينا مَرْجواً قبل هذا ، أَتَنْهانا

(١) الآيات / ٥٣ ـ ٥٨ / من سورة هود عليه السلام .

(٢) الآية / ٣٩ / من سورة المؤمنون .

(٣) الآية / ٤٠ / من سورة المؤمنون .

(٤) الآيات / ٦ ـ ٨ / من سورة الحاقة .

(٥) الآية / ٦١ / من سورة هود عليه السلام .

أن نعبد مايَعْبُدُ آباؤنا ،وإننا لفي شكٍ مما تدعونا إليه مريب ، الآيات ... ﴾ (1) .

حتى طالبوه بالمعجزة وهي إخراج الناقة من الصخر ، فأيده الله بها ، ولكن مازادهم ذلك إلا إعراضاً وتكذيباً ، وعقروا الناقة وعَتَوا عن أمر ربهم ... قال تعالى :

﴿ وياقومِ هذه ناقةُ الله لكم آيةً فَذَروها تأكلْ في أرْضِ الله ، ولاتَمسُّوها بسوء فَيأخُذَكُم عذابٌ قريب ، فَعَقَروها ، فقال : تَمتَّعوا في داركم ثلثة أيام ، ذلك وَعْدٌ غيرُ مَكْذوب ﴾ (2) .

ولم يكتفوا بذلك بل قالوا : ﴿ ائتنا بما تَعِدُنا إن كُنتَ من المرسَلين ﴾ (3) فجاءهم عذاب الله فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، قال تعالى :

﴿ فلمّا جاء أمْرُنا نَجَّينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ، ومن خِزْيِ يَوْمِئذ ، إن ربَّكَ هو القوي العزيز ، وأخَذَ الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، كأن لم يَغْنَوا فيها ، ألا إن ثمودَ كفروا ربهم ، ألا بُعداً لثمود ﴾ (4) .

ثم جاء « إبراهيم » عليه السلام قومه بمثل ماجاء به الرسل السابقون ، قال تعالى :

---

(1) الآيات / ٦٢ ـ ٦٣ / من سورة هود عليه السلام .
(2) الآيات / ٦٤ ـ ٦٥ / من سورة هود عليه السلام .
(3) الآية / ٧٧ / من سورة الأعراف .
(4) الآيات / ٦٦ ـ ٦٨ / من سورة هود عليه السلام .

﴿ واتْلُ عليهم نَبأَ إبراهيم إذ قال لأبيه وقَوْمه ماتَعبدون ... الآيات ﴾ [1] .

وعرض القرآن كثيراً من حواره مع أبيه وقومه ، وبين جانباً من أسلوب دعوته ، وكيده لأصنام قومه ، كما عرض تكذيب قومه له وإيذاءَهم له ، وتهديدهم له بالتحريق ، وفعلوا ، ولكن الله نجاه منهم ، قال تعالى :

﴿ ولقد آتينا إبراهيم رُشْدَهُ من قَبْلُ وكُنّا به عالِمين * إذْ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيلُ التي أنتم لها عاكفون ...الآيات ﴾ [2] .

ثم رحل إبراهيم عليه السلام من العراق إلى فلسطين مع زوجه « سارة » وابن أخيه « لوط » عليه السلام ، قال تعالى :

﴿ فآمَنَ له لوطٌ ، وقال إنّي مُهاجِرٌ إلى ربي ، إنه هو العزيز الحكيم ﴾ [3] .

ومَرَّ إبراهيم عليه السلام بابتلاءات عظيمة فما كان منه إلا الثبات والصدق ، وأمره الله ببناء الكعبة ، ولم تذكر الآيات القرآنية وفاة إبراهيم عليه السلام ، ولا عاقبة قومه ، وإنما ركزت على سيرته القدوة ، وابتلاءاته وصبره ، وإكرام الله له بنجاته واستجابة دعائه [4] ...

---

(1) انظر الآيات / ٦٩ ـ ٨٩ / من سورة الشعراء ، وانظر/ ٧٤ ـ ٨٣ / من سورة الأنعام ، و / ٢٥٨ / من سورة البقرة .

(2) الآيات / ٥١ ـ ٧٠ / من سورة الأنبياء .

(3) الآية / ٢٦ / من سورة العنكبوت .

(4) انظر الآيات / ٢٧ / من سورة إبراهيم عليه السلام ، و / ٢٧ ـ ٢٨ / من سورة الحج ، و / ٣٥ ـ ٤١ / من سورة إبراهيم عليه السلام .

ثم جاء « لوط » عليه السلام قومه ، فدعاهم إلى عبادة الله ، ونهاهم عن المعاصي والفواحش التي انتشرت بينهم ، فما كان منهم إلا التكذيب ، وهَمُّوا بإخراجه من قريته ، متحدِّين أن يأتيهم بعذاب ، فأنجاه الله منهم ، وأمطر على قومه حجارة فقضت عليهم ، قال تعالى :

﴿ ولوطاً إذ قال لقومه : أتأتونَ الفاحشةَ ماسَبَقكم بها من أحَدٍ من العالمين * إنكم لتأتون الرجالَ شَهْوةً من دون النساء ، بل أنتم قومٌ مُسْرفون * وما كان جوابَ قومه إلا أَنْ قالوا : أَخرِجُوهم مِنْ قَرْيتكم ، إنَّهم أناسٌ يتَطهَّرون * فأنْجيناه وأهلَه إلا امرأتَه كانت من الغابِرين * وأَمْطرنا عليهم مَطَراً فانْظرْ كيف كان عاقبةُ المجرمين ﴾ (١) .

ثم جاءت دعوة « يوسف » عليه السلام ، التي لم يحدثنا القرآن الكريم عن تفصيلاتها ، وإنما اكتفى بالإشارة إليها بمثل قوله تعالى :

﴿ ولقد جاءكم يوسُفُ من قَبْلُ بالبيِّنات ، فما زِلْتم في شَكٍّ مما جاءكم به ، حتى إذا هَلَكَ قلتم لن يَبْعثَ الله من بَعْدِه رسولاً ، كذلك يُضِلُّ الله من هو مُسْرِفٌ مُرْتاب ﴾ (٢) .

وإنما ركز القرآن الكريم على سيرة يوسف عليه السلام الخاصة ، وبيان مالاقاه من حسد إخوته وكيدهم له ، وما جرّ عليه ذلك من ابتلاءات

---

(١) الآيات / ٨٠ ـ ٨٤ / من سورة الأعراف ، وانظر الآيات / ٧٨ ـ ٨٢ / من سورة هود عليه السلام ، وانظر الآيات / ٥١ ـ ٧٦ / من سورة الحجر .

(٢) الآية / ٣٤ / من سورة غافر .

في شبابه ، فكان مثال التقوى والصبر ، وذلك لتكون حياته درساً وعبرة ، كما نرى في سورة « يوسف » عليه السلام التي سميت باسمه ، والتي ختمها الله عز وجل بقوله :

﴿ لقد كان في قَصَصهم عبرةٌ لأولي الألباب ، ماكان حديثاً يُفترى ، ولكن تَصْديقَ الذي بين يَديْه ، وتفصيلَ كل شيء ، وهُدَى ورحمةً لقوم يؤمنون ﴾ (١) .

ثم جاءت دعوة « شعيب عليه السلام » ، فدعا قومه إلى عبادة الله وترك المنكرات والإفساد في الأرض ، قال تعالى :

﴿ وإلى مَدْينَ أخاهم شعيباً ، قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرُه ، قد جاءتكم بَيِّنَةٌ من ربكم ، فأوفوا الكيلَ والميزانَ ولاتَبْخَسوا الناس أشياءَهم ، ولاتُفسدوا في الأرض بَعْدَ إصلاحها ، ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين ※ ولاتَقْعدوا بكل صراط توعِدُون وتَصُدّون عن سبيل الله من آمن به ، وتَبْغونها عِوَجاً ، واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثَّركم ، وانظروا كيف كان عاقبةُ المفسدين ، وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أُرْسلتُ به ، وطائفة لم يؤمنوا ، فاصبروا حتى يَحْكُمَ الله بَيْننا وهو خير الحاكمين ﴾ (٢) .

فوقف منه قومه موقف الاستهزاء والسخرية ، فرد عليهم بهدوء

---

(١) الآية / ١١١ / من سورة يوسف عليه السلام .

(٢) الآيات / ٨٥ ـ ٨٧ / من سورة الأعراف .

وحلم وذكّرهم بمصير من سبقهم ، قال تعالى :

﴿ قالوا ياشعيبُ أصَلواتك تأمُرك أن نَتْركَ مايعبدُ آباؤنا ، أو أن نَفْعَلَ في أموالنا مانشاء ، إنك لأنتَ الحليمُ الرشيد ۞ قال ياقوم أرأيتُم إن كنتُ على بيّنة من ربي وَرزَقَني منه رزقاً حسناً ، وما أُرِيدُ أَنْ أخالِفَكم إلى ماأنهاكم عنه ، إنْ أريدُ إلا الإصلاحَ مااستطعتُ ، وما تَوْفيقي إلا بالله ، عليه توكلتُ وإليه أنيب ۞ وياقوم لايَجْرِمَنَّكم شِقاقي أَنْ يُصيبَكم مِثْلُ ماأصابَ قومَ نوح أو قومَ هود أو قومَ صالح ۞ وما قومُ لوطٍ منكم بِبَعيد ۞ واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، إن ربي رحيم وَدود ﴾ [1] .

فما زادهم إلا إصراراً على باطلهم ، وهددوه بالإخراج ، فدعا عليهم ، قال تعالى :

﴿قال الملأُ الذينَ استَكبروا من قومه لنُخْرِجَنَّكَ ياشعيبُ والذين آمنوا مَعك من قَرْيتنا ، أو لتعودُنَّ في مِلّتِنا . .الآيات ﴾ [2] .

فأخذهم عذاب يوم الظلة ، قال تعالى :

﴿ كَذَّبَ أصحابُ الأَيْكةِ المرسَلين ۞ إذ قال لهم شعيبٌ ألا تَتَّقون ۞ إني لكم رسول أمين ... الآيات ﴾ إلى أن قال :

﴿ قالوا : إنما أنت من المُسَحَّرين ۞ ماأنتَ إلا بشرٌ مثْلُنا ، وإن نظنك لمن الكاذبين ۞ فَأَسْقِطْ علينا كِسَفاً من السماء إنَ كنت

(١) الآيات / ٨٧ ـ ٩٠ / من سورة هود عليه السلام .

من الصادقين ﴿ قال ربي أعلمُ بما تعملون ﴿ فَكذَّبوه فأخذَهم عذابُ يوم الظُّلّة ﴿ إنه عذابَ يوم عظيم ﴿ إنَّ في ذلك لآيةً ، وما كان أكثرُهم مؤمنين ... ﴾ (١) .

ونَجّى الله شعيباً والذين آمنوا معه ، فقال :

﴿ ولما جاء أمْرُنا نجيّنا شعيباً والذين آمنوا معه برحمةٍ منا ، وأَخَذَتِ الذينَ ظَلَموا الصيحةُ فأصْبحوا في ديارهم جاثِمين ﴿ كأن لم يَغْنوا فيها ،ألا بُعداً لَمدْينَ كما بَعِدَتْ ثمود ﴾ (٢) .

ثم أرسل الله « موسى » عليه السلام ، وأنزل عليه التوراة ، بعد أن نشأ في بيت فرعون ، فأرسله الله إلى بني إسرائيل ، وشد عضده بأخيه « هارون » عليه السلام ، قال تعالى :

﴿ فلمّا قَضى موسى الأجلَ وسار بأهْله ، آنسَ من جانب الطور ناراً ، قال لأهله امكثوا إني آنسْتُ ناراً لعلّي آتيكم منها بخَبَرٍ أو جَذْوة من النار لعلكم تَصْطلون ﴿ فلمّا أتاها نوديَ من شاطِئ الوادي الأيْمنِ في البُقْعةِ المباركة من الشجرة : أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين ... الآيات إلى قوله :أنتما ومن اتّبعَكُما الغالبون ﴾ (٣) .

كما أمرهما الله عز وجل بالذهاب إلى (فرعون) ودعوته فقال :

---

(١) الآيات / ١٨٥ ـ ١٩٠ / من سورة الشعراء .

(٢) الآيات / ٩٤ ـ ٩٥ / من سورة هود عليه السلام .

(٣) الآيات / ٢٩ ـ ٣٥ / من سورة القصص .

﴿ اذْهَبا إلى فِرْعون إنه طَغى ۞ فقُولا له قولاً لَيِّناً لعلَّه يتذكَّرُ أو يَخْشى الآيات ... ﴾ (١) .

وقد ذكر القرآن الكريم جانباً من حوار موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون ، فقال سبحانه :

﴿ قال فَمَنْ ربكما ياموسى ، قال ربُّنا الذي أعطى كل شيء خَلْقَه ثم هَدى ، قال : فما بَالُ القرون الأولى ؟ قال : عِلْمُها عند ربي في كتابٍ لايَضِلُّ ربي ولايَنْسى ۞ الذي جعلَ لكم الأرضَ مَهْداً وسلك لكم فيها سُبلاً ، وأنْزلَ من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شَتّى ۞ كلوا وَارْعَوا أَنْعامَكُم إنَّ في ذلك لآيات لأولي النُّهى ... إلى أن قال :

قال أجِئْتَنا لتُخْرِجَنا من أرْضِنا بِسِحْرك ياموسى ۞ فَلَنأْتينَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِه ۞ فاجْعَلْ بيننا وبينَك مَوْعداً لاتُخلِفُه نحنُ ولا أنت مكاناً سُوى ۞ قال مَوْعِدُكم يومُ الزينة وأنْ يُحْشَرَ الناسُ ضُحى ... الآيات ﴾ (٢) .

ولما جاءوا إلى الموعد ، نصره الله ، وآمن معه السحرة ، قال تعالى :

﴿ فأُلْقِيَ السَّحَرةُ سُجَّداً ، قالوا آمنا بِربِّ هارونَ وموسى ۞

---

(١) الآيات / ٤٣ ـ ٤٨ / من سورة طه .

(٢) الآيات / ٤٩ ـ ٦٤ / من سورة طه ، وانظر / ٣٦ ـ ٤٠ / من سورة القصص ، و / ١٨ ـ ٢١ / الشعراء .

قال آمنتم له قَبْلَ أنْ آذنَ لكم ، إنَّه لكبيرُكُم الذي علَّمكم السِّحر ، لأُقَطِّعَنَّ أيديَكم وأرجلَكم من خِلاف ، ولأُصَلِّبَنَّكُم في جُذوعِ النَّخْل ، ولتَعلَمُن أيُّنا أشَدُّ عَذاباً وأَبْقَىٰ . الآيات ...﴾ [1] .

ولما اشتد طغيان قوم موسى أخذهم الله بعذاب أليم فأرسل عليهم أنواعاً عديدة من العذاب ، قال تعالى :

﴿ ولقد أخَذْنا آل فرعونَ بالسِّنين ونَقْصٍ من الثَّمرات لعلهم يَذَّكرون * فإذا جاءتهم الحسنةُ قالوا لنا هذه * وإن تُصبهم سيئةٌ يَطَّيَّروا بموسى ومَنْ مَعه * ألا إنَّما طائرُهم عند الله ، ولكنَّ أكثرَ الناس لايعلمون * وقالوا : مَهْما تَأْتِنا به من آيةٍ لتَسْحَرنا بها فما نَحنُ لك بمؤمنين * فأرْسلنا عليهم الطوفانَ والجراد والقُمَّل والضفادع * والدَّمَ آياتٍ مفصلاتٍ ، فاستَكْبَروا وكانوا قوماً مُجرمين ... ﴾ [2] .

ولما ضاق بآل فرعونَ الأمر ، لجأوا إليه يطلبون كشف الضر وقالوا :

﴿ ياموسى ادْعُ لنا ربَّكَ بما عَهِدَ عِنْدك لئن كَشَفْتَ عنَّا الرِّجْزَ لنُؤمنَنَّ لك * ولنُرْسِلَنَّ معكَ بني إسرائيل * فلما كَشَفْنا عنهم الرِّجَزَ إلى أجَلٍ هم بالغوه إذا هم يَنْكُثون ﴾ [3] .

ثم أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يخرج بمن آمن معه من

---

(١) الآيات / ٧٠ ـ ٧٦ / من سورة طه .

(٢) الآيات / ١٣٠ ـ ١٣٣ / من سورة الأعراف .

(٣) الآيات / ١٣٤ ـ ١٣٥ / من سورة الأعراف .

مِصرَ ، فخرجوا وتبعهم فرعون بجنوده ، قال تعالى :

﴿ ولقد أوْحينا إلى موسى أنْ أَسْرِ بعبَادي ، فَاضْرِب لهم طريقاً في البَحْرِ يَبَساً ، لاتَخافُ دَركاً ولا تَخْشى ، فَأَتْبَعهم فرعونُ بجنوده فَغَشِيَهُم من اليَمِّ ماغَشِيَهم ، وأَضَلَّ فرعونُ قَومَه وما هَدى ﴾ [1] .

ومَرَّ موسى عليه السلام بابتلاءات كثيرة ، ولاقى من قومه مالاقى ، فعبدوا العجل ، وآذوه بالكلام فيه ، وبطلبهم رؤية الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بذلك ، ثم أحياهم الله ، قال تعالى :

﴿ وإِذْ واعَدْنا موسى أربعينَ ليلةً ، ثُمَّ اتَّخَذْتم العِجْلَ مِنْ بعده وأنتم ظالمون ، ثم عَفَوْنا عنكم من بعد ذلك لعلكم تَشْكرون ... الآيات إلى قوله : وإذ قُلْتُم ياموسى لَنْ نُؤمِنَ لكَ حتى نَرى الله جهرةً فَأَخَذَتْكُم الصاعقةُ وأنْتم تَنْظُرون * ثم بَعَثْناكم من بعد موتكم لعلَّكم تَشكرون ... الآيات ﴾ [2] .

وهكذا حتى قضى هارون وموسى عليهما السلام ، بعد أن حملا الرسالة وأدّيا الأمانة ، قال تعالى :

﴿ ولقد مَنَنَّا على موسى وهارون ، ونَجَّيناهما وقومَهما من الكَرْبِ العظيم ، ونَصَرْناهم فكانوا هم الغالبين ، وآتيناهما الكتابَ المُسْتَبين ، وهَدَيْناهما الصراطَ المستقيم ، وتَرَكْنا عليهما في

---

(١) الآيات / ٧٧ ـ ٧٩ / من سورة طه .

(٢) الآيات / ٥١ ـ ٧٤ / من سورة البقرة .

الآخِرين ، سَلامٌ على موسى وهارون ، إنّا كذلك نَجْزِي المُحسنِين ، إنَّهما من عبادنا المؤمنين ﴾ (١) .

ثم توالت الأنبياء على بني إسرائيل إلى أن جاء داود عليه السلام .

فقام « داود » عليه السلام بدعوته ، وآتاه الله « الزبور » قال تعالى : ﴿ وآتينَا داودَ زَبوراً ﴾ (٢) ولقد أكرم الله داود عليه السلام بأمور عديدة منها : حسن الصوت ، حتى أصبح يُضرب بحسن صوته المثل . وألان له الحديد ، وجعل الجبال والطير تردد معه تسبيحه ... قال تعالى :

﴿ واذكر عَبْدنا داودَ ، ذا الأيْدِ إنَّه أوّاب ۞ إنا سَخَّرنا الجبالَ معه يُسَبِّحْنَ بالعَشِيِّ والإِشراق ۞ والطيرَ محشورةً كُلٌ له أوّاب ۞ وشَدَدْنا مُلكه وآتيناه الحكمةَ وفَصْلَ الخطاب ﴾ (٣) .

ولم يذكر القرآن تفصيلاً لدعوته وموقف قومه منه .

ثم جاء ولده « سليمان » عليه السلام ، وقام بدعوته ، إلا أنه لم يذكر القرآن الكريم أيضاً لنا شيئاً عن دعوته ، وعن موقف قومه منه ، وإنما ذكر بعض الخصائص والمعجزات التي أيده الله بها ، قال تعالى :

﴿ ولسليمانَ الريحَ غُدُوُّها شهرٌ ورَواحُها شهرٌ ، وأسَلْنا له عينَ القِطر ، ومن الجِنّ من يَعْمَلُ بين يَدَيْه بإذن ربه ، ومن يَزِغْ

(١) الآيات / ١١٤ ــ ١٢٢ / من سورة الصافات .

(٢) الآية / ١٦٣ / من سورة النساء .

(٣) الآيات /١٧ ــ ٢٠/ من سورة ص ، وانظر/ ١٠ / من سورة سبأ ، و/ ٧٩ / من سورة الأنبياء .

مِنهم عَنْ أمْرنا نُذقْه من عذاب السعير * يَعْمَلونَ له مايَشاءُ من مَحاريبَ وتماثيلَ وجِفانٍ كالجواب ، وقدورٍ راسيات ، اعملوا آل داودَ شكراً ، وقَليلٌ من عِباديَ الشكور ...الآيات ﴾ (١) . وتوالت الأنبياء فجاء « أيوب ويونس » عليهما السلام .

ثم جاء « عيسى عليه السلام » وكانت ولادته آية من آيات الله ، قال تعالى :

﴿ إنَّ مَثَل عيسى عند الله كمثل آدم ، خَلَقَهُ من ترابٍ ثم قال له كُنْ فَيكون ﴾ (٢) . وآتاه الله الإنجيل ، فدعا بني إسرائيل إلى التوحيد ، قال تعالى :

﴿ وقَفَّيْنا على آثارهم بعيسى بن مريم مُصَدِّقاً لما بين يديه من التوراة ، وآتيناهُ الإنجيلَ فيه هُدىً ونورٌ ، مُصَدِّقاً لما بين يديه من التوراة ، وهدىً وموعظةً للمتقين ﴾ (٣) .

وقد عرض القرآن الكريم جانباً من دعوة عيسى عليه السلام ، وذكر بعض حواراته مع قومه ، فقال تعالى :

﴿ ولما جاء عيسى بالبَيِّنات قال : قد جئتكم بالحِكْمة ، ولأُبَيِّنَ لكم بَعْضَ الذي تَختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون * إن الله هو ربِّي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مُستقيم * فاخْتَلَفَ الأحزابُ

(١) الآيات / ١٢ ـ ١٤ / من سورة سبأ ، وانظر / ٣٧ ـ ٤٢ / من سورة ص .
(٢) الآيات / ٥٩ / من سورة آل عمران .
(٣) الآية / ٤٦ / من سورة المائدة .

من بَيْنِهم * فَوَيْلٌ للذين ظَلَموا من عذابِ يومٍ أليم ﴾ [1] .

وقد آتى الله رسوله عيسى عليه السلام معجزات كثيرة باهرة ، عددها القرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل أنّي قد جِئتُكم بآيةٍ من ربكم * أنّي أخْلُقُ لكم من الطّين كهيئة الطير ، فأنفخُ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وأُبْرِئُ الأكمهَ والأبرص وأُحْيي الموتى بإذن الله * وأُنَبِّئكم بما تأكلون وماتَدَّخِرونَ في بيوتكم ،إنَّ في ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين ... الآيات ﴾ [2] .

واستمر عيسى عليه السلام في دعوته حتى كادوا له ومكروا به ، فأنجاه الله ورفعه إليه ، قال تعالى :

﴿ ومكَروا ومَكَر اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين * إذْ قال الله ياعيسى إني مُتَوفّيك ورافِعُك إليّ ومُطَهِّرُكَ من الذين كفروا ، وجاعلُ الذين اتَّبعوك فوقَ الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إليَّ مَرْجِعُكم فأحْكمُ بينكم فيما كنتم فيه تَخْتلفون ﴾ [3] .

وقد بين القرآن والسنة أنه سينزل ثانية في آخر الزمان ليحكم بشريعة الإسلام ، ويؤمن به كل من كان موجوداً حينئذ من أهل الكتاب قال تعالى :

---

(١) الآيات / ٦٣ ـ ٦٥/ من سورة الزخرف ، وانظر/ ٥٢ / من سورة آل عمران ، و / ١١٢ ـ ١١٥ / من سورة المائدة ، و / ٦ / من سورة الصف .

(٢) الآيات / ٤٩ ـ ٥٣ / من سورة آل عمران .

(٣) الآيات / ٥٤ ـ ٥٥ / من سورة آل عمران ، وانظر / ١٥٧ ـ ١٥٨ / من سورة النساء .

﴿ وإنْ مِنْ أَهْلِ الكتاب إلا ليؤمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْته ، ويومَ القيامة يكونُ عليهم شهيداً ﴾ [1] .

وقد تواترت الأحاديث النبوية الواردة بنزوله في آخر الزمان . فجاء في الحديث المتفق عليه :

« والذي نفسي بيده ، ليوشِكَن أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً عَدْلاً فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويَضَع الحرب (وفي رواية الجزية) ، ويَفيضَ المال حتى لايقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة : واقرؤا إن شئتم : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمِنَنَّ به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » [2] .

وكانت رسالة عيسى عليه السلام آخر رسالة قبل رسالة الإسلام ، وكان موكبه آخر موكب من مواكب الدعوة إلى الله قبل بعثة رسولنا ﷺ ، وعلى جميع رسله وأنبيائه أجمعين .

وبهذا ينتهي العرض السريع المجمل لسير الدعوة إلى الله قبل الإسلام ، على يد الرسل عليهم الصلاة والسلام ، الذين حدثنا القرآن عنهم وعن دعوتهم ، وختم حديثه عنهم في سورة الأنعام بقوله :

﴿ أولئك الذين هَدى الله ، فَبِهُداهم اقْتَدِه ... ﴾ [3] .

---

(١) الآية / ١٥٩ / من سورة النساء ، وانظر تفسير القرطبي لهذه الآية (٦/ ١٠ ـ ١١) المجلد الثالث .

(٢) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٦/ ٤٩٠ ـ ٤٩١) ورقم (٣٤٤٨) . وصحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠) . وراجع كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » للكشميري .

(٣) الآية / ٩٠ / من سورة الأنعام .

خاتمة للمبحث الأول :

عن الملامح العامة لسير الدعوة قبل الإسلام :

يمكن للمتتبع لسير الدعوة قبل الإسلام ، والناظر في سيرة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً أن يستخلص بعض الملامح العامة لهذه المرحلة من مراحل الدعوة ، من ذلك :

١ ـ اتفاق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على الدعوة إلى الملة الواحدة القائمة على توحيد الله عز وجل ، ومحاربة الكفر والشرك ، والأمر بالطاعات ، والنهي عن المحرمات ... فكلهم يدعون إلى الله عز وجل ، ويرمون في دعوتهم عن قوس واحدة ، قال تعالى :

﴿ إنّا أَوْحَيْنا إليكَ كما أَوْحَيْنا إلى نوحٍ والنبيينَ من بَعْدِهِ ، وأَوْحينا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وعيسى وأيوبَ ويونُسَ وهارونَ ، وسليمان ، وآتينا داودَ زبوراً ۞ ورسلاً قد قَصَصْناهم عليك من قَبْلُ ، ورسلاً لم نَقْصُصْهم عليك ، وكَلَّمَ الله موسى تَكْليماً ۞ رُسُلاً مبشِّرين ومُنْذِرينَ لِئَلا يكونَ للناس على الله حجةٌ بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (١) .

(١) الآيات / ١٦٣ ـ ١٦٥ / من سورة النساء .

٢ ـ كانت تلك الرسالات السابقة محليةً إقليمية ، فكان كل رسول يبعث إلى قوم معينين ، وكانت رسالاتهم تعالج حاجات عصورهم ، وتلبي متطلبات مجتمعاتهم ، إذ تختلف الحاجات ، وتتنوع المتطلبات ، قال تعالى :

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنا منكم شِرْعَةً ومِنْهاجاً ﴾ [1] وقال : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هم ناسكوه ﴾ [2] . والحكمة كل الحكمة أن تتناسب الرسالات مع حاجات المرسل إليهم ، وليس في هذا أي عيب أو قصور .

٣ ـ جرت سنة الله عز وجل في الأمم السابقة بنجاة المؤمنين ، وتدمير الكافرين واستئصالهم في كثير من الأحيان ـ عندما يعرضون ويصرون على إعراضهم وتكذيبهم ـ كما رأينا في العرض السابق لتلك الرسالات ، وفي هذا يقول الله عز وجل :

﴿ ولقد أرسلنا إلى أُمَم من قَبْلِك ، فأَخَذْناهم بالبَأساء والضَّرَّاء لعلَّهم يَتَضَرَّعون * فلولا إذْ جاءَهم بَأْسُنا تضرَّعوا ، ولكنْ قَسَتْ قلوبُهم ، وزَيَّنَ لهم الشيطانُ ماكانوا يعملون * فلمَّا نَسُوا ماذُكِّروا به ، فَتَحْنا عليهم أبوابَ كل شيء ، حتى إذا فَرِحوا بما أوتوا أَخَذْناهم بَغْتةً فإذا هم مُبْلِسون ﴾ [3] .

وقال أيضاً :

---

(١) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ٦٧ / من سورة الحج .

(٣) الآيات / ٤٢ ـ ٤٤ / من سورة الأنعام .

﴿ وما أرسلْنا من قَبْلكَ إلا رجالاً نُوحِي إليهم من أهْل القُرى ، أفلم يسيروا في الأرض فَيَنْظُرُوا كيف كان عاقبةُ الذين من قَبْلِهم ، ولَدارُ الآخرة خيرٌ للذين اتقوا أَفَلا تَعقلون * حتى إذا اسْتَيْأسَ الرسلُ ، وظَنُّوا أنهم قد كُذِبوا جاءهم نَصْرُنا ، فَنُجِّيَ من نَشاء ، ولا يُرَدُّ بأسُنا عن القوم المجرمين ﴾ [١] .

٤ ـ اختلف أسلوب القرآن الكريم في عرض الرسالات السابقة ، وسير دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم ، فمن تفصيل إلى إجمال ، ومن تكرار لبعض المواقف في مواطن عدة من سور القرآن الكريم ، ومن تَركيزٍ أحياناً على سيرة النبي والرسول وخصائصه ، ومن عَرضٍ أحياناً للأساليب الدعوية ، والوسائل المستخدمة في بعض الدعوات ، وهكذا بحسب حكمة الله عز وجل في ذلك ، ولله الحكمة البالغة .

فعلى الدعاة أن يركزوا جهودهم للاستفادة مما عُرِضَ من دروس وعبر ، وأن لايهتموا بالبحث عما أغفل ذكره القرآن والسنة في مراجع غير موثوقة في مثل هذه الأمور الهامة ، فإن فيما عرضه الله في كتابه ، وبيَّنهُ رسوله ﷺ في سنته عنهم كفايةً للمستفيد وعظةً للمتعظ .

٥ ـ جرت سنة الله عز وجل أن يؤيد رسله الكرام بخوارق ومعجزات ليؤمن من يؤمن ، وتقام الحجة على الكافرين والمنكرين ...

فكانت ناقة صالح عليه السلام ، وعصا موسى عليه السلام ،

---

(١) الآيات / ١٠٩ ـ ١١٠ / من سورة يوسف عليه السلام .

ومعجزات عيسى عليه السلام وغيرها مما سبقت الإشارة إليه .

إلا أن معظم المعجزات التي جاءت في الأمم السابقة كانت حسية مادية ، تنتهي في وقتها ، ولايشاهدها إلا من حضرها ، خلافاً لبعض معجزاتِ نبينا محمد ﷺ ، ولاسيما معجزة القرآن الكريم .

وفي هذا يقول الإمام السيوطي رحمه الله :

« اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدّي ، سالم عن المعارضة ، وهي إما حسية وإمّا عقلية ، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية ، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية ، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة ، خُصَّت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر »[1] .

٦ ـ كان الخط البياني لقبول الدعوة في الرسالات السابقة متأرجحاً بين الصعود والهبوط ، فلا استجابة مطلقة ، ولا إعراضاً دائماً ، وتلك هي سنة الله في هذه الحياة ، ولو شاء الله لجعل الناس جميعاً يستجيبون لدعوته ، ولكن شاءت حكمته أن يدوم الصراع بين الخير والشر ، وأن يستمر الابتلاء في هذه الحياة للدعاة والمدعوين ، ليميز الخبيث من الطيب ، ويبوئ من شاء الجنة ، ويملأ بمن شاء جهنم ...

قال تعالى :

﴿ ولو شاءَ ربُّكَ لجَعَلَ الناسَ أمةً واحدة ، ولايزالون مُخْتلفين إلا من رَحِمَ ربُّكَ ، ولذلكَ خَلَقَهم ، وتَمَّتْ كلمةُ ربك لأملأنَّ

(١) انظر « الإتقان في علوم القرآن » للسيوطي (١١٧/٢) .

جهنَّمَ من الجِنَّةِ والناس أجمعين ﴾ (١) .

إلى غير ذلك من ملامح عامة لدعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام (٢) .

* * *

(١) الآيات / ١١٨ ـ ١١٩ / من سورة هود عليه السلام .

(٢) تف على فوائد عديدة في دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، في كتاب « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله » للشيخ محمد سرور بن نايف زين العابدين ، وكتاب « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل » للشيخ الدكتور : ربيع بن هادي المدخلي ... وغيرها .

المبحث الثاني

الدعوة زمن الرسول ﷺ، وزمن خلفائه الراشدين

وينقسم هذا المبحث إلى قسمين :

أ ـ **القسم الأول** : الدعوة زمن الرسول ﷺ .

ب ـ **القسم الثاني** : الدعوة زمن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم .

وقد جعلتُ القسمين في مبحث واحد مراعاةً للإجمال في عرض العصور التاريخية ـ كما فعلت في المبحث الأول من جهة ، وكما سأفعل في المبحث الثالث أيضاً ـ ونظراً للارتباط الوثيق بين العهدين من جهة أخرى ، وذلك لأن عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم يُعَدُّ في حقيقته امتداداً لعهد رسول الله ﷺ في الدعوة ، إذ أن سنتهم متّبعة كسنة رسول الله ﷺ ، وسيرتهم تطبيق عملي لسنته وسيرته ﷺ ...

وحسبنا في تأكيد ذلك قوله ﷺ :

« أوصيكم بتقوى الله ، والسَّمْعِ والطاعة وإن تَأَمَّر عليكم عبدٌ ، وإنَّهُ من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسُنَّتي وسُنة الخلفاء الراشدين المَهديين ، عَضّوا عليها بالنواجذ ... الحديث » [1] .

لذا رأيت أن أعرض كل قسم مستقلاً ، ثم أختمه ببعض الملامح العامة إن شاء الله .

---

(١) الحديث راوه أبو داود والترمذي وقال عنه : حديث حسن صحيح ، انظر سنن أبي داود (٤٦٠٧) وسنن الترمذي (٢٩٧٨) .

١ ـ الدعوة زمن الرسول ﷺ :

بدأت الدعوة الإسلامية منذ بعثته ﷺ ، حيث جاءه الوحي ، وأنزل الله عليه قوله : ﴿ ياأيها المُدَّثِّر * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فكَبِّرْ * وثيابَك فَطَهِّرْ * والرُّجْزَ فاهجُر * ولاتَمْنُنْ تَسْتَكثِر * ولربِّك فاصبِر ﴾ [١] .

فدعا رسول الله ﷺ الأقرب فالأقرب من حوله ، فكان أول من أسلم معه من النساء : زوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، ومن الرجال : أبو بكر رضي الله عنه ، ومن الصبيان : علي بن أبي طالب ، ومن الرقيق : زيد بن حارثة رضي الله عنه [٢] ...

ثم تتابع إسلام عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وطلحة بن عبد الله ، وأبي عبيدة بن الجراح ، والأرقم ابن الأرقم وغيرهم رضوان الله عليهم جميعاً .

وبدأ المسلمون يجتمعون برسول الله ﷺ في دار الأرقم ابن أبي الأرقم يتلقون عنه مانزل من القرآن ، ويأخذون عنه هدي الإسلام العظيم ، ويرعاهم رسول الله ﷺ بالتربية الصالحة والتزكية الطاهرة ...

وبعد ثلاث سنوات من هذه الدعوة الفردية السرّية نزل قوله تعالى :

﴿ فاصْدَعْ بما تُؤمَر ، وأَعْرِضْ عن المشركين ﴾ [٣] .

---

(١) الآيات / ١ ـ ٧ / من سورة المدثر .

(٢) انظر سيرة ابن هشام (١/٢٤٠ ـ ٢٤٦) ، وزاد المعاد (٢/٤٨) .

(٣) الآية / ٩٤ / من سورة الحجر .

فقام ﷺ يدعو الناس من حوله ، فصعد الصفا ونادى الناس لينذرهم ويبشرهم [1] ...

جاء في الحديث المتفق عليه :

« عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية : « وأنذر عشيرتك الأقربين »[2] ورهطكَ منهم المخلصين [3] ، خرج رسول الله ﷺ حتى صعدَ الصفا ، فهتف : ياصَباحاه ، فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟ قالوا : محمد ، فاجتمعوا إليه فقال :

يابني فلان ، يابني فلان ، يابني فلان ، يابني عبد مناف ، يابني عبد المطلب ، فاجتمعوا إليه ، فقال : « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل ، أكنتم مُصَدقي ؟ قالوا : ماجربنا عليك كذبا ، قال : إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، قال : فقال أبو لهب : تباً لك أما جَمَعتنا إلا لهذا ، ثم قال : فنزلت هذه السورة ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ [4] وقد تَبَّ »[5] .

وعندما بدأت مرحلة الجهر هذه ، قابله قومه بالعداء الشديد ، فانطلقت أول صيحة عداء تجاهه من عمه أبي لهب بقوله « تباً لك ، أما

---

(١) انظر « سيرة ابن هشام » (٢٦٢/١) .

(٢) الآية / ٢١٤ / من سورة الشعراء .

(٣) هكذا وردت في صحيح الإمام مسلم ، قال الإمام النووي : « فظاهر هذه العبارة أن قوله « ورهطك منهم المخلصين » كان قرآناً أنزل ثم نسخت تلاوته ، ولم تقع هذه الزيادة في روايات البخاري) ا . هـ ، انظر شرح مسلم (٨٢/٣ ـ ٨٣) .

(٤) الآية / ١ / من سورة المسَد .

(٥) الحديث رواه البخاري ومسلم ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٣٦٠/٨ و ٤٠٠ و ٦٠٨ و ٦٠٩) وانظر « صحيح مسلم مع شرح النووي » : (٨٣/٣) .

جمعتنا إلا لهذا » كما مر معنا في الحديث السابق ، ثم تتابع العذاب على رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ، ولولا أن هيأ الله له عمه أبا طالب ليدافع عنه ويحميه من قومه ، لأصابه ماأصاب عدداً من أصحابه : كياسر ، وعمار ، وسمية ، وبلال ، وعامر بن فهيرة وغيرهم رضوان الله عليهم ، فصبروا جميعاً أمام أشد أنواع العذاب والتنكيل ، ولم يسلم رسول الله ﷺ من ذلك في بعض الأحيان [١] .

ولما اشتد على المسلمين الأمر ، وَجَّه رسول الله ﷺ أصحابه إلى الهجرة إلى الحبشة ، وقال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكاً لايُظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ... »[٢] .

واستمرت الشدة ، حتى هم قومه ﷺ بقتله ، فبلغ ذلك عَمَّه أبا طالب ، فجمع بني هاشم وبني عبد المطلب وأدخلوا رسول الله ﷺ في شِعْبهم ليحفظوه من القتل ، وأخذوا يتناوبون على حراسته ﷺ .

فغضبت لذلك قريش ، فاجتمع بعض زعمائها وائتمروا على أن يكتبوا كتاباً على بني هاشم ، وبني عبد المطلب يُجْمعون فيه على مقاطعة رسول الله ﷺ ومن معه في الشعب مقاطعة اجتماعية واقتصادية ، حتى يخضعوا ويُسلموا لهم رسولَ الله ﷺ ، وعَلّقوا الصحيفة في جوف الكعبة ، فانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب مسلمهم وكافرهم إلى أبي طالب ، ودخلوا معه الشعب وأقاموا فيه سنتين أو ثلاث ، حتى أصابهم الجهد الشديد ، ثم يَسَّرَ الله بعض الرجال للسعي في نقض هذه الصحيفة ،

---

(١) انظر صحيح البخاري مع الفتح (٧/١٦٥) رقم (٣٨٥٤) .

(٢) انظر « سيرة ابن هشام » (١/٣٢١ و ٣٣٤ ـ ٣٣٧) .

وحَلّ هذه الشدة ... »[1] .

ثم زاد الأمر شدة على رسول الله ﷺ لما مات أبو طالب ، وتبعته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بعد أيام ، وكان عام الحزن ...[2]

فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يطلب النصرة من ثقيف ، فردوه شر رَدٍّ ، وحرضوا عليه وآذوه ، فرجع إلى مكة مُسْتَضْعَفاً ...[3]

وبقي الرسول عليه الصلاة والسلام مع أصحابه على هذه الحال من الشدة ثلاثة عشر عاماً حتى أذن الله لهم بالهجرة إلى المدينة ، وهيأ لهم فيها الأسباب ...[4]

وتمت الهجرة ، وبدأت في المدينة المنورة مرحلةٌ جديدة من مراحل الدعوة الإسلامية ، حيث قوي المسلمون بمن دخل في الإسلام ، وبمن ناصرهم في المدينة المنورة ، فقامت لهم دولتهم ، وأذن الله لهم فيها بقتال عدوهم بعد أن كان يأمرهم في مكة بكف أيديهم ، وبالصبر والمصابرة ...

وكان أول إعلان رسمي لشعائر العبادة في المدينة ، ببناء « مسجد قباء » والصلاة فيه ، ثم ببناء « مسجد الرسول ﷺ » .

وبدأت الخطوات العملية لإقامة أول دولة إسلامية على وجه الأرض ، وذلك على أسس ثابتة متينة من الأخوة الإسلامية الصادقة ، والنظام الواضح ، والدستور البيّن ، وعلى الأرض الطيبة ، « المدينة المنورة » وكتب رسول الله ﷺ الوثيقة التاريخية التي وضحت العلاقة بين المسلمين :

---

(١) انظر « سيرة ابن هشام » (١/٣٥٠ ـ ٣٨١) .
(٢) انظر « سيرة ابن هشام » (١/٤١٥ ـ ٤١٨) .
(٣) انظر « سيرة ابن هشام » (١/٤١٩ ـ ٤٢١) .
(٤) انظر « سيرة ابن هشام » (١/٤٢٨ ـ ٤٦٧) .

المهاجرين والأنصار من جهة ، وبين المسلمين وغيرهم في مجتمع المدينة من جهة أخرى [1]. فاكتملت للمسلمين بذلك الأركان الأساسية للدولة .

وبدأ العمل بعد ذلك على عدة محاور :

١ ـ نشر الدعوة الإسلامية بين الناس ، وتعليم المسلمين أمور دينهم ، والعمل على تربيتهم وتزكيتهم على هدي الإسلام .

٢ ـ مواجهة الأعداء وإعلان الحرب على الكافرين المحاربين ، والعمل على التخلص منهم ...

٣ ـ تطبيق الأحكام الشرعية على جميع المستويات الفردية والجماعية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤ ـ التخطيط لتوسيع رقعة الدولة المسلمة ، ونشر رسالة الإسلام ، عن طريق إرسال الرسل والبعثات ، واستقبال الوفود ، ومكاتبة الزعماء والحكام ، وتجهيز الجيوش ...

وقد ملئت كتب السيرة والسنة بتفصيلات هذه الأعمال ، فتحدثت عن أعمال التبليغ ونشر الدعوة ، والاهتمام بالعلم والتعليم ...كما عرضت غزوات الرسول ﷺ وسراياه الكثيرة التي وصل عددها إلى/ ٢٧ / غزوة ، و / ٣٨ / سرية وبعث ...[2]

كما تحدثت عن تنزيل الآيات القرآنية ، وبيان أسباب النزول ، وتقرير الأحكام الشرعية وتتابعها ، سواء كانت في جانب العقيدة أو العبادة ، أو المعاملة ، أو الحدود أو الجهاد ، أو كانت في جانب الأخلاق

---

(١) انظر كتاب « الوثائق السياسية » جمع وتحقيق الأستاذ محمد حميد الله ص : (٥٩ ـ ٦٢) .

(٢) انظر « سيرة ابن هشام » (٤/٢٥٦ ـ ٢٥٧) .

والسلوك ... حتى تُوِّج ذلك [1] بقوله تعالى :

﴿ اليومَ أكمَلْتُ لكم دينَكم ، وأتْمَمْتُ عليكم نِعْمتي ، ورَضِيتُ لكم الإسلام ديناً ﴾ [2] .

كما عرضت كُتُبَ النبي ﷺ ورسائله التي التي بلغت أكثر من خمسين كتاباً ، حتى أفردها بعضهم في كتب خاصة [3] .

كما ذكرت رُسُلَ رسولِ الله ﷺ إلى الآفاق دعاةً معلمين ، وعاملين في الصدقات ... [4]

وذكرت الوفودَ التي وَفَدت على رسول الله ﷺ في المدينة حتى زاد عددها عن خمسة عشر وفداً ، وسميت سنة تِسْع من الهجرة « بسنة الوفود » لكثرة ما وَفَدَ فيها من وفود [5] .

كما تحدثت عن تجهيز الجيوش وتوجيهها إلى أنحاء الجزيرة وخارجها ، كما حدث بعد فتح مكة المكرمة من غزوة مؤتة ، وتبوك ، وتجهيز جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه ، وتوجيهه إلى أن يُوطئ الخيلَ تخومَ البلقاء والداروم من أرض فلسطين ... [6]

---

(١) انظر « تفسير القرطبي » المجلد (٣/ ٦١ ـ ٦٣) .

(٢) الآية / ٣ / من سورة المائدة .

(٣) راجع كتاب « إعلام السائلين ، عن كتب سيد المرسلين ﷺ » للإمام محمد بن طولون الدمشقي ، تحقيق : محمود الأرناؤوط ، ومراجعة عبد القادر الأرناؤوط ، ط : مؤسسة الرسالة .

(٤) انظر « سيرة ابن هشام » (٤/ ٢٤٦) .

(٥) انظر « سيرة ابن هشام » (٤/ ٢٠٥ ـ وما بعدها) .

(٦) انظر « سيرة ابن هشام » (٤/ ١٥ ـ ١٥٩ ـ ٢٥٣ ـ ٢٩١) .

وهكذا مَرَّ موكب الدعوة الإسلامية في زمنه ﷺ حتى وافى رسولَ الله ﷺ الأجل ، ولحق بالرفيق الأعلى بعد أن بلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء .

* * *

خاتمة في الملامح العامة للدعوة في زمنه ﷺ :

أ ـ الملامح العامة في العهد المكي :

يمكن للباحث في سير الدعوة الإسلامية في العهد المكي أن يقف على بعض الملامح العامة فيها ، فمن ذلك :

١ ـ الاهتمام بتبليغ الدعوة ، ونشرها سراً وجهراً ، بدءاً بالأقرب فالأقرب ، إنقاذاً للناس من الضلالة إلى الهدى ، وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور .

٢ ـ الاهتمام بتربية من استجاب للدعوة ، والعمل على تزكيتهم وتربيتهم على هدي الإسلام ، لبناء قاعدة إسلامية صلبة للدولة المسلمة ، وذلك عن طريق :

أ ـ تعليمهم دينهم ،

ب ـ وتطبيق الإسلام في حياتهم .

جـ ـ وتعميق معاني الأخوة فيما بينهم .

د ـ والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

٣ ـ الحرص على عدم المواجهة للأعداء بالقوة والاكتفاء بمواجهتهم بجهاد الدعوة ، قال تعالى :

﴿ وجاهِدْهُم به جِهَاداً كبيراً ﴾ (١) ، وذلك على الرغم من أذى الأعداء ، واستفزازاتهم المتكررة للمؤمنين ، موازنةً بين الإمكانات

---

(١) الآية / ٥٢ / من سورة الفرقان .

والواجبات ، وتَرْكِ المواجهة بالقوة إلى مرحلة مناسبة أخرى ، بل وصل الأمر إلى أن يصف رسول الله ﷺ بعض صحابته بالاستعجال في الأمور ، عندما شكوا إليه مايلاقون ، وطلبوا أن يدعو الله لهم بالفرج ، ففي الحديث الشريف :

« عن أبي عبد الله خَبّاب بن الأَرَتِّ رضي الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ ، وهو متوسد بُرْدَةً له في ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصرُ لنا ، ألا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيُجعلُ فيها ، ثم يؤتى بالمنشار ، فيوضَعُ على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويُمشَطُ بأمشاط الحديد مادونَ لحمه وعظمه ، مايَصدُّه ذلك عن دينه . والله ليُتمَّنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاءَ إلى حضرموت ، لايخاف إلا الله ، والذئبَ على غنمه ، ولكِنَّكُم تستعجلون »[1] .

٤ ـ الحركة بالدعوة ، وعدم الجمود بها على مكان نشأتها ، فقد توجه ﷺ نحو الطائف ، ثم هاجر إلى المدينة المنورة عندما استعصت عليه مكة المكرمة ،

٥ ـ استمرار العمل والتخطيط لمستقبل الدعوة ، كما فعل ﷺ فأرسل الرسل إلى المدينة المنورة ، وأخذ البيعة من أهل العقبة ، وأمر بالهجرة وخطط لها ، ثم نفذ كل ذلك تنفيذاً دقيقاً ... وذلك

---

(١) الحديث رواه البخاري انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٦١٩/٦) برقم (٣٦١٢) ، وانظر رقم (٣٨٥٢) ورقم (٦٩٤٣) ، كما رواه أبو داود انظر رقم (٢٦٤٩) ورواه النسائي ، انظر(٢٠٤/٨) .

أخذاً بالأسباب ، وموازنة بين الأخذ بها وبين الاتكال على الله والاعتماد عليه وحده .

إلى غير ذلك من ملامح ...

ب ـ الملامح العامة في العهد المدني :

كما يمكن للباحث الوقوف على بعض ملامح العهد المدني ، فمن ذلك :

١ ـ الاهتمام بمتابعة عملية التبليغ للدعوة ، والتربية والتزكية للمستجيبين لها ، وذلك عن طريق تلاوة آيات القرآن على الناس ، وتزكيتهم ، وتعليمهم الكتاب والحكمة ، والاهتمام ببناء المساجد وإعمارها ، وعقد الأخوة الخاصة بين المهاجرين والأنصار ، وتوثيق الصلات بينهم ...

٢ ـ الحرص على إقامة الدولة المسلمة عند اكتمال أركانها الثلاثة « أ ـ القاعدة الصلبة من المؤمنين ، ب ـ والأرض الملائمة ، جـ ـ والنظام الواضح » ، لأنها أكبر دعامة للدعوة ، وأهم مؤسسة رسمية من مؤسساتها ، قال تعالى :

﴿ الذين إنْ مَكَّنَّاهم في الأرض ، أَقاموا الصلاة ، وآتَوا الزكاة ، وأَمَروا بالمعروف ، ونَهَوا عن المنكر ، ولله عاقِبةُ الأمور ﴾ (١) .

---

(١) الآية / ٤١ / من سورة الحج .

٣ ـ الاهتمام بتطبيق الأحكام الشرعية على جميع المستويات الفردية والجماعية ، من إقامة الشعائر الإسلامية ، وتنفيذ الحدود ، والفصل بين الخصومات ، إقامةً لحكم الله في الأرض من جهة ، وتقديماً للنموذج الإسلامي الكامل ، الصالح لكل زمان ومكان ، من جهة أخرى .

٤ ـ مهادنة الأعداء المهادنين والمجاورين ، ومعايشتهم في ضوء نظام واضح يضبط العلاقات ، ويُطلعهم على محاسن الحياة الإسلامية ، ويعكس لهم الصورة الصحيحة المشرقة لها من جهة ، ويدعم استقرار الدولة المسلمة في نشأتها من جهة أخرى .

٥ ـ مجابهة الأعداء المحاربين ، وإرهاب المتربّصين في الداخل والخارج عن طريق السرايا والغزوات ، والإعداد المتواصل لذلك ، قال تعالى :

﴿ وأَعِدّوا لهم مااستطَعْتُم من قُوَّة ، ومن رِبَاطِ الخيل تُرهبونَ به عدوَّ الله وعدوكُم ، وآخَرين من دونهم لاتَعْلَمونَهم ، الله يَعْلَمُهم ، وماتُنْفِقوا من شيء في سبيل الله يُوفَّ إليكم وأنتم لاتُظلمون .. ﴾ (١) .

٦ ـ تحقيق عالَميّة الدعوة الإسلامية عن طريق الانطلاق بها في أكثر من اتجاه ، وعلى أكثر من صعيد ، عن طريق كتابة الرسائل ، وإرسال الرسل ، وبعث البعوث ، واستقبال الوفود ، وما إلى ذلك ...

---

(١) الآية / ٦٠ / من سورة الأنفال .

إلى غير ذلك من ملامح كثيرة يمكن أن يقف عليها المتمعن في سير الدعوة في العهد المدني ...[1]

وأختم حديثي عن الملامح العامة للدعوة في زمن الرسول ﷺ بعدة ملاحظات مفيدة ، ختم بها الأخ الأستاذ محمد منير الغضبان كتابه « المنهج الحركي للسيرة النبوية » فقال :

« وأخيراً ونحن نودع المنهج الحركي للسيرة النبوية ، نود أن نؤكد الخطوة التالية :

١ ـ سمات هذا المنهج في عهدَيْه ، ومراحله المتعددة ، منتزعةٌ من واقع المرحلة ، وارتباط الحلقات بعضها ببعض ، بحيث تمثل في النهاية كلاً متكاملاً يمثل حقيقة المرحلة .

٢ ـ قد تتكرر بعض السمات بين مرحلة وأخرى ، وتكرارُها يعني ديمومةَ هذه السمة ، وأنها تتجاوز المرحليّة لتكون أصلية في خط السير كله أو جُلّه .

٣ ـ والهدف من عرض هذا المنهج الحركي هو : أن تملك الحركة الإسلامية المعاصرة دليلَ عَمَلٍ تسير على ضوئه ، وتبني خطتها على خطاه .

٤ ـ ولكن هذا لايعني ضرورة التوافق والتطابق بين مَرْحليّة الحركة الإسلامية اليوم ، ومَرْحليَّتها في السيرة النبوية ، بل تَعْني في معظم الأحيان التشابه والتقارب ، وذلك لاختلاف الظروف

---

(١) راجع كتاب « المجتمع المدني في عهد النبوة » للأستاذ أكرم ضياء العمري ، الصادر عن المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية .

والأشخاص والأشياء بين عالمنا اليوم ، وعالم الدعوة الأولى .

٥ ـ وأهم ماأثمناه من خلال هذا المنهج ، هو : أن يتمكّن الدعاة في الحركة الإسلامية من التفريق بين الأسس الدائمة الثابتة ، وبين الخطوات المرحلية المتدرجة ، وأن لايَضَعوا أحكام مرحلة اكتمال الدين وانتصار الإسلام ، مَحلَّ أحكام مرحلة العهد السرّي بفرعيه ، ولو أن الدعاة حين يفاجؤون بواقع معين ، يختارون الشبه المناسب من المرحلة المناسبة ، لكانَ في ظني المنهج قد حقق هدفه الذي كتب من أجله ... الخ »[١] .

* * *

---

(١) القسم الثالث من كتاب « المنهج الحركي للسيرة النبوية » ص ٢٠٨ .

القسم الثاني :

٢ ـ الدعوة زمن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم :

امتدت الخلافة الراشدة ثلاثين عاماً من وفاته ﷺ عام /١٠/ هـ إلى مقتل علي رضي الله عنه عام /٤٠/ هـ .

فقد بويع أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة إِثْر وفاةِ رسول الله ﷺ، وكانت خلافته عامين وثلاثة أشهر وثمانية أيام [١] .

ثم خلفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وطالت خلافته عشر سنين وستة أشهر ونصف شهر [٢] .

ثم خلفه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وطالت خلافته اثني عشر عاماً كاملة غير عشرة أيام [٣] .

ثم خلفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وطالت خلافته خمس سنوات تقريباً [٤] .

وقد جاء في الحديث الشريف عن سفينةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) « جُمَل فتوح الإسلام » لابن حزم ، الرسالة الرابعة المطبوعة مع كتابه « جوامع السير » ص ٣٥٣ ، ط باكستان .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٥٤ .

(٣) المرجع السابق : ص ٣٥٤ .

(٤) المرجع السابق : ص ٣٥٥ .

« خِلافةُ النبوة ثلاثون سنة ، ثم يُؤتي الله الملك ، أو ملكه من يشاء » (١) .

وسأعرض في هذا المبحث ، سَيْر الدعوة الإسلامية في هذه الفترة المباركة ، التي تعد في حقيقتها امتداداً لسير الدعوة في زمن رسول الله ﷺ (٢) .

فقد استمرت حركة الدعوة الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين تبليغاً للإسلام ، وتعليماً له ، وتطبيقاً لأحكامه في حياة المسلمين ... حتى توسعت دائرة انتشار الإسلام توسعاً كبيراً ، وامتدت رقعة الدولة الإسلامية في عصور الخلفاء الأربعة ، ولاسيما في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، وتوقفت قليلاً في عهد علي رضي الله عنه ، حيث شُغِلَ المسلمون بالأحداث الداخلية والفتن ،

فبعد أن قضى أبو بكر رضي الله عنه على حركة المرتدين ، وقاتل مانعي الزكاة ، وأنفذ جيش أسامة رضي الله عنه ، وأعاد الاستقرار لدولة الإسلام ، بعد أن هددتها هذه الفتن ، استأنف رضي الله عنه حركة الفتوحات الإسلامية ، ووجه الجيوش إلى هنا وهناك ، تحمل دعوة الإسلام للناس ، وتجاهد لإعلاء كلمة الله في الأرض .

---

(١) الحديث رواه أبو داود والترمذي ، وقال عنه : هذا حديث حسن ، انظر سنن أبي داود رقم (٤٦٤٦) و (٤٦٤٧) (٣٦/٥) ط : دار الحديث تعليق الدعاس والسيد ، وانظر سنن الترمذي رقم (٢٣٢٦) في تحفة الأحوذي (٤٧٦/٦ و ٤٧٧ و ٤٧٨) ط الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف .

(٢) اعتمدتُ في معظم هذه الفترة على كتاب « تاريخ الدعوة ـ الجزء الثاني » للدكتور : جمعة علي الخولي ، الطبعة الأولى .

فوجّه « خالد بن الوليد » رضي الله عنه إلى أعالي العراق ، وأمره بأن يبدأ « بفرج الهند » وهي (الأبلة) وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عز وجل [(١)] .

فكتب « خالد » رضي الله عنه إلى « هرمز » حاكم الثغر في جنوب العراق كتاباً دعاه فيه إلى الإسلام أو الجزية أو القتال ، فلم يستجب له ، ودارت معركة على أرض « كاظمة » التي تعرف « بالكويت » حالياً ، عُرفت بمعركة « ذات السلاسل » وانتصر فيها المسلمون ، وقُتل « هرمز » ، وانتشر بعدها الإسلام شرقاً في « إيران » وشمالاً في « العراق » [(٢)] .

ثم انتصر المسلمون على أعدائهم في معركة « النهر » قرب « واسط » وغيرها ، حتى فتحوا « الحيرة » و « الأنبار » في غربي بغداد ، واستمروا في فتوحاتهم ، حتى استدعى أبوبكر رضي الله عنه خالدابن الوليد رضي الله عنه إلى الشام ، تقويةً لجيش المسلمين فيها [(٣)] .

ومضى خالد بن الوليد رضي الله عنه بركبه إلى بلاد الشام ليتابع عملية الفتوحات ، بعد أن ترك في العراق « المثنى بن حارثة » رضي الله عنه ، وجيشه ليتابع المهمة في أراضي العراق ، وخاض خالد رضي الله عنه عدة معارك في بلاد الشام مع « أبي عبيدة بن الجراح » رضي الله عنه ، حتى كانت معركة « اليرموك » الحاسمة التي هزم الأعداء فيها هزيمة منكرة [(٤)] .

---

(١) انظر « البداية والنهاية » (٣٤٢/٦) الطبعة الثانية .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢٤٨/٣) الطبعة الثانية لدار المعارف .

(٣) راجع تفصيل ذلك في كتاب « تاريخ الدعوة » د : جمعة علي الخولي « ٧٩/٢٠٠ » .

(٤) انظر « فتوح البلدان » ص : (١٤١) .

وفي هذه الأثناء توفي الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فتابع (عمر) هذه الفتوحات ، وأرسل الجيوش إلى العراق ، وكانت معركة « القادسية » عام /١٤/ هـ بقيادة « سعد بن أبي وقاص » رضي الله عنه ، فهزم « رستم » هزيمة ساحقة .

ثم استمر الزحف الإسلامي حتى وصل عاصمة الفرس « المدائن » واستولى المسلمون عليها عام /١٦/ هـ وصلى « سعد » رضي الله عنه مع جُنْده الفاتحين في قصر « كسرى أنوشروان »[١].

ثم تابع المسلمون فتحهم لأراضي العراق ، وهزموا الفرس ، وكان النصر الحاسم لهم في معركة « نهاوند » التي سُميت بـ « فتح الفتوح » على يد « حذيفة بن اليمان » رضي الله عنه . ثم تقدم المسلمون حتى فتحوا « أصْبهان » ومن بعدها « اصطخر » ومدن خراسان ...

واتجهت الجيوش الإسلامية بعد ذلك من إيران إلى بلاد ما وراء النهر ، فجالت في « فارس » وسواحل « الكرمان » ، حتى قاربت بلاد السند ، وصارت البلاد الفارسية كلها في نطاق الدولة الإسلامية .

أما في بلاد الشام ، فقد واصل المسلمون فتحهم لها بقيادة « أبي عبيدة بن الجراح » رضي الله عنه ، فلما انتهوا من فتح « الأردن » واصلوا سيرهم إلى « دمشق » ومنها إلى شمال سورية ، حتى لم يَبْقَ أمامهم في بلاد الشام ، إلا « بيت المقدس » ، فتوجه المسلمون إليه بقيادة « عمرو بن العاص » رضي الله عنه ، فطلب أهلها الصلح على أنْ

---

(١) انظر « فتوح البلدان » ص : (٢٩٩) .

يحضر أمير المؤمنين « عمر » رضي الله عنه ليتسلّم المدينة ، فجاء عمر رضي الله عنه ، وتسلّمها ودخلها وكتب لسكانها أماناً على أموالهم وأنفسهم وشعائر دينهم [١].

وكانت « مِصْر » قد عقدت صلحاً مع « عمرو بن العاص » رضي الله عنه ، وحاول أهلها نقضه في عهد « عثمان » رضي الله عنه ، فسار إليهم « عمرو » نفسه وأخضعهم .

ثم امتدت الفتوحات في عهد « عثمان » رضي الله عنه إلى « غرب إفريقية » ، وبلاد ما وراء النهر ، حتى وصل المسلمون إلى « كابل » في أفغانستان ، و « غَزْنَة » من بلاد الأتراك [٢] .

كما امتدت إلى « عمورية » و « أذربيجان » وأقصى بلاد « أرمينية » وأجزاء من طبرستان جنوبي بحر قزوين [٣] .

كما شمل الفتح أراضي « النوبة » و « بلاد السودان » في جنوب مصر ، واستخدم المسلمون الأساطيل البحرية في استيلائهم على جزيرة « قبرص » ومعظم جزر البحر الأبيض المتوسط ، وذلك عام /٢٨/ هـ على يد « معاوية بن أبي سفيان » رضي الله عنه [٤].

وقد رافَق هذا الامتدادَ الجغرافي للدعوة الإسلامية في هذا العهد الامتدادُ الفكري ، فدخل معظم أصحاب هذه البلاد المفتوحة في الإسلام ، ورأوا فيه خير منقذ لهم مما هم فيه ، وأفضل مصلح لأحوالهم ،

---

(١) انظر « الخطط » للمقريزي (٤٩٢/٢) ط : بيروت .
(٢) انظر « فتوح البلدان » ص : (٣٩٨) .
(٣) انظر « البداية والنهاية » (١٦٩/٧) .
(٤) انظر « فتوح البلدان » ص : (١٥٧ و ١٥٨) و « تاريخ الدعوة » للخولي(٩٣/٢) .

ولم تتوقف الحركة الفكرية الدعوية في هذا العهد يوماً ما ، وإنما نشطت فيه حركة العلم والتعليم ، واجتهد المسلمون في هذه المرحلة في الحفاظ على وحدتهم الثقافية والروحية التي كانت دعامة قوية لهذه الفتوحات ، وكان من أبرز جهودهم الفكرية في هذه المرحلة :

أ ـ حفاظهم على القرآن الكريم وجمعه أولاً في عهد « أبي بكر » رضي الله عنه ، وتوحيد المصاحف ثانياً في عهد « عثمان » رضي الله عنه [1] .

ب ـ حرصُهم على نشر العلم بين المسلمين ، ومحاربتهم الجهل بالإسلام ، فقد نَهلَ المسلمون الجدد من الصحابة الكرام الذين انتشروا في بقاع الأرض ، ولاسيما في عهد « عثمان »[2] رضي الله عنه ، تعاليمَ دينهم ، وانكبوا على حفظ كتاب ربهم ، وسنة نبيهم ﷺ ، وكانت هذه الفترة التاريخية من تاريخ الدعوة أهم الفترات بعد عهد رسول الله ﷺ ، حيث كانت حَلَقة الوصل بينه وبين العهود التالية ...

---

(١) انظر أحاديث جمع القران في زمن أبي بكر رضي الله عنه في « صحيح البخاري » رقم (٤٩٨٦) باب جمع القرآن ، وفي الفتح (٩/١٠ ـ ١١) . وأحاديث توحيد المصاحف زمن عثمان رضي الله عنه في « صحيح البخاري » رقم (٤٩٨٧) باب جمع القرآن ، وفي « الفتح » (١١/٩) .

(٢) كان (عمر) رضي الله عنه يمنع كبار الصحابة رضوان الله عليهم مِنْ مغادرة المدينة إلا برخصة منه مؤقتة ، نظراً لحاجته الشديدة إليهم في أيام خلافته ، ونظراً إلى الحاجة الراجحة الملحة لتوزّعهم في الأمصار لنقل هذا الإسلام في عهد « عثمان » رضي الله عنه ، وقد توسعت الرقعة الإسلامية توسعاً كبيراً ، أذن (عثمان) رضي الله عنه بذلك لهم . انظر « الفكر السامي » (٢/٢٦١) تعليق عبد العزيز القارئ .

لذا ، حرص أعداء الإسلام كثيراً على تشويهها ، واستغلال الأحداث والفتن التي حدثت فيها ، للطعن فيها ، حتى وصل الأمر بكثير من المستشرقين في القرن التاسع عشر إلى أن يفسر هذه الفتوحات الإسلامية تفسيراً مادياً ، ووصف الحروب الإسلامية بأنها حروب اقتصادية كان وراءها البحث عن العيش ووسائله ، إلى غير ذلك من أوصاف تابعهم عليها كثير من المستغربين ...[1]

* * *

(١) من المستشرقين الذين ردَّدوا هذه الشبهات والدعاوي : « كارل بروكلمان » الألماني في كتابه « تاريخ الشعوب الإسلامية » ، و « فراتر روزنتال » الإسباني في كتابه « آسبانيا الإسلامية » و « فيليب حتي » العربي الأميريكي في « تاريخ العرب العام » ، و « بارتولد » الروسي في كتابه « تركستان من الفتح العربي حتى الفتح المغولي » و « آرمينوس فابري » المجَريّ في كتابه « تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر » . وغيرهم ...

ومن العلماء الذين ردوا مثل هذه الشبهات ، وناقشوا هذه الدعاوى بأساليب مختلفة :

١ ـ الشيخ محمد الغزالي في كتابه « مع الله » من ص : (١٠٣ ـ ١٧٢) .

٢ ـ د : جمعة علي الخولي في كتابه « تاريخ الدعوة » (٢/ ٩٤ ـ ١٠٨) .

٣ ـ د : حسين مؤنس في كتابه « الإسلام الفاتح » ولاسيما من ص : (٥ ـ ٢٨) .

٤ ـ والشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه « الخلفاء الراشدون » من ص :(٦٤ ـ ٧٣) ط : دار الكتب العلمية ، لبنان . وغيرهم كثير .

المبحث الثالث

الدعوة في العهد الأموي، والعباسي، والعثماني :

ويتناول هذا البحث عرضاً موجزاً لتاريخ الدعوة الإسلامية في هذه العهود الثلاثة عهداً بعد عهد [١]، بدءاً بالعهد الأموي الذي بدأ عام /٤٠/ هـ بولاية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وانتهى بنهاية ولاية مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ـ رحمه الله ـ وقتله عام /١٣٢/ هـ [٢] .

ومروراً بالعهد العباسي الذي بدأ عام /١٣٢/ هـ بولاية أبي العباس عبد الله السفاح ـ رحمه الله ـ وانتهى بسقوط المستعصم بالله ـ رحمه الله ـ عام /٦٥٦/ هـ [٣] .

ونهايةً بالعهد العثماني الذي بدأ بتولي الأمير (عثمان بن أرطغرل) ـ رحمه الله تعالى ـ عام /٦٩٨/ هـ الموافق /١٢٩٩/ م بعد زوال دولة السلاجقة بمداهمة المغول ، وانتهى بسقوط الخلافة العثمانية عام /١٣٤٣/ هـ ، الموافق /١٩٢٤/ م [٤] .

---

(١) اعتمدتُ في هذا المبحث كثيراً على كتاب « تاريخ الدعوة » للدكتور : جمعة علي الخولي ، لوفائه بكثير مما أردت .

(٢) انظر « جمل فتوح الإسلام » ص/٣٥٦ ـ ٢٦٥/، و « تاريخ الأمم الإسلامية » للخضري الدولة الأموية (٢/٩٩) .

(٣) انظر « تاريخ الأمم الإسلامية » الدولة العباسية ص /٤٦ و ٤٨٠ و ٤٨٤/ .

(٤) انظر « تاريخ الدعوة » (٢/١٥٣ و ٢٩٦) و « معالم التاريخ الإسلامي المعاصر » لأنور الجندي ص ٢٦٤ ، مع ملاحظة أن هناك اختلافاً في تحديد بدء الدولة العثمانية بين المؤرخين .

١ ـ ففي العهد الأموي :

تابعت الدعوة الإسلامية امتدادها الجغرافي والفكري على السواء ، « فكان الجنود المسلمون يفتحون كل يوم أرضاً جديدة ، فيعقبهم العلماء بالفقه والتشريع والحديث والتفسير يشرحون الإسلام ، ويعلمون الناسَ قضاياه ، وقد تفرَّق هؤلاء في جميع أنحاء المملكة الإسلامية ، فهذا يرحل إلى مصر ، وذاك إلى الكوفة ، وثالث إلى الشام ، ورابع إلى إفريقية ... وهكذا .

فنتج عن ذلك حركةٌ علمية في كل بلد نزلوا فيها ، وتكونت مدارس العلم وحلقاته في كل مكان حتى أحدث ذلك حركة علمية سيطرت على الساحة الإسلامية كلها ، وربطت بين أبناء الحضارة الإسلامية برباط واحد ، ولقد نجح الإسلام في إذابة النعرات الجنسية والفوارق بين الأجناس ، وفي إنشاء كيان موحد تنمحي فيه الثارات ، وتقدم المسلمون عرباً وعجماً يخدمون دعوتهم ، ويبنون دولتهم ، وأصبح الموالي في البلاد المفتوحة يضارعون العرب الأقحاح ، ويبزونهم في التفوق العلمي ... »[1] .

ولم يخل الأمر من أناس حنقوا على الإسلام ، وتآمروا عليه ، لأنه أزال ملكهم ، وقوَّض دولتهم ، الأمر الذي ولَّد في التاريخ الإسلامي مايسمى (بالشعوبية) التي أساءت إلى الوحدة الإسلامية [2] .

كما نشأت بعض الفرق الضالة في هذا العصر ، كالقدرية والمرجئة وغيرها ، وتصدى لها علماء المسلمين ،

---

(١) انظر « تاريخ الدعوة » (١٢١/٢) .

(٢) انظر « تاريخ الدعوة » (١٢٣/٢) .

ولم تكن الدعوة الإسلامية في هذا العهد محصورة بأناس مُعيَّنين ، ولا دعاة مخصوصين ، وإنما كان كل فرد في الأمة تقريباً يشعر بواجب الدعوة عليه ، فيعمل على نشر الإسلام وتمكينه في الأرض .

وانتشرت في الأمة حلقات العلم والتعليم ، وأقبل الناس على العلماء والقصاص والوعاظ ، واشتهر من العلماء كثير من أمثال « الحسن البصري » ـ رضي الله عنه ـ وغيره من كبار التابعين .

كما اشتهر من القصاص والوعاظ أمثال : عبيد بن عمرو الليثي ، ومسلم بن جُنْدب الهذلي ، وسُلَيْم بن عِتْر التُّجِيبي وكان الوعظ والقصص على مستوى عالٍ من العلم والانضباط ، ثم ضعف أمره ، وتصدى له الجهلة ، يقول الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله :

« كان الوعاظ من قديم الزمان من العلماء الفقهاء ، وقد حضر عبد الله بن عمر رضي الله عنه مجلس (عبيد بن عمير) وكان عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه يحضر مجلس القاصّ مع العامة بعد الصلاة ، ويرفع يديه إذا رفع ، حتى إذا خَسُت هذه الصناعة ، تعرض لها الجهال ، فأعرض عن الحضور المميزون من الناس ، وتعلق بهم العوام ، فلم يتشاغلوا بالعلم ، وأقبلوا على القصص ومايعجب الجهلة »[1] .

كما نشطت الحركة العلمية اللغوية في هذا العهد حفاظاً على لغة القرآن الكريم من التأثر باللغات الأخرى ، وانتشار اللحن بسبب الخلطة بالعجم ، وكان من أبرز هذه الأنشطة ، وضع أبي الأسود الدؤلي ـ رحمه الله ـ لحركات وسكنات المصحف الشريف .

---

(١) انظر « كتاب القصاص والمذكرين » لابن الجوزي ص (٢٢) .

وذكر في سبب ذلك : أن أبا الأسود سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى : ﴿ واعلموا أن الله بريءٌ من المشركين ورَسولُه ﴾ قرأها بكسر اللام ، فأزعجه ذلك وقال : عَزَّ وجه الله أن يبرأ من رسوله ، ثم عرض الأمر على « زياد » والي البصرة ، فطلب منه أن يضع هذه الحركات والسكنات (١) .

كما عظمت في هذا العهد العناية بالحديث النبوي ، رواية ودراسة ، وجمعاً وتدويناً ، ورحلةً في طلبه ، حتى حفظ المسلمون بذلك المصدرين الأساسيين للشريعة « الكتاب والسنة » ، إلى غير ذلك من أنشطة علمية وفكرية ...

هذا عن الامتداد الفكري والعلمي ، أما عن الامتداد الجغرافي وتوسع الفتوحات ، فقد امتدت الدعوة الإسلامية في هذا العهد في ميادين ثلاثة :

١ ـ في آسيا الصغرى وفي بلاد الروم :

فقد تقدم الأمويون من عاصمتهم « دمشق » لتأمين الثغور الإسلامية ونشر الإسلام في جزر البحر الأبيض المتوسط ، واستخدموا في ذلك أسطولاً ضخماً عدته /١٧٠٠/ سفينة ، فاستولوا على كثير منها . ثم تقدموا نحو القسطنطينية ، وحاصروها سبع سنوات دون أن يتمكنوا من فتحها (٢) .

---

(١) انظر « تاريخ توثيق نص القرآن الكريم » لخالد العك ص ١١٣ ، و « تاريخ الدعوة » (١٣١/٢) .

(٢) انظر « تاريخ الدعوة » (١٤١/٢) .

٢ ـ في شمال إفريقية والأندلس :

واصل « عقبة بن نافع » رضي الله عنه نشاطه في زمن الخليفة (عثمان بن عفان) رضي الله عنه ، حتى خضعت له (طرابلس الغرب) ، ثم سار جنوباً حتى وصل إلى بلاد السودان ، واستمر حتى أنشأ مدينة « القيروان » عام /٥٠/ هـ وجعلها مركزاً أساسياً [١] . ثم تابع نشاطه حتى وصل إلى ساحل المحيط الأطلسي واستشهد هناك .

ثم فتح « موسى بن نصير » ـ رحمه الله تعالى ـ (طنجة) ، وخضعت له مدينة (سَبْتة) على الساحل الإفريقي ، وفي عهد (عمرابن عبد العزيز) رحمه الله تعالى ، انتشرت الدعوة الإسلامية ، واللغة العربية بين البربر ، ورتَّبَ عمر رضي الله عنه لذلك عشرة فقهاء من أعيان التابعين عام /١٠٠/ هـ ، فانتشروا في أنحاء الولاية ، وأقبل الناس على الإسلام إقبالاً كبيراً ...

كما تابع « موسى بن نصير » طريقه إلى بلاد الأندلس ، وأصبحت « قرطبة ، وغرناطة ، وطليطلة » وغيرها معاقل للمسلمين ، أقاموا فيها حضارة علمية وثقافية وعمرانية استمرت أكثر من ثمانية قرون .

كما واصل المسلمون فتحهم حتى وصلوا إلى « فرنسا » قريباً من باريس في عهد (عبد الرحمن الغافقي) ـ رحمه الله تعالى ـ عام /١١٢/ هـ . وكانت معركة « بلاط الشهداء عام /١١٤/ هـ التي استشهد فيها عبد الرحمن ، وتراجع فيها جيشه بعد صراع طويل [٢] .

---

(١) انظر « فتوح البلدان » ص (٢٣٠) و « تاريخ الطبري » (٧٨/٤) و « تاريخ الدعوة » (١٤٢/٢) .

(٢) انظر « المجمل في تاريخ الأندلس » ص (٥٨ ـ ٦٠) و « تاريخ الدعوة »(١٤٣/٢) .

٣ ـ في السِّند وما وراء النهر :

سلكت حركة الدعوة الإسلامية في هذا الميدان خطين :

أ ـ في الشمال الشرقي : حيث بلاد ما وراء النهر ، أو مابين النهرين (جيحون وسيحون) فقد واصل المسلمون الفتح على يد « عبيد ابن زياد بن أبيه ، وقتيبة بن مسلم » وغيرهم ، واستطاع (قتيبةُ) أن يواصل فتوحاته حتى عَمَّت جميع البلاد الواقعة بين النهرين ، وحطم هناك الأصنام وحرقها ، ودخل على يده كثير من الناس في الإسلام . ودخل (كاشغر) بالصين (١) .

ب ـ في الجنوب الشرقي مِنْ جبهة السند : حيث اتجه « محمد بن القاسم الثقفي » ـ رحمه الله تعالى ـ إلى هذه البلاد عن طريق البر والبحر ، وانتصر على الملك « داهر » وواصل طريقه إلى « كشمير » في شمال السند (٢).

٢ ـ وفي العهد العباسي :

كانت الدعوة الإسلامية قوية في العصر الأول من هذا العهد ، ثم ضعفت بضعف الخلافة فيه في العصر الثاني ، وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم العهد العباسي إلى عصرين :

الأول : من عام (١٣٢ هـ ـ ٤٤٧ هـ) .

الثاني : من عام (٤٤٧ هـ ـ ٦٥٦ هـ) .

---

(١) انظر « فتوح البلدان » ص : (٤١١) ، و « تاريخ الدعوة » (١٤٤/٢) .

(٢) انظر « فتوح البلدان » ص : (١٢٣...) ، و « تاريخ الدعوة » (١٤٥/٢) .

إلا أن هذا الضعف على المستوى الرسمي لم يؤثر كثيراً على الدعوة في المستوى الشعبي ، حيث قام العلماء والدعاة بواجبهم ، فلم تنقطع حلقات العلم والتعليم والوعظ ، ولم تتوقف حركة الرواية والتصنيف ...

وكان إقبال الناس على العلماء كبيراً ، حيث قيض الله لهم في هذا العهد أمثال الأئمة الأربعة ، وابن المبارك وسفيان الثوري ـ رحمهم الله تعالى ـ وغيرهم كثير ممن نشطت على أيديهم حركة الفقه والاستنباط التي استوعبت حياة المسلمين ومتطلبات عصرهم المتطورة ،

كما كان منهم أمثال الإمام البخاري والإمام مسلم ، وأصحاب السنن الأربعة ... كما كان منهم كثير من علماء السيرة والتاريخ واللغة ...[1]

وذخرت مساجد بغداد والبصرة والكوفة بكثير من العلماء والوعاظ والزهاد الذين كان لهم أكبر الأثر في إشاعة الإيمان والعلم ، والوقوف أمام التيار الجارف من المجون والترف الذي دخل في حياة المسلمين .

أما الامتداد الجغرافي في هذا العهد : فقد كاد يتوقف نظراً لما انتاب الجبهة الداخلية من تفسخ وتمزق ، مما صرف الخلفاء العباسيين عن متابعة الفتوحات .

فقد اهتم الخلفاء في المرحلة الأولى بالاحتفاظ بالرقعة الإسلامية الكبرى التي وصل إليها الإسلام ، وبتأمين حدودها ، وصَدّ الغارات عليها ، فأقاموا حملاتٍ منظمة في الصيف والشتاء على حدود الدولة ، إظهاراً للقوة وإرهاباً للعدو ، عرفت بنظام (الصوائف والشواتي) .

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١٠/١٥٦) ، و « سِيَر أعلام النبلاء » (٨/٣٨٤) ، و « تاريخ الدعوة » (٢/١٥٢) .

ويُمثِّلُ عهد (المنصور ، والمهدي ، والرشيد ، والمعتصم وغيرهم من خلفاء العصر الأول) عهدَ القوة والظهور ، كما يمثل عهد من بعدهم في العصر الثاني عهد الضعْف والاسترخاء ، حيث عَمَّ البذخ والترف على المستوى الرسمي .

وكان من فضل الله عز وجل على هذه الأمة ، أن بقيت الدعوة قوية نشطة في الجانب الفكري العلمي ، فانطلق الدعاة والعلماء في مهمتهم ، حتى أسلم في هذا العهد ثلث الهند ، وجمهور كبير من أهل الصين [1] .

وإن أي نظرة فاحصة متتبعة لكتب السير والتراجم لتؤكد هذا المعنى ، وتبرز هذا الجانب المشرق في هذا العهد .

٣ ـ وفي العهد العثماني :

تابعت الخلافة العثمانية مسيرة الدعوة الإسلامية ، وكانت قوية في مبدئها ، ثم دبَّ فيها الضعف بضعف الخلافة الإسلامية ...

فقد بيَّنَ مؤسسها الأمير « عثمان بن أرطغرل » ـ رحمه الله تعالى ـ في وصيته لابنه (أورخان) غايةَ قيام هذه الدولة الفتية ، فقال في وصيته :

« يابني : إياك أن تشتغل بشيء لم يأمر به الله رب العالمين ، وإذا واجهتك في الحكم معضلةٌ فاتخذ من مشورة علماء الدين موئلاً ،

يابني : أَحِط من أطاعك بالإعزاز ، وأَنْعِم على الجنود ، ولا يَغرنَّكَ الشيطان بجندك وبمالك ، وإياك أن تبتعد عن أهل الشريعة ،

(١) انظر « تاريخ الدعوة » (١٥١/٢) .

يابني : إنك تعلم أن غايتنا هي : إرضاء الله رب العالمين ، وأن بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق ، فتحدث مرضاةُ الله جلّ جلاله ،

يابني : لَسْنَا من هؤلاء الذين يقيمون الحرب لشهوة حكم أو سيطرة أفراد ، فنحن بالإسلام نحيا ، وللإسلام نموت ، وهذا ياولدي ماأنت أهل له » [1] .

وهكذا قامت هذه الدولة على أساس الإسلام ، وعملت لإعلاء كلمة الله في الأرض حتى بلغت أوج قوتها في عهد (محمد الفاتح) ـ رحمه الله تعالى ـ عام /٨٥٥ هـ ـ ١٤٥١ م/ حيث استأنف رحمه الله المدَّ الإسلامي ، وفتح القسطنطينية عام /٨٥٧/ هـ ، وشبه جزيرة المورة ، وبلاد ألبانيا إلى حدود البندقية ، حتى صار البحر الأحمر والأبيض والأسود بحيرات إسلامية تقريباً .

ولم يأت القرن العاشر إلا والدولة العثمانية تضم تحت لوائها العالم العربي والإسلامي ، وآسيا الصغرى ، ومقدونيا وصوفيا ، وسالونيك ، وجميع القسم الشمالي من اليونان ، وأغلب بلاد البلقان ، ووضع المسلمون أقدامهم على بحر (الإيدراتيك) .

كما استولت على « بلجراد » عام /١٥٢١/ م في عهد سليمان ابن السلطان سليم ، وعلى « رودس » عام /١٥٢٢/ م ، وحاصر سليمان « فينّا » ثم تراجع عنها ، كما انتصر على « المجر » ودخل « بودابست » عام /٩٥٠/ م .

وصارت المدفعية العثمانية عام /١٧٠٠/ م أقوى مدفعية في

---

(١) انظرها مترجمة في كتاب « العثمانيون في التاريخ والحضارة » للدكتور محمد حرب ص ١٦ الطبعة الأولى نشر دار القلم .

العالم ، وظل الأسطول العثماني حتى سنة /١٨٦٦/ م هو الأسطول الثالث في العالم قوةً بعد الأسطولين الانجليزي والفرنسي .

ومع بداية القرن الحادي عشر الهجري أي (منتصف القرن السادس عشر الميلادي) تجمعت عوامل عدة أوقفت تقدم العثمانيين ، وجعلت سلطانهم يتقلص حتى انهار في النهاية ،

ويرى بعض الباحثين أن أهم هذه العوامل هي :

١ ـ عدم مواكبة الحركة العلمية والثقافية للفتح العثماني في نشر علوم الدين واللغة بين أهل البلاد المفتوحة ، فلم يُعنَ العثمانيون بذلك ، كما لم يُعنوا العناية الكافية باللغة العربية لغة القرآن الكريم ، مما جعل بين الناس وبين المصادر الإسلامية الأساسية فجوة كبيرة ، انتشرت من خلالها البدع والخرافات ، وأبعدت الناس عن المنهج الإسلامي الصحيح .

٢ ـ شيوع كثير من الانحرافات والفساد في الجبهة الداخلية ، كفساد الإدارة ، وانتشار السرقات ، وذيوع الرشوة ...

٣ ـ سيادة الاستبداد والحكم الفردي ، وغياب الشورى ، ...

٤ ـ التخطيط الصليبي والصهيوني لضرب الإسلام والمسلمين في أعظم مؤسساتهم الدعوية وهي « الدولة » ونظام « الخلافة » مستفيدين من ضعف المسلمين ، فظهرت القوميات المتنوعة التي ساعدت على الانهيار ...

وعلى الرغم من حرص السلطان (عبد الحميد) ـ رحمه الله تعالى ـ على بث روح الحياة من جديد ، إلا أن الأخطاء الكبيرة المتراكمة أبطلت مفعول المحاولة ، وهبطت بالأمة إلى القاع ، وسَهَّلتْ على دول الاستعمار

التوثب والسَيْطرة على ممتلكات الخلافة في كل مكان ...[1]

ولايعني هذا الضعف توقف الدعوة كلياً في الجانب الفكري والعلمي ، فقد كان للعثمانيين جهودهم الكبيرة في مجالات العلم والتعليم والاقتصاد ... وظهر فيهم عدد كبير من العلماء في مختلف العلوم الإسلامية تابعوا مسيرة الحركة الدعوية الفكرية ، وها هي المكتبات الإسلامية الكثيرة في تركيا وغيرها حافلة بتراثهم وتصنيفاتهم ...

كما ظهر في الدولة العثمانية دعاة مصلحون ، حاولوا الإصلاح ، وأنذروا الناس بين حين وآخر ، وحفظوا على الناس دينهم بالقدر الذي أمكنهم ، ولازلنا نحن المسلمين نجهل كثيراً من تاريخهم وأخبارهم ...

ولا أنسى في نهاية الحديث عن العهد العثماني أن أشير إلى ماحدث من تشويه كبير مُتَعَمَّدٍ لتاريخ هذا العهد ، وذلك على أيدي أعداء الإسلام في العصر الحديث ، ولاسيما من قبل المستشرقين والمستغربين الذين حقدوا على الحركة الجهادية في عهد العثمانيين التي دكت حصونهم وهددت وجودهم ، مما يجعلنا نؤكد على ضرورة التحفظ في قراءة تاريخهم ، والاكتفاء بالمصادر الموثوقة في ذلك . وقد بدأت والحمد لله كتابات جديدة مفيدة تجلّي جانباً من تاريخهم المجيد على الرغم من الاعتراف بالأخطاء والضعف[2] .

---

(١) انظر « تاريخ الدعوة » (٢/١٥٤ ـ ١٥٧) .

(٢) من أنفع ماوقفت عليه في ذلك كتاب « العثمانيون في التاريخ والحضارة » للدكتور : محمد حرب ، المتخصص في هذا المجال ، وهو كتاب زاد على / ٤٥٠/ صفحة ، عرض فيه المؤلف جوانب هامة في تاريخهم ، وناقش كثيراً من الأخطاء والشبهات حوله ، جزى الله مؤلفه خيراً .

المبحث الرابع

الدعوة في العصر الحديث :

ويبدأ من سقوط الخلافة عام (١٩٢٤ م) إلى يومنا هذا ...(١)

تصعب الكتابة في تاريخ الدعوة في العصر الحديث نظراً لتشتت المعلومات في ذلك ، وتعدد الميادين والمجالات الدعوية من جهة ، ونظراً لعدم توفر دراسات متخصصة شاملة لهذا العصر من جهة أخرى (٢) .

وذلك لأن تاريخ الدعوة يشمل تاريخ كل حركة دعوية : فردية أو جماعية ، رسمية أو شعبية ، تبليغية أو تعليمية ، أو تطبيقية ، سواء كانت هذه الحركة في بلاد العرب أو بلاد العجم من بلاد المسلمين ، أو كانت نشاطات دعوية في البلاد الإسلامية وغيرها ... وهذا ميدان فسيحٌ واسع تصعب الإحاطة به .

---

(١) تختلف آراء المؤرخين في تحديد مبدأ العصر الحديث في التاريخ الإسلامي ، تبعاً لنظراتهم التاريخية ، وقد اخترت في هذا المقام هذا التحديد ، انسجاماً مع طبيعة الموضوع ، إذ أن سقوط الخلافة الإسلامية يُعدُّ ملمحاً أساسياً في تاريخ الدعوة ، وحَدَثاً هاماً من أحداثها يميز الفترة اللاحقة عن السابقة من أوجه عديدة .

(٢) يستفاد في هذا المجال من أمثال كتاب : « معالم التاريخ الإسلامي المعاصر » من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية ظهرت خلال القرن الرابع عشر الهجري للأستاذ أنور الجندي ، توزيع دار الإصلاح للطبع والنشر ، وكتاب « واقعنا المعاصر » للأستاذ محمد قطب ، نشر مؤسسة المدينة للصحافة ، وكتاب « رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر » للأستاذ محمد قطب ، نشر « دار الوطن » ، وكتاب « حركة الجامعة الإسلامية » لأحمد فهد بركات الشوابكة ، نشر مكتبة المنار ــ عمان .

فقد تناول بعض الكاتبين في تاريخ الدعوة تاريخ داعية من دعاة هذا العصر ، كما كتب بعضهم عن الإمام حسن البنا ، والمودودي وغيرهما من الدعاة الموزعين في العالم الإسلامي ، وتناول آخرون تاريخ حركةٍ من الحركات الدعوية ، أو جماعة من الجماعات الإسلامية ، كما كتب بعضهم عن حركة الإخوان المسلمين ، وحركة الجماعة الإسلامية وغيرها من الحركات الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي . وتناول آخرون تاريخ الدعوة في قطر من أقطار العالم الإسلامي بوجه عام ، كما فعل بعضهم في الكتابة عن الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية [١] ، وآخرون عن الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الإفريقي [٢] ، وغيرهم كثير ...

ولايمكن لكتابة من هذه الكتابات السابقة أن ترسم صورة كاملة لحركة الدعوة في هذا العصر ، وإنما يمكن لمجموعها متكاملة أن تحقق شيئاً من ذلك .

لذا ، رأيت الاكتفاء في هذا المدخل ـ بعد عرض هذه المشكلة ـ بالوقوف على بعض الملامح العامة للدعوة في هذا العصر ، والإشارة إلى بعض المعالم البارزة والدروس والعبر من واقع الحركة الدعوية فيه .

ومن هذه الملامح والمعالم والدروس :

١ ـ لم تتوقف حركة الدعوة الإسلامية في هذا العصر ، سواء على نطاق التبليغ والنشر للإسلام ، أو على نطاق تعليمه وتبيينه للناس ،

---

(١) الكتاب للدكتور : محيي الدين الألوائي ، نشر دار القلم ، دمشق .

(٢) الكتاب للدكتور : علي الشيخ أحمد أبوبكر ، نشر دار « أمية للنشر والتوزيع » الرياض .

أو على نطاق تطبيقه في الحياة الشخصية والحياة العامة ... وذلك على الرغم من الصدمة الكبرى التي أصيبت بها الدعوة الإسلامية بسقوط الخلافة الإسلامية على أيدي أعداء المسلمين ، وتوزع الأمة بعدها إلى دويلات متعددة ، وتداعي الأمم الاستعمارية عليها ... وإن كانت هذه الحركة تتفاوت قوةً وضعفاً من مكان إلى مكان ، وزمن إلى آخر ،

فإن الله عز وجل الذي وعد بحفظ هذا القرآن ، وإظهار هذا الدين ، هيأ له دعاةً عاملين ، وعلماءَ ربانيين قاموا بواجب الدعوة ، فحفظوا على الناس دينهم ، وأيقظوا كثيراً من الغافلين من سباتهم ، ولاقوا في سبيل ذلك مالاقوا من عذاب وتشتيت وتقتيل ، فصبروا وصابروا ...

٢ ـ تنوعت أشكال الحركة الدعوية في هذا العصر تنوعاً كبيراً ، فكان منها الحركات الفردية التي قامت على أيدي العلماء الربانيين ، والدعاة العاملين المنتشرين هنا وهناك ، كما كان منها الحركات الجماعية التي اتخذت شكل المنظمات والجماعات التنظيمية ، وتنوعت هذه المنظمات والجماعات إلى منظماتٍ شعبيةٍ أسَّسها أفراد عاملون من أبناء هذه الأمة ، ومنظماتٍ رسمية انبثقت عن الدول الإسلامية القائمة ، ولاسيما التي لم يدخل إلى بلادها الاستعمار مباشرة ، فقد ساهمت هذه الحركات جميعها في تسيير موكب الدعوة هنا وهناك ، حتى لايكاد يخلو قطر من أقطار المسلمين من مثل هذه الحركات ...

٣ ـ كما تنوعت مناهج وأساليب هذه الحركات الدعوية ، فكان منها دعوات شاملة وأخرى جزئية ، كما كان منها المنظمات التربوية والتبليغية والفكرية والسياسية وما إلى ذلك ... مما جعل بعض هذه الجماعات يركز على جانب أكثر من غيره ، كما جعل كل جماعة تختار من المناهج والأساليب الدعوية مايتناسب مع طبيعتها وأهدافها ... وجعل الناس المهتمين بالدعوة يتوزعون بين هذه الجماعات كل بحسب اهتماماته واستعداداته وإمكاناته من جهة ، وتبعاً للظروف العامة والخاصة التي أحاطت بهذه الجماعات والمنظمات من جهة أخرى .

وقد كان لهذا التنوع والتعدد بعض الإيجابيات في العمل الإسلامي ، ولم يخل الأمر كذلك من كثير من السلبيات (١) .

٤ ـ وقعت كثير من هذه الحركات الدعوية : الفردية والجماعية في أخطاء عملية عديدة ، وبأسباب متنوعة : داخلية وخارجية ، أضرَّت بالعمل الإسلامي كثيراً ، وأفقدت بعض الحركات والجماعات حيويَّتها ومصداقيتها عند كثير من الناس ، وجعلتها تعيش في عزلة نسبية عن ميادينها الحقيقية ، وكان من أبرز هذه الأخطاء : التقوقع على الذات ، والتعجل بالخطوات ، والانفراد بالقرارات العامة الهامة ، والتجاوب مع الاستفزازات ، والوقوع في شباك الاحتواءات ، وما إلى ذلك من أخطاء لايزال كثير منها يتكرر

(١) أشرتُ في كتابي « وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع » إلى عدد من هذه الإيجابيات والسلبيات ، وبينت طريقة معالجة تلك السلبيات ، فليرجع إليه من شاء .

في ساحات العمل الإسلامي دون أن يفيد العاملون من تجارب غيرهم ، ويتجنبوا أخطاءهم ...

٥ ـ كما أصيب كثير من العاملين في صفوف الدعوة على مختلف مستوياتهم بالمهلكات الثلاث أو بعضها ، التي لايُجدي معها قول ولا حركة ، وتُعدُّ من أخطر الأمراض الجماعية والاجتماعية ، وقد حذر منها رسول الله ﷺ بأساليب متعددة ، فقال :

« ... حتى إذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً ، وهَوى مُتَّبعاً ، ودُنيا مُؤْثَرة ، وإعجابَ كل ذي رَأيٍ برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوامّ ... » [1] .

حتى وصل الأمر إلى أنك إذا وجدت من سَلِمَ من واحدة منهن أو اثنتين ، فقلما تجد من يسلم من الثالة وهي « الإعجاب بالرأي » .

٦ ـ واجهت هذه الحركات الدعوية : الفردية والجماعية على مختلف أشكالها تحديات صعبةً وهجمات شرسةً من قبل الأعداء المتربصين بها ، الذين عملوا على إسقاط الخلافة وخططوا للقضاء على الإسلام والمسلمين ، فسادَ الأمةَ الإسلامية أشكالٌ من الغزو العسكري والسياسي والاقتصادي والفكري والاجتماعي ، مما وسّع على العمل الدعوي المشكلة ، وعدَّد أمامه الجبهات ، وأدخل الحركات الإسلامية في صراعات متعددة لا قِبَلَ لها بها ، وذلك لغفلة من الدعاة عن تخطيط أعدائهم ، وضعفٍ في استعداداتهم ،

---

(١) الحديث رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وغيرهم بألفاظ متقاربة ، وقال عنه : حَسَنٌ غريب . انظر « سنن الترمذي »(٨/٢٢٢) ورقم (٣٠٦٠) الطبعة الحمصية ، وانظر « سنن ابن ماجه » (٢/١٣٣١) « وسنن أبي داود » (٤/٢١٣) .

وتفرق صَفّهم ، مما أضعف أثر دعوتهم في حياة الأمة ، وجَرَّهم إلى مِحَنٍ متوالية لا حصر لها ...

٧ ـ على الرغم من صعوبة التحديات التي واجهتها الدعوة في هذا العصر ، وتعدد الجبهات أمامها من جهة ، وعلى الرغم من أخطاء كثير من الدعاة والمصلحين من جهة أخرى ، خَلّف العمل الإسلامي نتائج هامة ، وآثاراً كبيرة على بعض المستويات وفي مختلف الميادين ، تصلح أساساً قوياً للنهوض بالأمة الإسلامية ، وتصحيح مسار الحركة الدعوية ، إذا ما دُرِسَت هذه التجارب دراسة وافية ، وتعاون العاملون والمصلحون فيما بينهم على تصحيح الأخطاء ، وتطوير أساليب العمل بما يتناسب وعصرهم ، ويوازن بين إمكاناتهم وواجباتهم ...

٨ ـ استطاع الأعداء غزوَ الأمة في عُقر دارها عن طريقين أساسيين :

أ ـ عن طريق إفساد نخبة من أبنائها الذي وفدوا ، أو ابتعثوا إلى الغرب أو الشرق ، فحمل كثير من هؤلاء سموم أعدائهم ، وشبهات المستشرقين حول إسلامهم ، وعادوا وقد صُنِعُوا على أعينهم ليكونوا في مراكز القيادة والتوجيه ...

ب ـ وعن طريق ركائز محلّية ربّاها الاستعمار في بلاد المسلمين تربية خاصة ، ليكونوا خلفاً لهم بعد جلائهم أو إخراجهم ، وخططوا لهم ، وتابعوا دعمهم وتأييدهم ، وتبادلوا المصالح فيما بينهم ...

ففعل هؤلاء وأولئك في بلاد المسلمين مالم يفعله المستعمرون الأصليون ، والأعداء المكشوفون ... ولاقت الدعوة الإسلامية

في مواجهة هؤلاء مالم تلقه في مواجهة كثير من المستعمرين أيام استعمارهم !

٩ ـ ومع كل ذلك ، فإن مشكلة الدعوة الإسلامية اليوم مشكلةٌ داخلية ذاتية ، قبل أن تكون مشكلة خارجية ، لأن عداء غير المسلمين للإسلام سنة ثابتة ، وتتلخص المشكلة الداخلية في ثلاثة أمور :

أ ـ القصور في المناهج ،

ب ـ الأخطاء في الأساليب .

حـ ـ الضعف في الوسائل .

وإذا عولج قصور المناهج بالتخطيط السليم المتوازن ، وصُحِّحت الأساليب الدعوية ، واختير منها ما يصلح لكل موقف ، وقويت وسائل الدعوة المعنوية والمادية ، لم يقف أمام الدعوة الإسلامية عدو مهما كانت قوته ، أو عظم مكره ... وسيأتي معنا في بحث المناهج والأساليب والوسائل ما يوضح هذا الأمر ـ إن شاء الله ـ

١٠ ـ إن حاضر العالم الإسلامي اليوم يحمل بين طيّاته بشائر النصر الإلهي للدعوة الإسلامية ، وذلك إذا وعى المسلمون واقعهم ، وعملوا وصبروا وصابروا في طريق دعوتهم ... ولعل أهم هذه الخطوط التي يمكن أن تعين في محاولة استخلاص صورة مبشرة بالمستقبل ، ما حَدَّده الأستاذ : محمد قطب ـ حفظه الله ـ في كتابه : « رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر » . وهو :

أ ـ انهيار الشيوعية .

ب ـ عوامل التفسّخ في المجتمعات المعاصرة .

جـ ـ الكتل المتصارعة داخل المعسكر الجاهلي .

د ـ الصحوة الإسلامية .

وقد تحدث عن هذه الخطوط حديثاً مفصلاً يَحسُن الرجوع إليه [1] .

١١ ـ وإذا كانت تلك الخطوط السابقة مبشرات بنصر الدعوة الإسلامية ، فإن في كتاب الله العزيز الحكيم ، وسنة نبيه الكريم وعوداً صادقة مشروطةً لايمكن أن تتخلف أبداً ،

من ذلك قوله تعالى :

﴿ هو الذي أرسَلَ رسولَه بالهُدى ودينِ الحَقِّ ، ليُظْهِرَه على الدين كُلِّهِ ، ولو كَرِهَ المشركون ﴾ [2] .

﴿ هو الذي أرسَل رسولَه بالهُدى ودينِ الحَقِّ ، ليُظْهِرَه على الدين كُلِّهِ وكفى بالله شهيداً ﴾ [3] .

وقوله تعالى :

﴿ ... وإنْ تَصْبِروا وتَتَّقوا ، لايَضُرُكم كيدُهم شيئاً ، إن الله بما يَعْملون محيط ﴾ [4] .

وقوله تعالى :

﴿ وَعَدَ الله الذين آمنوا مِنكم ، وعَمِلوا الصالحات ليَسْتخلفَنَّهم في الأرض كما اسْتَخْلفَ الذين من قَبْلهم ،

---

(١) « رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر » ص : (٢٠٣ ـ ٢٥١) .

(٢) الآية / ٣٣ / من سورة التوبة ، والآية / ٩ / من سورة الصف .

(٣) الآية / ٢٨ / من سورة الفتح .

(٤) الآية / ١٢٠ / من سورة آل عمران .

ولَيُمكِنَنَّ لهم دينَهم الذي ارتضى لهم، وليُبَدِّلَنَّهم من بعد خَوْفهم أمْناً، يَعبدونَني لايُشركون بي شيئاً، ومَنْ كَفَر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم تُرحمون * لاتَحَسبنَّ الذين كفروا مُعْجِزين في الأرض، ومأواهم النارُ ولبِئْسَ المصير ﴾ [1].

وجاء في الحديث الشريف:

« لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهودَ، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يامسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغَرْقد، فإنه من شجر اليهود »[2].

وجاء في الحديث الآخر:

« تكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكاً عاضّاً، فيكون ماشاء أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكاً جَبْرية، فتكون ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت ... »[3].

---

(١) الآية / ٥٥ ـ ٥٧ / من سورة النور.

(٢) الحديث رواه البخاري ومسلم بألفاظ متفاوتة، وهذا لفظ مسلم، انظر شرح مسلم للنووي المجلد (٦/٤٤ ـ ٤٥) وانظر صحيح البخاري مع الفتح رقم (٢٩٢٦)(٦/١٠٣).

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في « المسند » (٤/٢٧٣)، وذكره في « مجمع الزوائد » =

إلى غير ذلك من ملامح ومعالم ودروس وعبر يستخلصها المتتبع لتاريخ الدعوة في هذا العصر [1].

* * *

= (١٨٨/٥ ـ ١٨٩) ثم قال : « رواه أحمد في ترجمة النعمان ، والبزار أتم منه ، والطبراني ببعضه في الأوسط ، ورجاله ثقات » .

(١) راجع رسالة « الدعوة الإسلامية والإنقاذ العالمي » للشيخ عبد الله علوان ، نشر دار الإسلام .

الفصل الثاني

أصول الدعوة

ويشتمل على مقدمة ، ومبحثين :

١ ـ أدلة الدعوة ومصادرها .

٢ ـ أركان الدعوة : الداعي ، المدعو ، موضوع الدعوة .

مقدمة بين يدي أصول الدعوة

إذا كانت أصول العلوم تعني : قواعدها وأسسها التي تبنى عليها أحكامها ، فإن أصول الدعوة تَعني : تلك القواعد والأسس ، والمبادئ التي تبنى عليها الدعوة .

وإن أي دعوة لا تقوم على قواعد سليمة ، وأسس صحيحة ، ومبادئ قويمة ، لهي دعوة باطلة لاتؤدي إلى خير .

وإن أي جهل بقواعد وأسس ومبادئ الدعوة ، يجعل الداعية يدعو على غير بصيرة ، فيخبط في دعوته خبط عشواء ، وقد يضر من حيث يريد النفع ، ويسيء من حيث يريد الإحسان ،

والدعوة الإسلامية أحق دعوة يجب أن يُعنى بأصولها ، لأنها دعوة العباد إلى الله عز وجل ،

والطريق إلى الله ، لايستغني السالكُ فيه ، والدالُّ عليه عن هدي كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، لأن القرآن الكريم هو الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم ، ولأن السنة النبوية هي المحجة البيضاء ، التي من سار عليها لايضل أبداً ...

ومبادئ الدعوة الإسلامية ليست أموراً اجتهادية تترك للعقول البشرية أن تَضَعها كما تشاء ، وإنما هي أحكامٌ شرعية ، ومعالم ربانيّة نَصَّ عليها القرآن الكريم ، وأوضحتها السنة النبوية ، وحملها إلى الناس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن تبعهم بإحسان.

ومجال الدعاة فيها محصور في صياغتها وأسلوب عرضها بالشكل

الذي يُقرّبها من العباد ، ويُحبِّبها إليهم ليقبلوا عليها ويتمسكوا بها .

وقد سبق معنا في بحث « المصطلحات » أن مصطلح أصول الدعوة : يشمل أمرين أساسيين ، هما :

١ ـ أدلة الدعوة ومصادرها .

٢ ـ أركان الدعوة .

وقد جعلت كل أمر من هذين الأمرين في مبحث مستقل تحت هذا الفصل من الكتاب .

* * *

المبحث الأول

« أدلة الدعوة الإسلامية ومصادرها »

يمكننا تفصيل أدلة الدعوة الإسلامية ومصادرها على وجه يشمل جميع ما تستند إليه الدعوة أو تسترشد به ، وتستمد منه ، فتصبح خمسة مصادر أساسية ، وهي :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ السنة النبوية الشريفة .

٣ ـ السيرة النبوية المطهرة .

٤ ـ سيرة الخلفاء الراشدين .

٥ ـ وقائع العلماء والدعاة في ضوء تلك المصادر .

كما يمكننا إجمال الأدلة والمصادر جميعها في نوعين أساسيين ، هما :

١ ـ الأحكام الشرعية المعتمدة على الأدلة الشرعية : الأصلية منها والتبعية : الكتاب والسنة ، والإجماع والقياس ، والاستحسان ، والاستصلاح والاستصحاب وما إلى ذلك :

٢ ـ التجارب العملية الصادرة عن العلماء والدعاة في ضوء تلك الأحكام الشرعية .

وسأقتصر في هذا المقام على التعريف بتلك المصادر الأساسية ، وبيان خصائصها دون التعرض لأمور أخرى تتعلق بها ، وذلك مراعاة لطبيعة الموضوع وحاجة الدعاة ، مع ملاحظة الاستغناء عن ذكر دليل

الإجماع والقياس من الأدلة الأصلية ، وغيرهما من الأدلة التبعية التي تذكر في كتب أصول الفقه . لرجوعهما في الحقيقة إلى الكتاب والسنة ، واختصاص العلماء بها من جهة ، ولاعتماد العلماء والدعاة عليها في تعاملهم مع الوقائع والأحداث من جهة أخرى .

١ ـ المصدر الأول :

« القرآن الكريم »

تعريفه :

أ ـ **في اللغة** : القرآنُ : مصدر قَرَأ يقرأ ، وقيل في أصول اشتقاقه غير ذلك ، يقول الراغب الأصفهاني في كتابه « المفردات في غريب القرآن » :

« والقرآن في الأصل مصدرٌ نحو : كُفْران ورجْحان ، قال : ﴿ إن علينا جَمْعَهُ وقُرآنه ، فإذا قَرأْناهُ فاتَّبِع قُرْآنه ﴾ قال ابن عباس : إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك ، فاعمل به ،

وقد خُصَّ بالكتاب المنزل على محمد ﷺ ، فصار له كالعَلَم ، كما أن التوراةَ لِمَا أنزل على موسى ، والإنجيلَ على عيسى صلى الله عليهما وسلم ،

قال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله : ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ وقوله : ﴿ تبياناً لكل شيء ... الخ ﴾ [١] .

---

(١) « المفردات في غريب القرآن » ص ٤٠٢ ، تحقيق محمد سيد كيلاني .

ويقول محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه « مناهل العرفان في علوم القرآن » :

« وعلى الرأي المختار : فلفظ « قرآن » مهموز ، وإذا حذف همزه ، فإنما ذلك للتخفيف ، وإذا دخلته « ال » بعد التسمية فإنما هي لِلَمْحِ الأصل لا للتعريف .

ويُقال للقرآن : فرقان أيضاً ، وأصله مصدر كذلك ، ثم سمي به النظم الكريم تسميةً للمفعول أو الفاعل بالمصدر ، باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل ، أو مفروقٌ بعضه عن بعض في النزول ، أو في السور والآيات ، قال تعالى : ﴿ تَبارَكَ الذي نَزَّلَ الفُرقانَ على عَبْدِه ليكونَ للعالَمين نَذيراً ﴾ .

ثم إن هذين الاسمين هما أشهر أسماء النظم الكريم ، بل جعلهما بعض المفسرين مَرْجع جميع أسمائه ، كما ترجع صفات الله على كثرتها إلى معنى الجلال والجمال .

ويلي هذين الاسمين في الشهرة هذه الأسماء الثلاثة : « الكتاب ، والذكر ، والتنزيل ... الخ »[1] .

ب ـ وفي الاصطلاح :

اختلفت أساليب العلماء في تعريف القرآن الكريم في الاصطلاح ، فذهب بعضهم إلى الاختصار والإيجاز ، وذهب آخرون إلى التفصيل والإطناب ، ولعل من أقصر مايمكن أن يُعَرَّف به أنه :

---

(١) انظر « مناهل العرفان في علوم القرآن » للزرقاني (٧/١ و ٨) ، ط : عيسى البابي الحلبي .

« كلام الله عز وجل ، المنزل على رسوله ﷺ ، المنقول عنه بالتواتر ، المتعبدُ بتلاوته » .

كما يمكن أن يفصل في التعريف بالتوسع في ذكر أهم خصائصه ، فيقال هو :

« كلام الله عز وجل ، المنزل على رسوله ﷺ بلسان عربي مبين ، المنقول إلينا بالتواتر ، والمتعبد بتلاوته ، والمكتوب في المصاحف ، والمعجز في لفظه ومعناه ، والمبدوء بسورة الفاتحة ، والمختوم بسورة الناس »[1] .

فخرج بقولنا « كلام الله » كلامُ غيره من المخلوقات ، وبقولنا « المنزل على رسوله ﷺ » ما نُزِّل على غيره كالتوراة والإنجيل ، ومالم ينزل من كلامه سبحانه على أحد ، وبقولنا « بلسان عربي مبين » مانزل بغير العربية ، وبقولنا : « المنقول بالتواتر » مالم ينقل بالتواتر ، كالقراءات المشهورة والآحاد ، وبقولنا « المكتوب في المصاحف » مانسخ من القرآن بلفظه مما أشارت إليه السنة ، وقولنا « المعجز في لفظه ومعناه والمتعبد بتلاوته » الأحاديث النبوية والقدسية ، فهي وإن كانت وحياً في حقيقتها ، فإنها غير معجزة بلفظها ومعناها ، وغير متعبد بتلاوتها ، لأن معناها من الله عز وجل ، ولفظها وصياغتها من رسول الله ﷺ ـ وإن اختلفت القدسية عن النبوية في الصياغة والأسلوب ـ وهكذا ...

---

(١) انظر كلاماً مفيداً حول أساليب العلماء في ذلك في « مناهل العرفان » (١٢/١ ـ ١٤) .

خصائص القرآن الكريم :

تختلف أساليب العلماء في عَدِّ خصائص القرآن الكريم ، فمن مقتصر على الخصائص التي تدل عليها قيود التعريف السابقة ، ومن مضيفٍ عليها الخصائص العامة المأخوذة من الخصائص العامة للإسلام .

ولما كانت الخصائص العامة للإسلام مستخلصة من خصائص القرآن الكريم والسنة النبوية ، وراجعة إلى خصائصه ، رأيت أن أسلك طريقة التفصيل ، فأذكر للقرآن ماأمكن من خصائص ، بادئاً بالأعم منها فالأعم ، وموضحاً لكل خصيصة بالمقدار الذي يُجلي معناها العام ، مع الاستدلال على كل خصيصة ، والإحالة على بعض المراجع والمصادر فيها .

فمن خصائص القرآن الكريم :

١ ـ الرّبانية : وهي نسبة إلى الرب سبحانه وتعالى ، وهي أم الخصائص ومصدرها جميعاً ، إليها ترجع الخصائص الأخرى [١] .

ومادام القرآن الكريم كلامَ الله عز وجل ، فهو ربانيٌّ بكل ماتحتمله هذه اللفظة من معانٍ ، لا دخل لبشر فيه أبداً ، لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى ، فهو الكتاب العزيز ، والذكر الحميد قال تعالى عنه :

﴿ فلا أُقْسِمُ بمواقع النجوم * وإنه لَقَسَمٌ لو تَعْلَمون عظيم * إِنهُ لقرآنٌ كريم * في كتابٍ مَكْنون * لا يَمسُّه إلا المُطَهَّرون *

---

(١) انظر تفصيلاً لخصيصة « الربانية » في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » للدكتور : يوسف القرضاوي ـ الطبعة الثانية من ص : (٩ ـ ٥٥) .

تَنْزِيلٌ من رَبِّ العالمين ﴾ [1] .

وقال أيضا :

﴿ لو أَنْزلنا هذا القرآنَ على جَبَلٍ ، لَرأيتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيةِ الله ... ﴾ [2] .

٢ ـ الكمال : وهي بمعنى « الخلو عن النقص والعيب » ، وهي أثر للخصيصة الأولى « الربانية » فكلام الله عز وجل المنزه عن كل نقص وعيب كامل أيضاً ، قال تعالى :

﴿ وإِنَّهُ لكتابٌ عزيزٌ * لايَأْتيهِ الباطلُ من بَيْنِ يدَيه ولا مِنْ خَلْفِه ، تنزيلٌ من حكيمٍ حَميد ﴾ [3] .

وقال أيضاً :

﴿ قرآناً عربياً غير ذي عِوج لعلهم يتقون ﴾ [4] .

٣ ـ الوضوح : وهي « الإبانةُ » ويقابلها « الغموض »[5] ، قال تعالى في وصف كتابه :

﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مُبين * يَهْدي به الله من اتَّبعَ رِضْوانَه سُبُلَ السلام ، ويُخْرجهم من الظلمات إلى النور

(١) الآيات / ٧٥ ـ ٨٠ / من سورة الواقعة .

(٢) الآية / ٢١ / من سورة الحشر .

(٣) الآيات / ٤١ ـ ٤٢ / من سورة فصلت .

(٤) الآية / ٢٨ / من سورة الزمر .

(٥) انظر تفصيلاً لخصيصة « الوضوح » في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » من ص : (١٨٧ ـ ٢١٣) .

بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ [1] .

وقال أيضاً :

﴿ وإنه لتَنْزيلُ ربِّ العالمين * نَزَل به الروحُ الأمين * على قَلْبِكَ لتكون من المُنْذِرين * بلسانٍ عَربي مُبين ﴾ [2] .

وقال أيضاً :

﴿ ياأيها الناس قَدْ جاءكم بُرهانٌ من ربكم ، وأَنْزلنا إليكم نوراً مبيناً * فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ، فَسَيُدْخِلُهم في رَحْمةٍ منه وفَضْل ، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً ﴾ [3] .

وقال :

﴿ وكذلك أَنْزلناهُ آياتٍ بيّنات ، وأَنَّ اللهَ يَهْدي مَنْ يُريد ﴾ [4] .

٤ ـ الشمول : وهي « الإحاطة » ، فالقرآن شامل لجميع مايحتاج إليه الإنسان في دنياه وأخراه ، لأنه جاء لسعادته في الدنيا والآخرة ، وهذا ما يُعبَّر عنه بعضهم : بالشمول الموضوعي ، وهو شامل لجميع الناس من زمنه ﷺ إلى يوم القيامة ، وموجَّهٌ إليهم جميعاً أينما كانوا ، وهو مايعبر عنه بعضهم : بالشمول الزماني والمكاني [5] .

---

(١) الآيات / ١٥ ـ ١٦ / من سورة المائدة .

(٢) الآيات / ١٩٢ ـ ١٩٥ / من سورة الشعراء .

(٣) الآيات / ١٧٤ ـ ١٧٥ / من سورة النساء .

(٤) الآية / ١٦ / من سورة الحج .

(٥) انظر تفصيلاً لخصيصة « الشمول » في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » من ص : (١٠٥ ـ ١٢٥) .

قال تعالى مشيراً إلى هذه الخصيصة :

﴿ مافَرَّطنا في الكتاب من شيء ﴾ (١) .

وقال أيضاً :

﴿ ونَزَّلنا عليك الكتاب تِبْياناً لكل شيء ، وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين ﴾ (٢) .

وقال أيضاً :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٣) .

وقال :

﴿ تبارك الذي نَزَّلَ الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ (٤) .

٥ ـ التوازن : وهي « الانسجام » والائتلاف بين أجزاء الشيء ويقابلها : « التنافر والاختلاف » ، ويعبِّر عنها بعضهم « بالوَسَطيّة » نسبة إلى الوَسَط (٥)، ولايشترط في توازن الشيء التساوي بين أجزائه ، وإنما يكفي الاعتدال والانسجام فيما بينها ، كما يُقال عن الدَّمِ في جسم الإنسان إنّه متوازنٌ مع اختلاف نسبة تركيباته كمّاً ،

---

(١) الآية / ٣٨ / من سورة الأنعام .

(٢) الآية / ٨٩ / من سورة النحل .

(٣) الآية / ١٠٧ / من سورة الأنبياء .

(٤) الآية / ١ / من سورة الفرقان .

(٥) انظر تفصيل الخصيصة (التوازن) باسم (الوسطية) في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » من ص : (١٢٧ ـ ١٥٦) .

والتوازن خصيصة متعلقةٌ بخصيصة الشمول ومكملةٌ لها ، فلا يظهر جمال الشمول إلا بالتوازن .

قال تعالى :

﴿ والسماءَ رفعها ،ووضع الميزان ﴿ألا تَطْغَوا في الميزان ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ولاتُخسِروا الميزان ﴾ (١) .

وقال أيضاً عن كتابه :

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (٢) .

فالقرآن الكريم كتاب متوازن فيما جاء به من هداية ، وما عرضه من موضوعات ، وما عالجه من مشكلات ، يحقق انسجاماً بين الروح والمادة ، وبين العقل والقلب ، وبين الحقوق والواجبات ، وما إلى ذلك من أوجه التوازن ...

٦ ـ العمليّة : وهي : (صلاحية الشيء للتطبيق والعمل به في كل زمان ومكان) ، وهذه الخصيصة تُعَدُّ ثمرةً ونتيجةً لجميع الخصائص السابقة ، فلولاها لم تكن هذه الخصيصة .

واصطلاح « العمليّة » اصطلاح خاص غير معهود في كتب الخصائص ، يرجع في حقيقته إلى الجمع بين مزايا « المثالية والواقعية » فَضَّلْتُ التعبير به تجنباً لاصطلاح المثالية والواقعية الذي يستخدمه بعض الكاتبين في الخصائص ، وذلك لما له من إيحاءات سلبية يوحي بها

(١) الآيات / ٧ ـ ٩ / من سورة الرحمن .

(٢) الآية / ٨٢ / من سورة النساء .

أصل نشأة كل من المثالية والواقعية كمصطلحين متقابلَين .

فالقرآن الكريم كتاب عمليٌ يصلح للتطبيق في كل زمان ومكان ، كما صلح للتطبيق في عصره ﷺ ، وذلك لأنه كتاب خاتم الرسل ، ودستور خاتم الأديان ، ولو لم يكن عملياً لأنزل الله بعده كتباً أخرى ، كما أنزل الإنجيل بعد التوراة ، وأنزل القرآن بعدهما ، فسبحان من لاتنفد كلماته ، قال تعالى :

﴿ قُلْ لو كانَ البحرُ مِداداً لكلماتِ ربّي ، لنَفِدَ البحرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كلماتُ ربي ، ولو جئنا بمثلِهِ مَدَداً ﴾ (١) .

ومن مظاهر عمليته ، جَمْعُه بين التطور والثبات في أحكامه ، واشتماله على مزايا الواقعية والمثالية في تشريعاته ...(٢)

قال تعالى مؤكداً هذه الخصيصة :

﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مُبين * يَهْدي به الله من اتَّبع رِضْوانَه سُبُلَ السلام ، ويُخْرِجُهم من الظلماتِ إلى النور بإذْنِهَ ، ويَهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (٣) .

وقال أيضاً :

﴿ طه * ماأَنْزلنا عليكَ القرآنَ لتَشْقى * إلا تذكرةً لمن يَخْشىٰ * تَنْزيلاً ممن خَلَق الأرضَ والسمواتِ العُلى * الرحمنُ

---

(١) الآية / ١٠٩ / من سورة الكهف .

(٢) انظر تفصيلاً لهذه الخصيصة في خصيصة (الواقعية) ص (١٥٧ ــ ١٨٦) وخصيصة الجمع بين التطور والثبات (٢١٥ ــ ٢٥٨) في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » .

(٣) الآيات / ١٥ ــ ١٦ / من سورة المائدة .

على العرش استوىٰ * لَهُ مـافي السـمـواتِ ومـافي الأرضِ ، ومابَيْنهما وماتحت الثَّرىٰ ﴾ (١) .

٧ ـ الإعجاز : وهي (إظهار عجز البشرِ بتحدّيهم بالإتيان بمثله شكلاً ومضموناً) ويمكن إجمال أوجه الإعجاز القرآني في عدة وجوه منها :

أ ـ الإعجاز البياني .

ب ـ الإعجاز التشريعي .

جـ ـ الإعجاز الإخباري (الغَيبيّ) .

د ـ الإعجاز العلمي (٢)

فقد تحدى القرآن الكريم الناس جميعاً بأن يأتوا بمثله ، وذلك على ثلاث مراحل على رأي جمهور العلماء ، وعلى أربع مراحل على قول بعضهم (٣) ،

قال تعالى :

﴿ قُلْ لَئِن اجـتـمَعَت الإنسُ والجنُّ على أنْ يَأْتوا بمثل هذا القرآن ، لايأتونَ بمثلِهِ ، ولو كان بعضُهم لبَعْضٍ ظَهيراً ﴾ (٤) .

وقال :

﴿ أم يقولونَ افتراه ، قل فَأْتوا بعَشْر سُوَرٍ مِثْلِه مُفْتَرَياتٍ ،

---

(١) الآيات / ١ ـ ٦ / من سورة طه .

(٢) انظر تفصيلاً لبعض وجوه الإعجاز القرآني في كتاب « مباحث في إعجاز القرآن » للدكتور مصطفى مسلم ص (١٠٧ ...) .

(٣) انظر « مباحث في إعجاز القرآن » ص (٣٣ ـ ٣٦) .

(٤) الآية / ٨٨ / من سورة الإسراء .

وادْعُوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم يَسْتجيبوا لكم ، فاعلموا أنما أُنْزِلَ بِعَلْم الله ، وأن لا إله إلا هو ، فهل أنتم مسلمون ﴾ (١) .

ويقولن أيضاً :

﴿ أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ (٢) .

وقال أيضاً :

﴿ أم يقولون تَقَوَّله ، بل لايؤمنون * فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ (٣) .

هذا ولايزال هذا التحدي سائر المفعول إلى يوم القيامة ، ولايزال العلماء يكتشفون أوجهاً إعجازية فيه ، كل بحسب إمكاناته وتخصصه .

ومن هنا : كان القرآن المعجزةَ الخالدة إلى يوم القيامة ، قال تعالى :

﴿ سَنُريهم آياتِنا في الآفاق وفي أَنْفُسِهِم حتى يَتَبيَّن لهم أنه الحق ﴾ (٤) .

وقال أيضاً :

﴿ واللهُ غالبٌ على أمْرِه ، ولكنَّ أكثرَ الناس لايعلمون ﴾ (٥) .

---

(١) الآية /١٣ ــ ١٤ / من سورة هود عليه السلام .

(٢) الآية /٣٨/ من سورة يونس عليه السلام ، وانظر الآيات /٢٣ ــ ٢٤/ من سورة البقرة .

(٣) الآيات / ٣٣ ــ ٣٤ / من سورة الطور .

(٤) الآية / ٥٣ / من سورة فصلت .

(٥) الآية / ٢١ / من سورة يوسف عليه السلام .

٨ ـ الثبوت القطعي : وتعني (اتِّصال سند نقل القرآن الكريم وروايته بالنبي ﷺ ، دون انقطاع على وجه متواتر قطعي لايداخله شك إلى يومنا هذا) .

ولم تثبت مثل هذه الخصيصة لأي كتاب سماوي آخر ، وهي من مستلزمات خاصيّة حفظ القرآن ، وخلود الإسلام ...

فلو داخَلَ السندَ أيُّ شك في أي عصر من العصور ، لم تقم الحجة القاطعة بالقرآن على الناس إلى يوم القيامة .

وعلى الرغم من وجود القراءات المشهورة والآحاد ، التي يستفاد منها في التفسير واستنباط الأحكام ، فقد أجمعت الأمة على وجوب تجريد القرآن عنها عند جمعه ، فلم يُثبَتْ في المصحف إلا المتواتر المقطوع بثبوته :

يقول الإمام الغزالي :

« حَدُّ الكتاب : مانقل إلينا بين دُفَّتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلاً متواتراً . ونعني بالكتاب القرآن المنزل ، وقيدناه بالمصحف لأن الصحابة بالغوا في الاحتياط في نقله ، حتى كرهوا التعاشير والنقط ، وأمروا بالتجريد ، كيلا يختلط بالقرآن غيره ، ونقل إلينا متواتراً ، فنعلم أن المكتوب في المصحف المتفق عليه هو القرآن ، وأن ماهو خارج عنه فليس منه ... الخ »[1] .

٩ ـ الحفظ : وتعني (السلامة من التحريف ، والزيادة والنقص) ، فقد حفظ الله عز وجل هذا القرآن من أي تغيير أو تبديل ، وذلك بتهيئة

---

(١) انظر « المستصفى » للإمام الغزالي (١٠١/١) وانظر معه نقولاً أخرى مفيدة في ذلك ، ساقها الزرقاني في كتابه « مناهل العرفان » (٤٢٤/١ ـ ٤٤٨) .

من يهتم به ويرعاه من أول يوم أنزل إلى يومنا هذا ...

قال تعالى :

﴿ لاتحُرِّكْ بِهِ لسانَكَ لتَعْجَلَ به ۞ إنَّ علينا جَمْعَهُ وقرآنَه ۞ فإذا قَرأناهُ فاتَّبِع قُرآنه ۞ ثم إنَّ علينا بَيانه ﴾ (١) .

وقال أيضاً :

﴿ إنا نَحنُ نَزَّلنا الذكرَ ، وإنَّا لَه لحافظون ﴾ (٢) .

فكان من حفظ الله له مدارسة رسول الله ﷺ له مع جبريل عليه السلام ، وأمر رسوله ﷺ كتبَةَ الوحي بكتابته ، وحرص الصحابة رضوان الله عليهم على حفظه صدراً وسطراً ... وتوفيق المسلمين إلى جمعه بعد وفاة رسول الله ﷺ أيام أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما ، وما إلى ذلك من مظاهر الحفظ العجيبة التي لم تتوفر لكتاب آخر على الإطلاق (٣) .

إلى غير ذلك من خصائص عديدة ، لم يشاركه فيها كتاب آخر ، ولاعجب فالقرآن الكريم كتاب الله ، مصدر كل خير ، وملجأ كل عالم وداعية ، وهو العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، وحبل الله المتين ...

* * *

---

(١) الآيات / ١٦ ـ ١٩ / من سورة القيامة .

(٢) الآية / ٩ / من سورة الحجر .

(٣) انظر بحوثاً هامة مفيدة في جمع القرآن وبيان عوامل حفظه في كتاب « مناهل العرفان في علوم القرآن » للزرقاني (١/٢٣٢ ـ ٣٣٠) .

٢ ـ المصدر الثاني :

« السنّةُ النبوية الشريفة »

تعريف السنة :

أ ـ في اللغة : تطلق السنة على معان كثيرة في اللغة ، منها : الطريقة ، قال في التهذيب : السنة : الطريقة المحمودة المستقيمة ، ولذلك قيل : فلان من أهل السنة ، معناه : من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة ، وهي مأخوذة من السَّننِ ، وهو : الطريق ...

قال شَمِر : السنة في الأصل سنة الطريق ، وهو طريقٌ سَنَّه أوائل الناس ، فصار مسلكاً لِمَنْ بعدهم ، وسَنَّ فلانٌ طريقاً من الخير ، يَسُنُّه : إذا ابتدأ أمراً من البر لم يعرفه قومه ، فاستَسنّوا به وسلكوه ، وهو سَنِين ، ويقال : سَنَّ الطريق سنّاً وسَنَناً ، فالسَّنُّ المصدر ، والسَّنَن الاسم بمعني المسنون ...[1]

قال الراغب : « وسنة النبي ﷺ : طريقته التي كان يتحراها ، وسُنّةُ الله تعالى قد تُقال لطريقة حكمته ، وطريقةِ طاعته ، نحو ﴿ سُنّةَ الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ـ ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾[2] .

ب ـ والسنة في الاصطلاح : تعددت تعريفاتها تبعاً لاختصاص المعرفين لها ، فهناك تعريف للمحدثين ، وآخر للفقهاء ، وثالث للأصوليين ،

---

(١) انظر « لسان العرب » لابن منظور (١٣/٢٢٦) .

(٢) « المفردات في غريب القرآن » ص : (٢٤٥) .

وسأكتفي هنا بتعريف الأصوليين للسنة ، لأنه المناسب لمقام ذكر المصادر والأدلة .

فقد عرفها بعضهم بقوله هي :

« ما صدر عن سيدنا محمد ﷺ غيرَ القرآن ، من فعل أو قول أو تقرير »[1] .

والسنة بهذا المعنى هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام بعد كتاب الله عز وجل ، يقول الإمام ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ :

« وأما أصول العلم : فالكتاب والسنة ، وتنقسم السنة قسمين : أحدهما : إجماع تنقله الكافة عن الكافة ، فهذا من الحجج القاطعة للأعذار إذا لم يوجد هناك خلاف ، ومن رَدَّ إجماعَهم فقد رد نصاً من نصوص الله ، يجب استتابته عليه ، وإراقة دمه إن لم يتب لخروجه عما أجمع عليه المسلمون ، وسلوكه غير سبيل جميعهم ، والضرب الثاني من السنة : خبر الآحاد الثقات الأثبات المتصل الإسناد : فهذا يوجب العمل عن جماعة علماء الأمة الذين هم الحجة والقدوة ، ومنهم من يقول : إنه يوجب العلم والعمل جميعاً ... »[2] .

وجاء في الحديث الشريف : « إني تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به ، فلن تضلوا أبداً : كتاب الله ، وسنة نبيه »[3] .

---

(١) « شرح مختصر ابن الحاجب » للعضد(٢٢/٢) ، و « شرح مسلم الثبوت » (٦٧/٢) .

(٢) « جامع بيان العلم وفضله » (٣٣/٢ ـ ٣٤) ، وانظر تفصيلاً لتعريفات السنة في كتاب « حجية السنة » للدكتور : عبد الغني عبد الخالق ـ رحمه الله ـ ص(٤٥ ـ ٨٤) ط : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

(٣) الحديث رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، انظر « الترغيب والترهيب » للمنذري (٨٠/١) ط قطر .

وقد كانت السنة النبوية في هذه المكانة لأنها إما أن تكون مبينة ومفصلة لما جاء في القرآن الكريم ، وإما أن تثبت حكماً جديداً لم يُنصّ عليه فيه [1]، ومن هنا : كانت طاعة الرسول ﷺ مقرونة بطاعة الله تعالى ، قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمر منكم ، فإن تَنازَعْتُم في شيء ، فَرُدّوه إلى اللهِ والرسولِ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خيرٌ وأحْسَنُ تأويلاً ﴾ [2] .

وقال أيضاً :

﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ واحذَروا ، فإنْ تولَّيتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغُ المبين ﴾ [3] .

والسنة النبوية بالنسبة للداعية هي طريقة رسول الله ﷺ في الدعوة ، عليها يعتمد في دعوته ، ومنها يستقي مادام متبعاً له ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هذه سبيلي أدعو إلى الله على بَصيرة أنا ومَنْ اتّبعني ﴾ [4] .

---

(١) انظر كلاما مفيداً مفصلاً في هذا للإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه « الرسالة » ص : (٩١ و ٩٢) ، وانظر « الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادي (٨٦/١ ـ ١٠٤) .

(٢) الآية / ٥٩ / من سورة النساء .

(٣) الآية / ٩٢ / من سورة المائدة .

(٤) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

خصائص السنة النبوية :

يمكن للباحث في خصائص السنة النبوية أن يقف على خصائص كثيرة تميزها عن سنة غيره من الناس ، كما يمكن أن تشترك السنة مع القرآن الكريم في عدد من خصائصه ، ولاسيما الخصائص العامة الأولى ، لأنها ترجع في حقيقتها إلى خصيصة الربانية ، لأن الرسول الذي نتحدث عن سنته هو رسول رب العالمين .

ومن خصائص السنة النبوية :

١ ـ أنها نوعٌ من الوحي : فالسنة وإن كانت : ماصدر عن رسول الله ﷺ ، فإنما هي شكل من أشكال الوحي ، قال تعالى :

﴿ وما يَنْطِقُ عن الهَوى ۞ إِنْ هو إلا وَحْيٌ يُوحىٰ ﴾ [١] .

وهذا النوع من الوحي يختلفُ عن وحي القرآن الكريم من بعض الوجوه ، من ذلك :

أ ـ السنة وحي بالمعني دون اللفظ .

ب ـ السنة وحي غير متعبَّد بتلاوته .

جـ ـ السنة لم تثبت جميعها عن طريق التواتر القطعي .

د ـ السنة غَيْرُ معجزة بلفظها ، وقد تكون معجزة بمعناها .

ومن مثل هذه الفروق وغيرها ، كانت السنة النبوية (المصدر الثاني) من مصادر التشريع من حيث ترتيبُ المصادر عند اجتماعها ، أما عند

---

(١) الآيات / ٣ ـ ٤ / من سورة النجم .

الانفراد ، فكل مصدر من المصادر التشريعية هو الأول في الرجوع إليه ، والمصدر الذي لامحيد عنه .

لأنه إذا تعددت المصادر في موقف واحد ، قدم الأفضل والأقوى في الذكر والعدّ ، ولاشك في أن كلام الله عز وجل أفضل من كلام غيره ، وأن ثبوت القرآن أقوى من ثبوت السنة وهكذا ... وعلى هذا الترتيب جرى تقديم طاعة الله في الذكر على طاعة رسوله ﷺ في القرآن ، ومضت سنة الصحابة رضوان الله عليهم ، وعليه تعارف علماء الأصول في تصنيفهم للأدلة الشرعية جميعها ...[1]

٢ ـ اتصال السند : وتعني (اتصال سند السنة الصحيحة به ﷺ دون انقطاع) .

وهذه الخصيصة من خصائص الأمة الإسلامية ، حيث لاتجد الأمم الأخرى اليوم سنداً متصلاً لأقوال أنبيائها ورسلها عليهم الصلاة والسلام ، وإنما هي أقوال يرويها بعض علمائهم وأحبارهم ورهبانهم عنهم دون اتصال ...[2]

٣ ـ الحفظ من الضياع : فقد حفظ الله عز وجل سنة نبيه ﷺ من الضياع ، بما هيأه لها من صحابة كرام نقلوها عنه لمن بعدهم ، وحفظوها كما حفظوا كتاب ربهم ، كما هيأ لها علماء أجلاء كتبوها ودونوها ،

---

(١) استشكل بعضهم جَعْلَ السنة في المرتبة الثانية في تعداد المصادر ، متوهماً أن الترتيب من حيث الحجّية ، ولعل فيما أثبتُّه دفعاً لهذا الإشكال .

(٢) يقول الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ : « وهذا نقلٌ خَصَّ الله عز وجل به المسلمين ، دون سائر أهل المِلَل كلها ، وأبقاه عندهم غَضّاً على قديم الدهور مذ أربعمائة عام وخمسين عاماً في المشرق والمغرب ، والجنوب والشمال ... » انظر « الفِصَل » (٢/٢٢١) تحقيق د : محمد إبراهيم نصر ، و د : عبد الرحمن عميرة .

وميزوا الثابت منها عن غيره على مر السنين ، ووضعوا لذلك قواعد وضوابط تضبط قبولها وروايتها ... كما يعرف ذلك في علوم الحديث ...

وذلك لأن حفظ السنة من لوازم حفظ القرآن الكريم ، فهي المبيّنة له ، والمفصلة لمجمله ، والمتممة لأحكامه كما سبق معنا .

٤ ـ العصمة من الخطأ في التشريع : وذلك لأن السنة وحيٌ ، والوحي منزه عن الخطأ ، وجاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله ﷺ حين أذن له بكتابة الحديث : « اكتب ، فوالذي نفسي بيده ، مايخرج منه إلا الحق »(١) .

وتشمل عصمة السنة ، ماصدر عنه ﷺ باجتهاد في أمور التشريع ، لأن الشارع لايقره على خطأ فيه ، وإن جاز أن يقره على اجتهادٍ خطأٍ في أمور الدنيا المبنيّة على التجارب والخبرات ، لحكمة إظهار جانب البشرية فيه ﷺ (٢) .

* * *

(١) ساق الحديث الحافظ ابن حجر في الفتح ، وعزاه إلى أحمد وأبي داود ، وقال عنه : « ولهذا طرق أخرى عن عبد الله بن عمرو يقوي بعضها بعضاً » . « فتح الباري » (١/٢٠٧) .

(٢) راجع بحث « عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن الخطأ في الاجتهاد » في كتاب « حجية السنة » للشيخ عبد الغني عبد الخالق ص (١٤٥ ـ ٢٣٩) .

٣ ـ المصدر الثالث :

« السيرة النبوية المطهرة »

السيرة النبوية هي : (تاريخ حياة النبي ﷺ ، وبيان طريقته فيها) ، لأن السيرة النبوية في اللغة : الطريقة ، والحالة التي يكون عليها الإنسانُ وغيره ، يقال : قرأت سيرة فلان : أي تاريخ حياته ، وجمعها سِيَر [١] .

وبهذا التعريف للسيرة ، تشمل سيرة الرسول ﷺ الشخصية ، كما تشمل شمائله وغزواته ، وجميع تحركاته الدعوية ، وتكون السيرة من هذا الوجه أعم من السنة النبوية في اصطلاح الأصوليين .

وتعدُّ السيرة النبوية المصدر الثالث للدعاة بعد الكتاب والسنة ، وإن كانت في حقيقتها ترجع إلى الكتاب والسنة ، لأنها تطبيق عملي لهما ، وقد رأيت إفرادها عن السنة في المصادر نظراً لما بين السنة والسيرة من عموم وخصوص ، من جهة ، وتمشياً مع اصطلاح العلماء في إفرادها في الدراسة والتصنيف من جهة أخرى .

ولما كان الرسول ﷺ الداعيةَ الأول لهذا الإسلام ، كانت سيرته أوسع مصدر عملي للدعاة ، وكان الكتاب والسنة أوسع المصادر النظرية لهم .

فلابد للدعاة من دراسة السيرة النبوية وتفهمها والاستفادة منها في ضوء العقل والنقل ، لأنها أعمال وأحوال لابد لفهمها فهماً صحيحاً من ملاحظة الأعمال والأحوال المرافقة لها ، وقد قصر بعض الدعاة في هذا الجانب ، فاستشهدوا بالسيرة في غير موضعها ، أو فهموها على

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (سَيَّر) (١/ ٤٧٠) .

غير وجهها ، وفهم السيرة فهماً صحيحاً أمر دقيق قد لايحسنه إلا العلماء وأهل الاستنباط منهم (١) .

فقد تختلف تصرفاته ﷺ من حال إلى حال ، فيكون بعضها تشريعاً يُقْصَدُ منه التأسي ، وقد يكون بعضها تصرفات جبلية شخصية ...

كما قد تصدر عنه أعمال ﷺ بصفته رسولاً مبلغاً عن الله ، وأخرى بصفته قاضياً يفصل بين المتنازعين ، وثالثة بصفته إماماً وقائداً ، ولكل نوعٍ من هذه التصرفات دلالاته وأحكامه (٢) .

ويكفي في الاستدلال على أهمية السيرة النبوية للدعاة ، قوله تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً ﴾ (٣) .

خصائص السيرة النبوية :

إن خصائص السيرة النبوية المطهرة ، ترجع في جانب منها إلى خصائص السنة النبوية ، وبعض خصائص القرآن الكريم ، وذلك لارتباطها بهما ، ولأنها سيرة رسولٍ من رب العالمين ...

(١) انظر الملاحظات التي خَتَمْتُ بها الملامح العامة للدعوة في زمنه ﷺ ـ الفصل الأول ـ المبحث الثاني .

(٢) راجع مثل هذه الفروق في كتاب « الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام ، وتصرفات القاضي والإمام » للعلامة القرافي المالكي ، تحقيق أستاذنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ حفظه الله ـ وكتاب « زاد المعاد » للإمام ابن القيم (٣/٤٨٩ ـ ٤٩٠) تحقيق الشيخ الأرناؤوط ، و « إعلاء السنن » للتهانوي (١٤/٦٨ ـ ٦٩) .

(٣) الآية / ٢١ / من سورة الأحزاب .

فهي تشترك معهما في بعض الخصائص الهامة ، وقد تختلف في بعضها الآخر بسبب الجانب البشري في شخصية رسول الله ﷺ وسيرته . أما الجانب الذي يراد به التأسّي ، فلا يختلف عن السنة النبوية في خصائصه .

وسأقتصر في هذا المقام على ذكر ثلاث خصائص للسيرة ، وهي :

١ ـ الشمول : فقد شملت سيرته ﷺ التي كتب عنها العلماء ، جميع مناحي حياته ، فقد دونوا صفاته كما دونوا جميع أعماله وغزواته ...

والمتأمل في كتب السيرة النبوية يرى أنها تكاد أن لاتغادر صغيرة ولا كبيرة في حياته ﷺ إلا وسجلتها في دقة ووضوح ، حتى يجد القارئ لها نفسه وكأنه يُعاينها ويعيش معها ، وذلك منذ ولادته ﷺ إلى حين التحاقه بالملأ الأعلى .

فمن تفصيلٍ لأحوال ولادته ونشأته إلى تسجيل لبعثته ونبوته ، إلى تصوير لشمائله وأخلاقه ، إلى عرض واسع لحركاته وسكناته ، حتى في أموره الخاصة بينه وبين أزواجه ﷺ ...(١)

ولم يعرف التاريخ تسجيل حياة شخص ما بمثل هذا الشمول ! ولكن لاعجب في ذلك ، فإن الذين كتبوا في السيرة ـ ولاسيما السلف منهم ـ لم يقصدوا من وراء كتابتها مجرد فائدة علمية ، أو قصة تاريخية فحسب . وإنما سجلوا فيها حياة قدوة للناس كافة ، فاستقصوا

---

(١) انظر على سبيل المثال : « سيرة ابن إسحاق » و « سيرة ابن هشام » و « سيرة ابن كثير » و « عيون الأثر » لابن سيد الناس و « تاريخ الإسلام للذهبي » ، وما إلى ذلك ...

وفصّلوا ودقّقوا ... فجزاهم الله عن المسلمين خير الجزاء .

٢ ـ الحفظ : فقد حفظ الله للمسلمين سيرة نبيهم ﷺ ، كما حفظ لهم سنته ، لأن في حفظهما حفظاً للقرآن الكريم ،

فقد هيأ الله للسيرة النبوية الصحابة الكرام الذين نقلوها لمن بعدهم بدقة وأمانة ، وهيأ من يهتم بها وسجلها تسجيله للنصوص الشرعية ، فحفظت بذلك سيرته ﷺ من الضياع ، وأصبحت في متناول يد كل مسلم ، فهناك المختصرات الموثوقة ، وهناك المصنفات الكبرى والموسوعية فيها .

يقول الأستاذ الدكتور : أكرم ضياء العُمَري في كتابه « المجتمع المدني في عهد النبوة » :

« فإن الدراسة والمقارنة تكشف عن التطابق بين كتب الحديث وكتب السيرة في كثير من الأسس والتفاصيل معاً ، وهذا من حفظ الله تعالى لسيرة نبيه ﷺ ، لتبقى مناراً يقتدي بها المسلمون في كل عصر ، ومصر ، فكان أن هيأ لها جهابذة المحدّثين من طبقة التابعين وتلامذتهم لكتابتها في وقت مبكر ، مُسْتقينَ أخبارها من الصحابة الذين كانوا شهود عيان ومشاركين في الأحداث ، فلم يقع انقطاع بين الأحداث والتدوين يؤدي إلى الضياع أو التحريف أو التهويل .

وعندما نستعرض أصحاب كتب السيرة نجد معظمهم من المحدثين ، وليسوا من الأدباء والقصاصين ، ولذلك أهميته ، فهم معروفون بالتوثيق ، ولهم مناهج نقدية واضحة ، وأساليبهم جدّيَة بعيدة عن المبالغة والحشو والخيال »[١] .

---

(١) انظر ص ٢٩ .

٣ ـ العمليّة : فإن سيرة النبي ﷺ صالحةٌ للتطبيق في كل عصر وكل مكان ، وفي كل جانب من جوانب الحياة ...

لأنها سيرة بعيدة عن الخيالات والمثاليات ، فمن أراد الاقتداء به ﷺ رجلاً وزوجاً ، وجد في سيرته خير مثال لخير رجل وخير زوج .

ومن أراد الاقتداء به داعية ومعلماً ، وجد في سيرته سيرة خير الدعاة وقدوة المعلمين ...

ومن أراد الاقتداء به إماماً وقائداً ، وجد في سيرته خير قدوة في سياسة الأمور وتدبيرها ...

ومن هنا : قامت الحجة بها على جميع الناس على مختلف مستوياتهم ، وكانت مناراً واضحاً لكل من أراد الاقتداء به ﷺ ممن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً .

إلى غير ذلك من خصائص ...[1]

* * *

(١) راجع كتاب « الرسالة المحمدية » للسيد سليمان الندوي ـ مترجم ـ فهو من أوسع من تكلم في خصائص السيرة النبوية الشريفة .

٣ ـ المصدر الرابع :

« سيرة الخلفاء الراشدين »

الخلفاء الراشدون بعده ﷺ الذين أُجْمِعَ على وصفهم بذلك أربعة ، هم على الترتيب : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم جميعاً ...

وقد سبق معنا حديث أبي داود والترمذي : « خلافةُ النبوة ثلاثون سنة ... »[١] .

فوصفت خلافة هؤلاء الأربعة بخلافة النبوة ، « حتى إن الإمام أحمد وغيره اعتمدوا على هذا الحديث في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة ، وثبتّه أحمد ، واستدل به على من توقّفَ في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه ، حتى قال أحمد : من لم يُربِّع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ، ونهى عن مناكحته ، وهو متفق عليه بين الفقهاء ، وعلماء السنة وأهل المعرفة والتصوف ، وهو مذهب العامة »[٢]

وهؤلاء الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدون أفضل الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً ، يقول الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : « ونقل البيهقي في « الاعتقاد » بسنده إلى أبي ثور عن الشافعي أنه قال : أجمعَ الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي »[٣] .

---

(١) الحديث قال عنه الترمذي : هذا حديث حَسَنٌ ، انظر « سنن الترمذي » (٢٣٢٦) و « تحفة الأحـوذي » (٤٧٦/٦ ...) وانظر « سنن أبي داود » رقم (٤٦٤٦) و (٤٦٤٧) (٣٦/٥) .

(٢) انظر « مجموع فتاوى ابن تيمية » (١٨/٣٥ ـ ١٩) .

(٣) « فتح الباري » (٧ / ١٧) .

ولمكانة هؤلاء الخلفاء من رسول الله ﷺ وخلافتهم الراشدة كانت سنتهم متبعةً كسنة رسول الله ﷺ ، ولاسيما فيما اتفقوا عليه من سُنَن ، وسنوه للناس من بعدهم [1] .

وقد جاء في الحديث الشريف :

« أُوصيكم بتقوى الله ، والسَّمْع والطاعة وإن تَأمَّر عليكم عَبدٌ ، وإنه من يَعِشْ منكم فسَيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين [2]، عَضّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومُحْدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة »[3] .

وقد كان لسيرتهم وسنتهم هذه المكانة الخاصة ، لأنهم كانوا إذا عرضت لهم قضية ، نظروا في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فإن وجدوا فيها شيئاً أخذوا به ، وإن لم يجدوا ، شاوروا مَنْ حولهم من كبار صحابة رسول الله ﷺ في ذلك .

روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب « القضاء » عن ميمون ابن مهران قال :

« كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ورد عليه الخصم ، نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه شيئاً قضى به ، وإلا ، فإن علم شيئاً عن رسول

---

(١) انظر كلاماً مفيداً في هذا للإمام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » (٣٥ / ٢٣) .

(٢) مع إجماع الأمة على عد الخلفاء الأربعة من الخلفاء الراشدين ، فقد روي عن بعض السلف عدهم خمسة ، فقد روى أبو داود في سننه عن سفيان الثوري قوله : « الخلفاء خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم جميعاً » رقم (٤٦٣١) (٥/ ٢٧) ط الدعاس .

(٣) الحديث رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، انظر سنن الترمذي (٢٦٧٨) وسنن أبي داود (٤٦٠٧) .

الله ﷺ قضى به ، فإن أعياه ، خرج فسأل المسلمين : هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكرون عن رسول الله ﷺ فيه قضاء ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ علينا علم نبينا ، فإن أعياه جمع رؤوس الناس وخيارهم واستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به ، وكان « عمر » رضي الله عنه يفعل ذلك ، فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة ، سأل : هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء ، فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به ، وإلا جمع علماء الناس ، واستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به »[(1)] .

فكانت سنتهم وسيرتهم امتداداً طبيعياً لسنة رسول الله ﷺ وسيرته ، وتطبيقاً عملياً لمنهج الله ورسوله .

ولعل حكمة اعتبار سنتهم كسنة رسول الله ﷺ في الاتباع ، ألا تقتصر أسوة المؤمنين على النبي المعصوم ﷺ ، وإنما تشمل خلفاءه الراشدين من بعده ، وحتى لا يتوهَّم متوهم أن إمكانية تطبيق الإسلام تطبيقاً صحيحاً لاتكون إلا في زمن رسول الله ﷺ ، وتتوقف بوفاته ، فقامت الحجة بسنتهم وسيرتهم كما قامت بسنة رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة .

* * *

---

(١) نقله عن أبي عُبَيْد، الحجويُّ في كتابه « الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي » (٢٢٨/١) ط ونشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

٥ ـ المصدر الخامس :

« وقائع العلماء والدعاة في ضوء تلك المصادر »

تُعدُّ تجارب العلماء والدعاة ، وتصرفاتُهم في الوقائع الدعوية مَصْدراً هاماً من مصادر الداعية ، يُعينُه على فهم المصادر السابقة ، واستنباط الأحكام منها ، لأنها تطبيقاتٌ عملية لمنهج الله ورسوله .

ومع أهمية هذه الوقائع وعظيم فائدتها ، فإنها تُعدُّ مصدراً تَبَعياً يستفاد منه في ضوء المصادر الأصلية السابقة ، لأنها اجتهادات بشرية تُخطئ وتُصيب ، فإذا أجمع العلماء على التعامل مع واقعةٍ ما بشكل محدد ، كان عملهم حجةً بسبب الإجماع ، وإن اختلفَتْ آراؤهم واجتهاداتُهم فيها ، كانت آراء اجتهادية تُنيرُ الطريقَ لغيرهم ، ولو أصابوا فيها أجراً واحداً ـ كما هو شأنهم في الاجتهادات الفقهية ـ .

وقد أخطأ بعض الناس حين غفلوا عن أهمية هذا المصدر ، فزهدوا به وأعرضوا عن الإفادة منه ، مُستَغْنِينَ بزعمهم بالكتاب والسنة !!

كما أخطأ آخرون في إنزال هذا المصدر مَنْزِلَة الكتاب والسنة المنزهين عن الخطأ ، تقديراً بزعمهم للعلماء واحتراماً لآرائهم واجتهاداتهم !! ، كما وقع من كلا الطرفين ، وما ضاعَ هذا الدين إلا بين الغالي فيه والمُقَصِّر .

فليست الدعوة الإسلامية نصوصاً جامدة ، أو أعمالاً وأحكاماً ثابتة ، وإنما هي بجانب النصوص الشرعية والأحكام الفقهية أفهامٌ بشرية ، واستنباطاتٌ علمية ، وموازناتٌ دقيقة لا يُحسنُها إلا أهلها .

ومن لهذه الموازنات والأفهام ، إلا العلماء وراثُ الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام ، فقد جاء في الحديث : « العلماءُ ورثة الأنبياء »[1] .

ومن هنا : جاء تشبيه العلماء بالنجوم في السماء ، فقد روى الحافظ الخطيب البغدادي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« إنَّ مَثَلَ العلماء في الأرض ، كمثل نجوم السماء ، يُهتدى بها في ظلماتِ البر والبحر ، فإذا انطمسَت النجوم ، يوشِكُ أن تَضِلَّ الهداة »[2] .

وروى ابن النجّار عن أنس رضي الله عنه :

« العلماءُ قادَة ، والمتّقون سادَة ، ومجالستُهم زيادة »[3] .

كما رُوِي :

« العلماءُ مصابيحُ الأرض ، وخلفاءُ الأنبياء ، وورثتي وورثة

---

(١) الحديث رواه أحمد والأربعة وآخرون ، قال عنه العجلوني : « وصحَّحه ابن حبان والحاكم وغيرهما ، وحَسَّنَهُ حمزة الكتاني ، وضعَّفه غيرهم لاضطراب سنده ، لكن له شواهد ... » انظر « كشف الخفاء » (٢/٨٣) .

(٢) انظر « الفقيه والمتفقه » (٢/٧٠) ، وقف فيه على نقول كثيرة عن السلف في قيمة العلماء وبيان ومكانتهم في (١/٣٢) وما حولها ، وانظر « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر (١/٦٠) وما حولها ، وقد روي هذا الحديث في المسند بِسنَد فيه ضَعْف (٢/١٥٧) .

(٣) الحديث : ساقه الخطيب البغدادي بسنده عن علي رضي الله عنه بلفظ « الأنبياء قادة ، والفقهاء سادة ، ومجالستهم زيادة » « الفقيه والمتفقه » (١/٣٢) ، وقال عنه العجلوني : « رجاله ثقات » انظر « كشف الخفاء » (٢/٨٣) ، كما قال عنه الهيثمي : « رجاله موثقون » انظر « مجمع الزوائد » (١/١٢٥ و ١٢٦) وظاهر كلام الهيثمي ينصرف إلى الرواية الموقوفة التي ساقها عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وليس إلى هذه الرواية فليتنبه لذلك وليبحث .

الأنبياء »[1] ، وما إلى ذلك .

وإن أولى العلماء بالاستفادة من وقائعهم وتصرفاتهم فيها : الصحابةُ الكرام رضوان الله عليهم ، لأنهم أعلم الناس بالمنهج الرباني ، والأسلوب الحكيم ، وذلك لصحبتهم لرسول الله ﷺ ، ومعايشتهم لسيرته الدعوية ، مما جعلهم خيرَ الناس ، وجَعلَ لهم منزلة خاصة عند علماء الأمة ، حتى جَعلَ بعضهم قولَ الصحابي حجةً ودليلاً .

ثم يأتي بعدَهم التابعون لهم بإحسانٍ من علماء القرون الأولى ، الذين أخذوا عن الصحابة واهتدوا بهديهم ...

ثم يأتي مِنْ بَعْدِهم عُلَماءُ الأمة ودعاتها على مختلف العصور ، الذين لاتخلو الأمة من أمثالهم ، جزاهم الله جميعاً عن المسلمين خير الجزاء .

وإن كتب التراجم والسيَر حافلةٌ بمثل هذه الوقائع والتجارب المفيدة [2].

ومع الاعتراف بأولوية وأهمية وقائع علماء السلف ودعاتهم ، فإنه لاينبغي للدعاة أن يَزْهدوا بوقائع علماء عَصْرِهم ، وتجارب الدعاة المعاصرين ، فقد يكون فيها من الوقائع والأحداث مايشابه وقائع العصر الذي يعيشون

---

(١) الحديث ذكَرَهُ العجلوني وقال : « رواه ابن عدي عن علي رضي الله عنه ، وهو حديثٌ صحيح كما قال المناوي » ، انظر « كشف الخفاء » (٢/ ٨٤) . ولعل هذا وهم من العجلوني ، ففي « فيض القدير » (٤/ ٣٨٤) السطر السابع : جاء التصحيح لحديث آخر سابق ، وليس لهذا الحديث ، فليتنبه لذلك وليُبحث .

(٢) انظر على سبيل المثال « الإصابة » لابن حجر ، و « أسد الغابة » لابن الأثير ، و « حياة الصحابة » لمحمد يوسف الكاندهلوي ، و « صفة الصفوة » لابن الجوزي ، و « سير أعلام النبلاء » للذهبي ... كما يستفاد في هذا الموضوع من كتب مذكرات الدعاة والعلماء ، و « الموسوعة الحركية » لفتحي يكن ، وغيرها من كتب التراجم على مختلف العصور .

فيه ، وما هو أكثر مطابقة لها ، فكلما تقاربت العصور تشابهت الوقائع والأحداث فيها ، والعلماءُ الموثّقون في كل عصر ، هم أدرى الناس باحتياجات عصرهم ، وبالأساليب النافعة فيه ، فلا يغني شيء عن شيء ، والله أعلم .

* * *

المبحث الثاني

« أركان الدعوة »

تعريفها :

الأركان **في اللغة** : جَمْعُ رُكن ، وهو : أحد الجوانب التي يستند إليها الشيء ، ويقوم بها ، وهو : جزء من أجزاء حقيقة الشيء ، يقال : ركن الصلاة وركن الوضوء [1] .

والركن في الاصطلاح :

« ما يقوم به ذلك الشيء ، مِنَ التَقَوّم ، إذ قِوام الشيء بركنه ، لا من القيام ... »[2] .

ومما سبق يمكننا تعريف أركان الدعوة بأنها « الأجزاء التي تمثل حقيقة الدعوة ، ولاتقوم الدعوة إلا بها » وهي ثلاثة :

أ ـ الداعي .

ب ـ المدْعو .

جـ ـ موضوع الدعوة .

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (ركن) (١ / ٣٧٢) .

(٢) « التعريفات » للجرجاني ، ص : ١١٢ .

١ ـ الركن الأول :

« الداعي »

وقد سبق معنا تعريفه في التمهيد بأنه :

« المُبَلِّغُ للإسلام ، والمعلِّم له ، والساعي إلى تطبيقه » ، فهو القائم بالدعوة ، قال تعالى :

﴿ ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ۞ وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيرا ﴾ (١) .

أهمية الداعي وفضله :

يمكننا الوقوف على أهمية الداعي وفضله من عدة جوانب :

١ ـ من حيث موضوعُه الذي يدعو إليه : فهو داعية إلى الله ، يدعو إلى رضائه وجنته ، قال تعالى :

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً ، وقال إنني من المسلمين ﴾ (٢) .

وقال أيضاً :

﴿ ويا قَوْمِ مَالي أَدْعوكم إلى النجاةِ وتَدْعونَني إلى النار ۞ تَدْعونَني لأَكْفُرَ بالله وأُشْرِكَ به مـالَيْسَ لي به عِلم ، وأَنَا أَدْعوكم إلى العزيزِ الغَفَّار ﴾ (٣) .

---

(١) الآيات / ٤٥ ـ ٤٦ / من سورة الأحزاب .

(٢) الآية / ٣٣ / من سورة فصلت .

(٣) الآيات / ٤١ ـ ٤٢ / من سورة غافر .

٢ ـ من حيث وظيفتُه : فإن وظيفة الداعية أشرف الوظائف على الإطلاق ، لأنها عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أشرف البشر . وإن عظم الوظيفة تدل على عظم صاحبها ،

قال تعالى :

﴿ رُسُلاً مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (١) .

٣ ـ من حيث أجْرُه وثوابه : فقد وعد الله عز وجل الدعاة إليه بالأجر الكبير ، والفضل العظيم ، فقد جاء في الحديث الشريف :

« من دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مِثْلُ أجور من تبعه ، لايَنْقُصُ ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه مِنَ الإثم مثلُ آثام من تبعه ، لايَنقُص ذلك من آثامهم شيئاً » (٢) .

وجاء في الحديث الآخر :

« فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكونَ لك حُمْر النَّعَم » (٣) .

إلى غير ذلك من نصوص شرعية تبين عظيم ثواب الداعية على عمله ... (٤)

---

(١) الآية / ١٦٥ / من سورة النساء .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه ، انظر « صحيح مسلم » رقم (٢٦٧٤) .

(٣) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٣٧٠١) (٧/ ٧٠) و « صحيح مسلم » رقم (٢٤٠٦) .

(٤) راجع رسالة « وجوب تبليغ الدعوة ـ فضل الدعوة والداعية ـ » للشيخ عبد الله ناصح علوان ـ نشر دار السلام ـ .

صفاتُ الداعي وآدابه :

لما كانت الدعوة إلى الله عَملَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأتباعهم ، كان لابد للقائم بها من التحلي بصفات أساسية وآداب ضرورية ليكون أهلاً لهذا العمل ، وتكون دعوته مثمرة ،

ونظراً لعدم الفرق العلمي الدقيق بين الصفات والآداب ، رأيت أن أسرد أهم الصفات والآداب الضرورية للداعية دون تفريق بينهما من جهة ، ودون تفصيل لهذه الصفات والآداب وأدلتها من جهة أخرى ، تمشياً مع طبيعة المدخل .

ويمكن لمن أحب التفصيل في ذلك أن يرجع إلى كتب الأخلاق والآداب ، فهي حافلة بالصفات الكريمة ، والأدلة عليها (١) .

١ ـ الإيمان العميق بما يدعو إليه :

فإنه بقدر إيمان الداعية بدعوته ، وتفهمه لضرورتها وحاجة الناس إليها ينجح في دعوته ، وبقدر ضعف هذا الإيمان ، والنظر إليها بأنها مهمة ثانوية يتهاون فيها ، ويتكل فيها على غيره ، ويتعثر في طريقه ، ويعطيها من فَضْل وقته ...

قال تعالى :

---

(١) يراجع على سبيل المثال : كتاب « الأدب المفرد » ، و « الآداب الشرعية » لابن مفلح ، و « غذاء الألباب » للسفاريني ، و « إحياء علوم الدين » للغزالي ، و « الأخلاق الإسلامية » للشيخ : عبد الرحمن حبنكة الميداني . وغيرها من كتب الأخلاق والآداب . وانظر رسالة « صفات الداعية النفسية » للشيخ عبد الله علوان ، نشر دار السلام .

﴿ يايحيى خُذِ الكتاب بقوة ... ﴾ [1] وقال أيضاً :

﴿ فَخُذْها بِقوّة ، وأمُرْ قومَكَ يأخذوا بِأحسنها ﴾ [2] .

وقد كان تصميم رسول الله ﷺ على المضي في الدعوة تصميماً قوياً يقطع جميع أنواع التردد والمساومات ،

فقد ورد « أن قريشاً جاءت إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي مسجدنا ! فانْهَه عن أذانا ، فقال : ياعقيل ائتني بمحمد ، فذهبت فأتيته به ، فقال : ياابن أخي : إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مسجدهم ، فانته عن ذلك . قال : فَحَلّق رسول الله ﷺ إلى السماء ، فقال : أترون هذه الشمس ؟ قالوا : نعم ، قال : « ماأنا بأقدر على أن أدَع لكم ذلك ، على أن تستشعلوا لي منها شعلة » قال : فقال أبو طالب : ماكذبنا ابن أخي ، فارجعوا » [3] .

ومن هنا ، وقف الرسول ﷺ يَتبيَّنُ يوم « بدر » مواقفَ أصحابه الذين خرجوا معه ، قبل أن يقدم على المعركة [4]، ليعلم مدى عزمهم وتصميمهم ...

---

(١) الآية / ١٢ / من سورة مريم .

(٢) الآية / ١٤٥ / من سورة الأعراف .

(٣) الحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٥/٦) ، وعزاه إلى « مسند أبي يعلى » وقال : ورجاله رجال الصحيح ، كما عزاه إلى « المعجم الكبير والوسط » للطبراني . ويُفضَّل الاستدلال به بدلاً من الاستدلال بالرواية المشهورة التي فيها : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ... الخ » التي رواها ابن إسحق عن يعقوب ابن عتبة ــ أحد ثقات أتباع التابعين ــ مُعْضَلَةً ، وإن كان أصلها موصولاً ــ كما ذكر الهيثمي ــ وانظر « سيرة ابن هشام » (٢٦٦/١) .

(٤) راجع « سيرة ابن هشام » (٦١٤/١) .

٢ ـ الاتصال الوثيق بمن يدعو إليه :

فالداعية أحوج من يكون إلى الاتصال الوثيق بالله عز وجل ، ليستمد منه العون والتوفيق .

ومن مظاهر هذه الصلة الوثيقة بالله :

أ ـ إخلاص النية له سبحانه في دعوته ، فلا يرجو من ورائها إلا رضاه ، ولا يتطلع من خلالها إلى مكاسب شخصية ، أو منافع دنيوية ، أو يتخللها شيء من الرياء ...

وإن أي غفلة عن الإخلاص ، قد تُحوِّلُ القَصْدَ ، وتُفسد النيّة ، فيضيع العمل ويحبط الأجر ، كما حدث للثلاثة الذين هم أول مَنْ تُسْعَر بهم جهنم ، وهم : عالم ، ومنفق ، ومُقاتِل [١] .

ب ـ محبة الله عز وجل ، والإكثار من عبادته وذكره ، لأن الداعية الوثيق الصلة بالله ، يحرص على طاعته ، والتقرب إليه ، بل يحرص على النوافل حرصه على الواجبات ، ويتجنب المكروهات اجتنابه للمحرمات ، ويزيد من القربات والطاعات حتى يتولاه الله في شؤونه جميعها ،

فقد جاء في الحديث الشريف :

« ... وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضتُ عليه ، ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببتُه ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله

---

(١) انظر الحديث الذي رواه الإمام مسلم وغيره في ذلك ، « صحيح مسلم » (١٩٠٥) .

التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنّه ... »[1] .

إلى غير ذلك من مظاهر الصلة الوثيقة بالله عز وجل [2] .

٣ ـ العلم والبصيرة بما يدعو إليه :

لأن أهل العلم هم الذين يستطيعون القيام بحق الدعوة حق القيام ، وذلك بما أوتوا من ميراث رسول الله ﷺ ، ومن بصيرة بدينهم ، وما أكثر ما يسيء الجاهل إلى دعوته من حيث لايشعر ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هل يَسْتوي الذين يَعْلَمونَ والذينَ لايَعْلَمون ﴾ [3] .

وقال : ﴿ قُلْ هذه سبيلي أدْعو إلى الله على بَصيرة ، أنا ومن اتَّبعني ﴾ [4] .

وانظر ما فعله العابد على جهل بالذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، ثم جاء يسأله عن التوبة ...[5]

٤ ـ العَملُ بالعِلْم والاستقامةُ في السلوك :

فلا خير في داعية لا يوافق علمه عمله ، ولايستقيم سلوكه ، وإن

---

(١) الحديث رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦٥٠٢)(٣١٤/١١) .

(٢) راجع في ذلك كتاب « الدعوة إلى الإسلام وأركانها » وكتاب « الإيمان : خصائصه وثمراته » للوالد الشيخ أحمد عز الدين البيانوني ـ رحمه الله ـ .

(٣) الآية / ٩ / من سورة الزمر .

(٤) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

(٥) انظر الحديث المتفق عليه في « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٣٤٧٠)(٥١٢/٦) وفي « صحيح مسلم » رقم (٢٧٦٦) .

من أخطر مايصاب به الدعاة انفصالَ علمهم عن عملهم ، قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تَفْعلون * كَبُرَ مَقْتاً عند الله أَنْ تَقولوا مالا تَفْعلون ﴾ (١) .

كما قال على لسان نبيه شعيب عليه السلام :

﴿ وما أُريدُ أنْ أُخالِفَكم إلى ما أَنْهاكم عنه ، إِنْ أريدُ إلا الإصلاحَ مااستطعتُ ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلتُ وإليه أُنيب ﴾ (٢) .

وإن من أثر انفصال العلم عن العمل في الدنيا : أن يقول المدعوون : لو كان هذا صادقاً فيما يدعونا إليه ، لطبق ذلك على نفسه وعلى من يلوذ به ، وكان أسرع الناس إليه ... وما أضعف موقف الداعية الذي يتحدث عن محاسن الإسلام وصلاحية تطبيقه في كل زمان ومكان ، ثم لايُرى أثر ذلك في نفسه وأسرته !! فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال .

ويكفي في أثر ذلك في الآخرة ، أن يصبح مصير هذا الداعية ، مصيرَ ذلك الذي تندلق أقتاب بطنه في النار ، فقد جاء في الحديث الشريف :

« يُؤْتى بالرجل يومَ القيامة ، فيُلْقَى في النار ، فتَنْدَلِقُ أقتابُ بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرَّحا ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يافلان مالَكَ ؟ ألم تكُ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

---

(١) الآيات / ٢ ـ ٣ / من سورة الصف .

(٢) الآية / ٨٨ / من سورة هود عليه السلام .

فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه »[1] .

٥ ـ الوَعْي الكامل :

وهو إدراك مايحيط بالدعوة ، فلا يغني العلم عن الوعي ، فلابد للداعية من وعي شامل بعدة أمور :

أ ـ بواقع الدعوة ومتطلباتها في عصره .

ب ـ بواقع المدعويين من حوله .

جـ ـ بواقع الداعية نفسه ، وما يحيط به من ظروف وأحوال .

فإذا لم يَعِ الداعية هذه الأمور ، تخبط في دعوته ، وجَرَّ إليها النكبات والكوارث من حيث يريد الإصلاح ، شعر بذلك أو لم يشعر ، فعلى أساس هذا الوعي : توضعَ الخطط ، وتُحددُ الأولويات ، وتُعْقَد الموازنات ، وبالوعي تكتمل بصيرة الداعية بدعوته .

٦ ـ الحكمة في الأسلوب :

فعلى الداعية أن يكون حكيماً في أسلوب دعوته ، يختار لمن يدعوهم الأسلوب الحسن المناسب ، فيضع كل أسلوب في محله ، والحكيم هو من يحسن الاختيار ، ويضع الشيء في محله . قال تعالى :

﴿ يُؤْتي الحكمةَ من يشاء ، ومن يُؤْتَ الحكمةَ فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً ﴾[2] . وقال :

---

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٣٢٦٧)(٦/٣٣١) و « صحيح مسلم » رقم (٢٩٨٩) .

(٢) الآية / ٢٦٩ / من سورة البقرة .

﴿ ادْعُ إلى سَبيلِ ربكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجَادِلْهم بالتي هي أَحْسَن ﴾ [1] . وسيأتي معنا مزيد بيان لأوجه الحكمة في الفصل المتعلق بالمناهج والأساليب والوسائل ـ إن شاء الله ـ .

٧ ـ التخلق بالخلق الحسن :

إذا كان الاتصال الوثيق بالله عز وجل أهم صفةٍ في جانب صلة الداعية بالله ، فإن التخلق بالخلق الحسن أهم صفة في جانب صلة الداعية بالمدعويين . وقد وصف الله عز وجل الداعية الأول رسوله ﷺ بقوله :

﴿ وإنَّكَ لعَلى خُلُقٍ عظيم ﴾ [2] ، وبين له أهمية الخلق بقوله :

﴿ فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم ، ولو كنتَ فَظاً غليظَ القلب لانفَضُّوا من حَوْلك ، فاعفُ عنهم ، واستغفِرْ لهم ، وشاوِرْهم في الأمر ، فإذا عَزَمْتَ فتوكَّلْ على الله ، إنَّ الله يُحِبُّ المتوكلين ﴾ [3] .

ووصف الصحابةُ رسولنا ﷺ بأنه كان أحسن الناس خُلُقاً [4] .

وبين لنا رسول الله ﷺ مكانة الخلق الحسن ، فقال :

---

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ٤ / من سورة القلم .

(٣) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

(٤) كما ورد في الحديث المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦٢٠٣)(٥٨٢/١٠) ، وانظر « صحيح مسلم » رقم (٢١٥٠) ، وانظر « شرح مسلم للنووي » (٧٠/١٥ و ٧١) .

« أكمل المؤمنين إيماناً ، أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم »[1]

وقال :

« ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذيّ »[2] .

وكان آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ معاذاً حين أرسله إلى اليمن ، أن قال له :

« أَحْسِنْ خُلُقَكَ للناس ، يامعاذ بن جبل »[3] .

فعلى الداعية أنْ يجاهد نفسه للتحلي بالأخلاق الحسنة ، والتخلّي عن الأخلاق السيئة ، فإن العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، وجاء في الحديث الشريف :

« ومن يَستَعْفِف يُعفَّه الله ، ومن يَستَغْنِ يُغْنِه الله ، ومن يتصبَّر يصبرّه الله ... »[4] .

والأخلاق الحسنة كثيرة فصلها علماء الأخلاق في مصنفاتهم ، فليُرْجَعْ إليها ، ولتجاهَدِ النفوس على التحلي بها .

---

(١) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، انظر « سنن الترمذي » رقم (١١٦٢) .

(٢) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، انظر « سنن الترمذي » رقم (٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤) .

(٣) الحديث أخرجه مالك في « الموطأ » باب حسن الخلق رقم (١) ، انظر « موطأ مالك » ص (٥٦٣) ط : كتاب الشعب .

(٤) هذا جزء من حديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٦٤٧٠) (١١/ ٣٠٣) و« صحيح مسلم » رقم (١٠٥٣) .

٨ ـ إحسان الظن بالمسلمين :

على الداعية أن يحسن الظن بالمسلمين جميعاً ، وأن يُجري أحكامه فيهم على الظاهر ، ويكل أمر السرائر إلى الله تعالى ،

قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم ... ﴾ (١) .

وجاء في الحديث الشريف :

« إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ... »(٢) ، وجاء فيه أيضاً :

« حسن الظن من حسن العبادة »(٣) .

ولا يستلزم إحسان الظن بالناس الغفلة عن واقعهم ، والسكوت عن أخطائهم ، ولكنه قد يستلزم حَمْلَ أقوالهم وأفعالهم على الأصلح .

كما لايتعارض حسن الظن مع الحذر ، قال تعالى : ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴾ (٤) وقال : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ﴾ (٥) وقد اشتُهِر عن عمر بن الخطاب

---

(١) الآية / ١٢ / من سورة الحجرات .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٥١٤٣) و « الفتح » (٩/ ١٩٨) و « صحيح مسلم » (٢٥٦٣) .

(٣) الحديث رواه أبو داود رقم (٤٩٩٣) و (٤/ ٢٩٨) ط : محيي الدين عبد الحميد ، وانظر « فيض القدير » للمناوي (٣/ ٣٨٥) .

(٤) الآية / ١٤ / من سورة التغابن .

(٥) الآية / ٩٢ / من سورة المائدة .

رضي الله عنه ، قوله :

« لست بالخَبِّ ، ولا الخب يخدعني »[1] .

٩ ـ أن يَسْتُرَ على الناس عيوبهم :

قال تعالى :

﴿ إن الذين يُحِبّون أن تَشِيعَ الفاحِشَةُ في الذين آمنوا ، لهم عذابٌ أليم في الدنيا والآخرة ﴾[2] .

وجاء في الحديث الشريف :

« لايَسْتُر عبدٌ عبداً في الدنيا ، إلا ستره الله يوم القيامة »[3] .

فإن الداعي في دعوته مَثَلُه مثلُ الطبيب في مهنته ، قد يَطَّلع على بعض العورات ليعالجها ، فيجب عليه سَتْرها وعدمُ فَضْح صاحبها .

١٠ ـ أن يخالط الناس حيث تَحسن الخلطة ، ويعتزلهم حيث يحسن الاعتزال :

فإن من مستلزمات عمل الداعية مخالطة الناس لدعوتهم إلى الخير ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وقد جاء في الحديث الشريف :

« المؤمن الذي يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم ، أفضل من

---

(١) « سِراجُ الملوك » للطرطوشي ص(٥٦) نقله عنه كتاب « أخبار عمر » للطنطاويين ص(٢٦٦) الطبعة الثامنة .

(٢) الآية / ١٩ / من سورة النور .

(٣) الحديث رواه مسلم ، « صحيح مسلم » رقم (٢٥٩٠) .

المؤمن الذي لايخالط الناس ، ولا يصبر على أذاهم »[١] .

وللخلطة شروط وآداب بَيَّنها العلماء ، لابد من ملاحظتها [٢]، قال تعالى :

﴿ وإذا رأيتَ الذين يَخُوضونَ في آياتنا ، فأعْرِضْ عنهم حتى يَخوضوا في حديثٍ غيره ﴾ [٣] .

وقال أيضاً :

﴿ وقد نَزَّلَ عليكم في الكتاب أَنْ إذا سَمِعْتُم آياتِ الله يُكفَرُ بها ويُسْتَهْزَأُ بها ، فلا تَقْعدوا معهم حتى يَخوضوا في حديثٍ غَيْرِه ، إنكم إذاً مِثْلُهم ﴾ [٤] .

وقد بين رسول الله ﷺ أن أول مادخل النقص على بني إسرائيل ، كان من وراء الخلطة غير المنضبطة لأصحاب المعاصي والمنكرات [٥] .

ولايخفى على عاقل مايفعله الأطباء المعالجون للمرضى من الاحتياطات والتحفظ من أمراض الناس مخافة التلوث بها ، وانتقالها إليهم ...

---

(١) رواه أحمد والترمذي وغيرهما ، وهو حديث صحيح ، انظر تعليق رباح والدقاق على « رياض الصالحين » ص ٢٨١ .

(٢) راجع باب « فضل الاختلاط بالناس ... الخ ... » في « رياض الصالحين » ص ٢٨١ .

(٣) الآية / ٦٨ / من سورة الأنعام .

(٤) الآية / ١٤٠ / من سورة النساء .

(٥) انظر الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن ، « سنن أبي داود » رقم (٤٣٣٦) والترمذي (٣٠٥٠) .

١١ ـ أن يُنْزِلَ الناس منازلهم ، ويعرف لأهل الفضل فضلهم :

ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها : « أمرنا رسول الله ﷺ أنْ نُنْزِلَ الناسَ منازِلَهم »[١]. وفي الحديث الآخر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده :

« قال : قال رسول الله ﷺ : ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شَرَفَ كبيرنا »[٢] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من إجلال الله تعالى ، إكرامَ ذي الشيبة المسلم ، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه ، والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المُقْسط »[٣] .

فعلى الداعية ملاحظة مستويات الناس وتفاوتها ، وأن ينزل الناس منزلتهم ، « فإنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهلُ الفضل »[٤] .

---

(١) الحديث رواه مسلم تعليقاً في مقدمة صحيحه ، وقال عنه العجلوني بعد أن ذكر له طرقاً : « وبالجملة فحديث عائشة حسن ، وقال في التمييز : وذكره الحاكم أبو عبد الله في كتابه معرفة علوم الحديث ، وقال : حديث صحيح » « كشف الخفاء » (١/٢٢٤ و ٢٢٥) .

(٢) الحديث : رواه أبو داود والترمذي وغيرهما ، وقال عنه الترمذي : حسن صحيح ، انظر « سنن الترمذي » (١٩٢١) وأبي داود (٤٩٤٣) .

(٣) الحديث : رواه أبو داود ، رقم (٤٨٤٣) ، وحسنه النووي والعراقي وابن حجر ، انظر « رياض الصالحين » ص ١٧٣ ، وتعليقات رباح والدقاق .

(٤) روي هذا القول حديثاً من طريقين ، قال عنهما العجلوني في « كشف الخفاء » (١/٢٥٠) : « والحديثان ضعيفان ، ولكن المعنى صحيح كما قاله السخاوي ... » .

١٢ ـ أن يتعاون مع غيره من الدعاة ، ويشاورهم ويتناصح معهم :

قال تعالى :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولاتعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [١]، وإن العمل الدعوي من أعظم أوجه البر الذي يتطلب التعاون والتشاور والتناصح ، قال تعالى :

﴿ وأَمْرُهم شورىٰ بَيْنَهم ﴾ [٢] .

وفي الحديث الشريف :

« الدين النصيحة ، قلنا : لِمَنْ ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم »[٣] .

وإن العمل بهذا الأدب الدعوي يُعمِّقُ المحبة بين الدعاة ، ويَدْفع الشرور عنهم ، ويعالج إعجابَ كل ذي رَأي برأيه .

إلى غير ذلك من صفات وآداب دعوية لاتخفى على العالم البصير ، والداعية الحريص ... ولابد لتحصيل مثل هذه الصفات والآداب من مجاهدة قوية مستمرة ، قال تعالى :

﴿ والذين جاهَدوا فينا ، لنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنا ، وإنَّ الله لَمَعَ المحسنين ﴾ [٤] .

---

(١) الآية / ٢ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ٣٨ / من سورة الشورى .

(٣) الحديث رواه مسلم وغيره ، انظر « صحيح مسلم »(٥٥) .

(٤) الآية / ٦٩ / من سورة العنكبوت .

إعداد الداعية :

لابد لتكوين الدعاة ، وتربيتهم على الصفات الكريمة ، والآداب الحميدة التي سبق ذكرها من إعْدادٍ خاص للقيام بوظيفتهم على أحسن وجه .

ولعل من أبرز معالم هذا الإعداد :

١ ـ العناية بتنشئتهم على تعلم أحكام الإسلام ، وخصائصه وآدابه ، وتسليحهم بجميع المستلزمات الدعوية ...

٢ ـ العناية بمدارسة القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والسيرة معهم على وجه يُراد منه التلقّي والتأسي والاتّباع ...

٣ ـ العناية بصحبة العلماء العاملين ، والدعاة الربانيين ، والمربيّن الصادقين ، ليقبسوا من هديهم ، ويستفيدوا من خبراتهم وأساليبهم ...

٤ ـ تعميق معاني الأخوة الإيمانية فيما بينهم ، ليتبادلوا حقوقها ، ويشعروا بفائدتها .

٥ ـ العناية بمدارسة التطبيقات الدعوية ، ومناقشة الأخطاء لتلافيها والإفادة منها .

وما إلى ذلك من معالم لاتخفى على المهتمين ...

* * *

٢ ــ الركن الثاني :

« المدْعوّ »

تعريفه : سبق أن عرفنا المدعو في التمهيد بأنه :

« مَنْ تُوجَّهُ إليه الدعوة » وهو الإنسان مطلقاً قريباً أو بعيداً ، مسلماً أو كافراً ، ذكراً أو أنثى ...

ولايمنع هذا التعميم في تعريفه ، أن يكون الأقربون من الداعية أولى الناس بالدعوة ، وأحق بها من غيرها ، فالأقربون أولى بالمعروف ، قال تعالى :

﴿ وأَنذِرْ عَشيرَتَكَ الأقربين ﴾ [١] .

وأقرب الأقربين إلى الداعية نَفْسُه التي بين جنبيه ، قال تعالى :

﴿ قَدْ أَفلحَ من زكّاها ، وَقَدْ خابَ من دَسّاها ﴾ [٢] .

ثم أهله وأسرته ، قال تعالى :

﴿ ياأيُّها الذين آمَنوا قُوا أَنْفُسَكم وأَهْليكُم ناراً ... ﴾ [٣]

وقال :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بالصلاةِ واصْطَبِرْ عَلَيها ... ﴾ [٤] .

ثم يأتي جميع الأقارب والأرحام ، الأقرب فالأقرب ، ثم يعم الأمر الجيران وغيرهم من الناس .

---

(١) الآية / ٢١٤ / من سورة الشعراء .

(٢) الآية / ٩ ــ ١٠ / من سورة الشمس .

(٣) الآية / ٦ / من سورة التحريم .

(٤) الآية / ١٣٢ / من سورة طه .

وقد أسهبت في بيان هذا التفصيل والترتيب دفعاً للغفلة التي يقع فيها كثير من الدعاة اليوم ، حيث يُشْغَلون بدعوة الآخرين عن دعوة أنفسهم ، أو يهتمون بدعوة الأباعد أكثر من دعوة الأقارب .

قال تعالى :

﴿ أَتَأْمُرونَ الناسَ بالبِرِّ وتَنْسونَ أَنْفسَكُم ، وأَنْتم تَتْلونَ الكتابَ ، أَفلا تَعْقِلون ! ﴾ (١) .

حَقُّ المَدْعو :

إن للمَدْعو حقوقاً ، كما أن عليه واجبات ، ولعل أهم حق للمدعوين في عنق الدعاة :

أن يُقصَدوا ويُدعَوا ، أو يُرسَل إليهم ، وأن لاتكون الدعوة لهم عَرَضاً أو مصادفة ... كما أن من حقوقهم : أن يُحرَص عليهم جميعاً ، ولايُستهان بواحد منهم أياً كان شأنه ...

فقد أرسل الله عز وجل رسله إلى الناس ، إعطاءً لحقهم من جهة ، وإقامة للحجة عليهم من جهة أخرى .

لذا ، قررالشارع عدم تعذيب قوم حتى تقام الحجة عليهم ، ويُعطوا حقهم في الدعوة ، قال تعالى :

﴿ وما كنا مُعَذِّبين حتى نَبْعَثَ رسولاً ﴾ (٢) .

وقد قام رسول الله ﷺ بوفاء هذا الحق ، فبشر وأنذر ، وخرج أصحابُهُ بعده بالدعوة ، فنشروا الدين في الآفاق ، وأقاموا الحجة على

(١) الآية / ٤٤ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ١٥ / من سورة الإسراء .

الناس كافة . فإن الأمة المسلمة لم توجد لنفسها ، وإنما وُجِدَت لتنقذ الناس من الظلمات إلى النور ، فكانت الأمة الداعية ،

قال تعالى :

﴿ كنتم خَيْرَ أمة أُخْرِجَت للناس ، تَأْمرون بالمعروف وتَنْهون عن المُنْكر ، وتُؤمنون بالله ﴾ (١) .

ولم يفرق رسول الله ﷺ في عرض دعوته وتبليغها للناس بين كبير وصغير ، وذكر وأنثى ، وقريب وبعيد ،

ولم تشغله دعوته للأقارب عن دعوة الأباعد ، ودعوته لعامة الناس عن دعوة زعمائهم ورؤسائهم ، ودعوة الأقوياء عن دعوة الضعفاء ، ولما وقع في شيء من ذلك اجتهاداً منه ﷺ في تقديم الأولويات ذُكِّر في ذلك ، فقال سبحانه :

﴿ عَبَسَ وتَولّى ۞ أَنْ جاءَه الأَعمىٰ ۞ وما يُدريك لعله يَزّكىٰ ۞ أو يَذكَّرُ فتَنْفَعَه الذكْرى ﴾ (٢) فما كان منه ﷺ بعد ذلك أن يزهد بأحد ، حتى إنه لما لَقِيَ عند العقبة ستة نفر من الخزرج وهم يحلقون رؤوسهم ، لم يزهد بهم وهم على هذه الحال ، فأقبل إليهم وعرض عليهم دعوته ، فكانوا النواة الأولى لبيعة العقبة ، في الوقت الذي أعرض فيه عنه كثير من الرجال وزعماء القبائل ... (٣)

---

(١) الآية / ١١٠ / من سورة آل عمران .

(٢) الآيات / ١ ـ ٤ / من سورة عبس .

(٣) أخرج هذا الخبر أبو نعيم في « الدلائل » ص (١٠٥) ، ونقله الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي في كتابه : « حياة الصحابة » (١/١٠٤) تحقيق الشيخ نايف العباس ، ومحمد علي دولة .

واجب المدعو :

إن أهم واجب على المدعو تجاه الدعوة :

أن يستجيب لدعوة الحق ، فلا يمنعه من الاستجابة مانع ، سواء أكان عادةً اعتادها ، أم جهلاً أم كِبْراً في نفسه ، أم ضعفاً في شَخْص الداعي ، أم تقصيراً فيه ، وما إلى ذلك ...

قال الله تعالى في وصف المؤمنين :

﴿ إنما كان قَولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله لِيَحْكُمَ بينهم ، أنْ يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون ﴾ (١) .

كما قال في وصف الكافرين :

﴿ ويقولون سَمِعنا وعَصَيْنا ... ﴾ (٢) .

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالاستجابة للحق فقال :

﴿ ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكم ... ﴾ (٣) .

وإذا كان من حق المدعو أن يُدعى ، ولا يُهمل ، فإن من واجبه أن يستجيب فلا يُعْرِض .

أصناف المدعوِّين :

ينقسم الناس بعد أن تُوجَّه إليهم الدعوة ، فيستجيب لها من يستجيب ،

(١) الآية / ٥١ / من سورة النور .

(٢) الآية / ٤٦ / من سورة النساء .

(٣) الآية / ٢٤ / من سورة الأنفال .

ويعرض عنها من يعرض إلى أصناف متعددة ،

قال تعالى :

﴿ كان الناس أمةً واحدةً ، فبَعَثَ اللهُ النبيينَ مبشرين ومُنذرين ، وأنْزلَ معهم الكتابَ بالحق ليَحْكُمَ بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أُوتوهُ مِنْ بَعْدِ ماجاءتهم البينات بَغْياً بينهم ، فَهَدىٰ اللهُ الذينَ آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنه ، والله يَهْدي مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (١) .

فيكون الناس بين مهتد وضال ، ومستجيب ومعرض ، كما يكون منهم من يتظاهر بالهداية وهو على كفره ، قال تعالى :

﴿ ومِنَ الناس مَنْ يقولُ آمنا بالله وباليوم الآخر ، وماهم بمؤمنين * يُخادِعون الله والذين آمنوا ، ومايَخْدَعون إلا أنفسَهم ومايَشعُرون * في قلوبهم مرض فزادَهم اللهُ مَرَضاً ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ (٢) .

وقد جاء في أوائل سورة البقرة ذكر ثلاثة أصناف من الناس : المؤمنين ـ والكافرين ـ والمنافقين .

ومِنْ تَتَبُّعِ النصوص الشرعية الواردة في أصناف الناس ، نستطيع تقسيم المدعوين إلى صنفين أساسيين ، هما :

أ ـ المسلمون أو المؤمنون : وهم المعروفون في الاصطلاح الدعوي

---

(١) الآية / ٢١٣ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ٨ ـ ١٠ / من سورة البقرة .

بأمة (الاستجابة) ، وهم أصناف متعددة ـ كما سيأتي معنا ـ

ب ـ الكافرون أو (غير المسلمين) : الذين يدخلون في الاصطلاح في (أمة الدعوة) ، وسيأتي معنا تصنيفهم أيضاً .

أ ـ أصناف المسلمين :

يمكننا تصنيف المسلمين من حيثيتين :

١ ـ من حيث الاهتداء والضلال .

٢ ـ من حيث قوة أو ضعف التزامهم بالإسلام .

فمن الحيثية الأولى ينقسمون إلى : (مسلمون مهتدون) ، و(مسلمون ضالون) ، وهذا التقسيم غالباً مايستعمل في مقام الحكم على العقائد ، وبيان سلامتها ، وذلك لأن المسلم قد يضل في عقيدته ضلالاً لايخرجه عن الملة الإسلامية ، كأن يكون صاحب بدعة خطيرة في العقيدة لايُكفَر بها ، وذلك كمن أنكر مسألة أصلية شرعية متأولاً بدليل أو شبهة ـ كما وقع في هذا الشيعة والخوارج والمعتزلة وغيرهم على وجه عام ، أما أفرادهم فقد يكون فيهم الضال أو الكافر بحسب مايصدر عنهم من مكفر في القول أو العمل ـ [1] .

ومن الحيثية الثانية ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

---

(١) راجع حكم هذه الأصناف في مختلف كتب العقائد ، وانظر « الاعتصام » للشاطبي (٢/ ١٨٥ ...)و (٢/ ٢٠٠ ـ ٢٢٣) و (٢/ ٢٢٦ ـ ٢٣٠) و « مجموع فتاوى ابن تيمية »(٣٥/ ٩٩ ـ ١٠٤) وانظر « الكفر والمكفرات » للوالد الشيخ أحمد عز الدين البيانوني ـ رحمه الله تعالى ـ وانظر « لوامع الأنوار البهية » للسفاريني (١/ ٧٦ ـ ٩٣) نشر مؤسسة الخانقين .

أ ـ سابق بالخيرات : وهو التقي الصالح .

ب ـ وظالم لنفسه : وهو الفاسق الفاجر .

جـ ـ ومقتصد : وهو الضعيف المتردد بين الصنفين السابقين .

قال تعالى :

﴿ ثم أَوْرَثْنا الكتابَ الذين اصطَفَيْنا من عبادنا ، فَمِنْهم ظالمٌ لنفسه ، ومنهم مُقْتَصِد ، ومنهم سابِقٌ بالخيرات بإذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير ﴾ [1] .

وهذه الأصناف الثلاثة موجودة في أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً .

وقد يوجد في بعض هذه الأصناف ، بعض صفات الكافرين والمنافقين وأعمالهم مما يؤاخذون عليه ، وإن لم يخرجهم من الملة ، ومن هنا قيل : هناك كفر دون كفر ، وضلال دون ضلال [2]، ومنه سميت مشابهة المنافقين في أعمالهم (بالنفاق العملي) .

فقد ورد في الحديث الشريف : « من حَلَف بغير الله فقد كفر أو أشرك »[3] أي عَمِلَ عَمَلَ أهل الشرك ، وعُبِّر عنه بالشرك تغليظاً لفعله ،

---

(١) الآية / ٣٢ / من سورة فاطر .

(٢) انظر ما فعله البخاري في ترجمته لبعض الأبواب بقوله : « كفرٌ دون كفر ، وظلم دون ظلم » في « الفتح » (١/٨٣ و ٨٧) .

(٣) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، انظر « سنن الترمذي » (١٥٣٥) وجاء في التعليق على « رياض الصالحين : ص ٦٤٩ » وأخرجه أحمد (٢/٣٤ و ٦٩ و ٨٦ و ٨٧) ، وإسناده صحيح ، وصححه الحاكم (٤/٢٩٧) ووافقه الذهبي .

وتنفيراً منه (١) .

كما ورد فيه أيضاً :

« أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خَصْلَةٌ منهن ، كانت فيه خَصْلة من نفاق حتى يَدَعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدَّث كَذَب ، وإذا عاهد غَدَر ، وإذا خاصم فَجَر » (٢) .

هذه هي أبرز أصناف (المؤمنين أو المسلمين) .

وتكون دعوة كل صنف من هذه الأصناف ، كل بحسب حاله وموقعه من الاستجابة للحق والالتزام بالهدى ، فيُدعى السابق بالخيرات إلى الازدياد من الخير والتحقق بالتقوى ، وهو ميدان فسيح لانهاية له ... قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمَنوا ، آمِنوا ... ﴾ (٣) وقال :

﴿ ياأيها الذين آمَنوا اتقوا الله حَقَّ تُقاتِه ، ولاتموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾(٤) .

---

(١) يقول الإمام النووي تعليقاً على هذا الحديث : « وفسَّر بعض العلماء قوله « كفر أو أشرك » على التغليظ ، كما روي أن النبي ﷺ قال : « الرياء شرك » « رياض الصالحين » ص ٦٤٩ ، وانظر « فيض القدير » للمناوي (٦/١٢٠) .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٣٤) و (١/٨٩) و « صحيح مسلم » رقم (٥٨ و ٥٩) . ونقل الحافظ ابن حجر عن الكرماني قوله : « ... أو ليعلم منه أن بعض النفاق كفر دون بعض ، والنفاق : لغة : مخالفة الباطن للظاهر ، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر ، وإلا فهو نفاقُ العمل ... » كما نقل عن النووي قوله : « والذي قاله المحققون : إن معناه أن هذه خصال نفاق ، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم » . « الفتح » (١/٨٩ و ٩٠) .

(٣) الآية / ١٣٦ / من سورة النساء .

(٤) الآية / ١٠٢ / من سورة آل عمران .

ويُدعى الظالم لنفسه إلى الرجوع عن فسقه وفجوره ، وإلى الالتزام بأمر الله وحكمه ، والتوبة من ظُلمه لنفسه ،

ولكم دعا القرآن الكريم الزناةَ والمرابين والعصاة إلى التوبة !!

ويُدعى المقتصدُ إلى الثبات على الطاعة ، وتجنب المعصية ، كما يُدعى إلى الترقي بحاله إلى حال المتقين السابقين بالخيرات ، قال تعالى :

﴿ قل : ياعبادِيَ الذين أَسْرفوا على أَنْفُسِهم لاتَقْنطوا من رحمة الله ، إِنَّ الله يَغفِرُ الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (١) .

وقال :

﴿ إن الذين اتقوا إذا مَسَّهم طائفٌ من الشيطان ، تَذكَّروا ، فإذا هم مُبْصرون ﴾ (٢) .

وبهذا تكون دعوة كل مسلم من حيث هو قائم ، فلا يُسوَّى بين الأصناف الثلاثة في أسلوب الدعوة ولا فيما يُدعى إليه .

كما يُدعى المسلمون (الضالون) أي : الذين وقعوا في شيء من الضلال العقدي ، إلى تصحيح عقائدهم ، والرجوع عن ضلالهم ، قبل دعوتهم إلى الأحكام الفرعية ، والمسائل الجزئية ...فإذا ثابوا إلى طريقة أهل السنة والجماعة ، كانوا أحد الأصناف الثلاثة السابقة . وإن لهؤلاء أساليب دعوية تناسبهم في دحض شبهاتهم ، ودفع تأولاتهم الباطلة ، لاتخفى على أهل العلم والاختصاص .

---

(١) الآية / ٥٣ / من سورة الزمر .

(٢) الآية / ٢٠١ / من سورة الأعراف .

ب ـ أصناف الكافرين :

يمكن تصنيف الكافرين (غير المسلمين) إلى مايلي :

١ ـ الجاحدون الملحدون : وهم الذين ينكرون وجود الله عز وجل ويجحدونه ، كما هو حال (الدهريين) في القديم الذين كانوا يقولون كما أخبر عنهم القرآن الكريم :

﴿ إنْ هِيَ إلا حياتُنا الدنيا ، نَموتُ ونَحْيا ، وما نَحْنُ بِمَبْعوثين ﴾ (١) ﴿ وقالوا : ما هي إلا حياتُنا الدنيا نموتُ ونَحيا ، ومايُهلكنا إلا الدهر ، ومالَهُم بذلك من عِلْم ، إنْ هم إلا يَظُنّون ﴾ (٢) .

وكما هو حال الشيوعيين اليوم الذين يقولون « لا إله ، والحياة مادة » ويقولون : « الدين إفيون الشعوب » مما هو مشهور عنهم .

٢ ـ المشركون الوثنيون : وهم الذين أشركوا مع الله غيره في الاعتقاد أو العبادة ، مثل مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين في الأمم الأخرى ، الذين أخبرنا الله عنهم بقوله :

﴿ والذين اتَّخذوا من دونه أَولياءَ ، مانَعْبُدُهم إلا لِيُقَرِّبونا إلى الله زُلْفى ، إن الله يَحكُمُ بينهم فيما هم فيه يختلفون ، إن الله لايهدي من هو كاذبٌ كَفّار ... ﴾ (٣) .

وقد يتفرع هذان الصنفان إلى صنفين آخرين :

---

(١) الآية / ٣٧ / من سورة المؤمنون .

(٢) الآية / ٢٤ / من سورة الجاثية .

(٣) الآية / ٣ / من سورة الزمر .

أ ـ كافر أصلي : وهو الذي نشأ على الكفر والجحود والوثنية .

ب ـ كافر مرتد : وهو الذي كان مسلماً ثم ارتد إلى شيء من ذلك .

ولكل صنف من هؤلاء أحكامه الخاصة به ، ويُدعوا جميعاً إلى الإيمان بالله وحده ، وإلى الرجوع عن كفرهم وشركهم ... وما أكثر الآيات التي تعرضت لدعوتهم في القرآن الكريم ! !

٣ ـ أهل الكتاب : وهم الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ من أهل الديانات السابقة : كاليهود والنصارى ، وسُمّوا أهل الكتاب لانتسابهم إلى كتبهم السابقة ، وخُصّوا بهذا الوصف وإن وقع كثير منهم في الشرك والوثنية ، باعتبار الأصل ، كما خصهم الله بعدد من الأحكام ...[١]

ويُدعى هذا الصنف كغيره إلى الإيمان بالله وحده ، والإيمان بأركان الإيمان ، وأن الإسلام خاتم الأديان ، فإن هم استجابوا لذلك ، دعوا إلى غير ذلك من أعمال : كالصلاة والصيام ، فقد جاء في حديث معاذ رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال له :

« إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإذا هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات .. الحديث »[٢] .

وهم لايخرجون في الحكم العام عن وصف الكافرين ، لأنهم لم

---

(١) من ذلك : قبول الجزية منهم في الحرب ، وحل ذبائحهم للمسلمين ، وحل الزواج من نسائهم ، إلى غير ذلك من أحكام تعرف في كتب الفقه والأحكام : بأحكام أهل الذمة ، راجع كتاب « أحكام أهل الذمة » لابن القيم وغيره .

(٢) الحديث رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٤٣٤٧)(٨/٦٤) .

يستجيبوا لدعوة محمد ﷺ ، قال تعالى :

﴿ ومن يَبْتَغِ غير الإسلام ديناً ، فلن يُقْبَلَ منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (١) .

٤ ـ المنافقون : وهم الذين يُبطنون الكفر ويظهرون الإسلام ، وهم أخطر أصناف الكافرين لالتباس أمرهم على الناس ، وخداعهم لهم ، حيث يدخلون ظاهراً بين المؤمنين ، ولهذا كان جزاؤهم أشد من جزاء غيرهم ، قال تعالى :

﴿ إنَّ المنافقينَ في الدَّرْكِ الأسْفَلِ من النار ، ولَنْ تَجِدَ لهم نَصيراً ﴾ (٢) .

كما قال تعالى في أوصافهم :

﴿ إنَّ المنافقينَ يُخادِعونَ اللهَ وهو خادِعُهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسَالىٰ ، يُراؤون الناسَ ، ولايذكرونَ اللهَ إلا قليلاً ۞ مُذَبْذَبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يُضلل الله فَلَنْ تَجِدَ له سبيلاً ... ﴾ (٣) .

كما قال عنهم :

﴿ وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خَلَوا إلى شياطينهم ،

---

(١) الآية / ٨٥ / من سورة آل عمران ، وانظر الآيات / ٨٠ ـ ٩١ / من السورة نفسها ، ففيها تعدادٌ لأصنافهم وبعض صفاتهم ، وحكمُ الله عليهم بالكفر ..

(٢) الآية / ١٤٥ / من سورة النساء .

(٣) الآيات / ١٤٢ ـ ١٤٣ / من سورة النساء .

قالوا : إنا معكم إنما نَحنُ مُسْتَهزِئون الآيات ... ﴾ [1] .

وهؤلاء يدعون أيضاً إلى الإيمان بالله ، وترك النفاق ـ كما يُدعى غيرهم من الكافرين ـ ولكل صِنْف أسلوبه في الدعوة ، فلا يُدعى من ظهر كفره كدعوة من خفي كفره ، وهكذا ...

وإن غير المؤمنين في كل عصر ومصر ، لايخرجون عن هذه الأصناف الأساسية للكافرين ، مهما اختلفت أسماؤهم ، وتنوعت أساليبهم ، فقد وُجِدوا في زمنه ﷺ ، ويوجدون في الناس إلى يوم القيامة ...

والقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، حافلان بأساليب دعوتهم ، ومنهج مواجهتهم ، وقد كتبت أبحاث متخصصة في أسلوب دعوة بعضهم تفيد الدعاة في دعوتهم [2] .

* * *

(١) الآيات / ١٤ ـ ٢٠ / من سورة البقرة .

(٢) من ذلك بحث « منهج القرآن في مجادلة أهل الكتاب » للباحث : أحمد عبدالله السديس ، قدمه بإشرافي إلى قسم الدعوة والاحتساب في المعهد العالي بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير ، عام ١٤٠٩ هـ .

٣ ـ الركن الثالث :

« موضوع الدعوة »

موضوع الدعوة الإسلامية هو « الإسلام الذي يُدعى الناس إليه » ولما كان الحديث عن الإسلام واسعاً ، وجوانبه متعددة ، وتتحدَّثُ عنه جميع العلوم الإسلامية ، رأيت الاقتصار في هذا المقام على ذكر مجمل لعدة أمور :

١ ـ تعريفه .

٢ ـ خصائصه .

٣ ـ مبادئه الأساسية .

وذلك تحرياً للاختصار من جهة ، ودفعاً للتكرار من جهة أخرى .

١ ـ تعريفه :

الإسلام في **اللغة** : مشتق من الاستسلام ، وهو الخضوع والانقياد ، وسمي المسلم مسلماً لخضوعه وانقياده لما جاء به محمد ﷺ .

أما في **الاصطلاح** : فله إطلاقان : عام وخاص .

أ ـ الإطلاق العام : على جميع الأديان السماوية التي اشتملت على الخضوع والانقياد لما جاء عن الله عز وجل .

ب ـ والإطلاق الخاص : على ماجاء به محمد ﷺ ، ولهذا الإطلاق تعريفان في الاصطلاح عام وخاص :

فالإسلام بمعناه العام : هو الدين الذي جاء به محمد ﷺ ، والذي يشتمل عل جانب العقيدة والشريعة والأخلاق .

والإسلام بمعناه الخاص : ما عرفه به الرسول ﷺ في حديث عمر

رضي الله عنه لما سأله جبريل عليه السلام عن الإسلام بمقابل الإيمان والإحسان ، قال :

« الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ... »[1] .

والإسلام بمعناه العام يشتمل على جوانب ثلاثة :

١ ـ جانب العقيدة :

ويتمثل في الإيمان وأركانه الستة التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل وهي :

« أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ... »[2] .

كما تُلحَقُ بهذا الجانب جميعُ المسائل العقدية التي جاء بها الإسلام ، والتي يطلق عليها بعضهم اسم (نظام العقيدة في الإسلام) .

٢ ـ جانب الشريعة :

ويتمثل في أركان الإسلام التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل ، وفي جميع الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام ، سواء على المستوى الشخصي والأسري ، والمستوى العام ، فيشمل مايسمى (بنظام العبادة ، ونظام المعاملة والاقتصاد ، وبنظام الأحوال الشخصية ، ونظام الحكم والسياسة ، ونظام الاجتماع ، ونظام الحسبة ، ونظام الجهاد وما إلى ذلك ...) مما أوفت ببيانه كتب الفقه والأحكام .

---

(١) هو جزء من حديث طويل رواه مسلم في صحيحه ، انظر « صحيح مسلم » (٨) .

(٢) انظر الحديث السابق الذي رواه مسلم رقم (٨) .

٣ ـ جانب الأخلاق :

ويتمثل في الأخلاق الكريمة والصفات الحسنة ، والسلوك المستقيم الذي جاء به الإسلام ، وبعث رسول الله ﷺ ليتممه أو يقرره ... والذي منه الإحسان الذي بَيّنه ﷺ في حديث جبريل السابق ، لما سئل عن الإحسان ، قال :

« أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تراه فإنه يراك »[١] وقد جاء في الحديث الشريف :

« إنما بُعِثْتُ لأتتم مكارم الأخلاق »[٢] .

ويشمل هذا الجانب ما يعرف « بنظام السلوك أو نظام الأخلاق في الإسلام » .

٢ ـ خصائص الإسلام :

يختص الإسلام بخصائص فريدة ، ومزايا كريمة كثيرة ، تتجلى في كليات أحكامه وجزئياتها ،

ولعل من أبرز خصائصه العامة :

أ ـ الربانية .

ب ـ الكمال .

جـ ـ الوضوح .

د ـ الشمول .

---

(١) انظر الحديث السابق الذي رواه مسلم رقم (٨) .

(٢) الحديث رواه الإمام مالك في « الموطأ » بلاغاً عن النبي ﷺ ، وقال ابن عبد البر : « هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره ... » انظر « كشف الخفاء » للعجلوني (٢٤٤/١ و ٢٤٥) .

هـ ـ التوازن .

و ـ العملية .

وقد سبق معنا الحديث عن هذه الخصائص إجمالاً في بيان خصائص القرآن الكريم الذي يُعَدُّ عمدة هذا الإسلام .

كما أن هناك خصائص تفصيلية أخرى منها :

١ ـ التيسير ورفع الحرج .

٢ ـ التدرج في التشريع .

٣ ـ التوقيف في جانب العبادة .

٤ ـ الجمع بين الثبات والمرونة في الأحكام .

إلى غير ذلك من خصائص تعرف في محالها المتفرقة في كتب الخصائص ومحاسن الإسلام ، لانطيل بذكرها [١] .

٣ ـ مبادئ الإسلام الأساسية :

مبادئ الإسلام الأساسية كثيرة ، تختلف أساليب العلماء في تعدادها وتجليتها ، ويمكننا إجمال أهمها في جوانب ثلاثة :

أ ـ في جانب الصلة بالله .

ب ـ في جانب الصلة بالنفس .

جـ ـ في جانب الصلة بالآخرين .

---

(١) انظر تفصيلاً للخصائص العامة في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » للدكتور يوسف القرضاوي ، وكتاب « خصائص الدعوة الإسلامية » لمحمد أمين حسين ، وكتاب « خصائص الشريعة الإسلامية » للدكتور : عمر سليمان الأشقر . وانظر بعض الخصائص الجزئية في كتاب « خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم » للدكتور : فتحي الدريني ، وغيره في جوانب الإسلام الأخرى .

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الجوانب الثلاثة مجتمعة في حديث واحد يُعدُّ من جوامع كلمه ، وهو قوله :

« اتق اللهَ حيثما كنت ، وأَتْبِع السيئةَ الحسنةَ تَمْحها ، وخَالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَن »(١) .

أ ـ المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالله : من ذلك :

١ ـ الدعوة إلى الإيمان بالله بأركانه الستة التي بينها حديث جبريل السابق ، وقد تضافرت الرسالات السماوية على الدعوة إلى هذا الجانب الذي لايتغير من شريعة إلى شريعة لعلاقته بالملة الواحدة .

٢ ـ الدعوة إلى أركان الإسلام الخمسة التي بينها حديث جبريل أيضاً .

٣ ـ الدعوة إلى الإحسان الذي بينه حديث جبريل أيضاً .

وإذا كانت حقيقة الدعوة إلى الإيمان والإسلام دعوةً لاعتقادات وأعمال أساسية لابد منها ، فإن الدعوة إلى الإحسان دعوة إلى حالة ضرورية لايكمل إيمان المسلم إلا بها .

ولاتخفى أثر هذه الاعتقادات والأعمال والأحوال في حياة الإنسان ، وهي بمجموعها يمكن أن يعبر عنها (بالتقوى) .

ولأهمية هذه المبادئ ، وتفضيلها على غيرها أطلق عليها ﷺ كلمة « الدين » فقال في حديث جبريل : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم » .

---

(١) الحديث رواه أحمد والحاكم وقال : على شرطهما ، ورواه البيهقي والترمذي عن أبي ذر ومعاذ رضي الله عنهما ، وقال الترمذي : « حَسَن صحيح ... » انظر « كشف الخفاء » للعجلوني (٤٣/١) ، وانظر « سنن الترمذي » (٢٠٥٣) و (٢٣٩/٣) ط : عبد الرحمن محمد عثمان .

ولعل من حكمة سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام قبل الإيمان ، أن أركان الإسلام أعم وأشمل من أركان الإيمان ، لشمولها على الركن الاعتقادي الأول ، وعلى الأركان الأربعة العملية الأخرى ، فحسن البدء به ، ثم جاء الحديث عن أركان الإيمان كتفصيل وتوضيح للركن الاعتقادي الأول .

ولايفهم من هذا الترتيب أفضلية الإسلام على الإيمان ، وإنما هما لفظان متكاملان ، يكمل أحدهما الآخر ، ومن هنا قال بعض المحققين في معنى الإيمان والإسلام : « أنهما إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا »[١] .

ب ـ المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالنفس : من ذلك :

١ ـ الدعوة إلى إعطاء النفس البشرية حقوقها كاملة ، سواء منها الحقوق المعنوية والمادية ، قال تعالى :

﴿ وَنَفْسٍ وما سَوّاها * فَأَلْهَمَها فُجورَها وتَقْواها * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها * وقد خابَ من دَسّاها ﴾[٢] .

وجاء في الحديث الشريف :

« ... ولنفسك عليك حقاً »[٣] .

---

(١) انظر توضيحاً لهذا المعنى وتفصيلاً فيه في « شرح العقيدة الطحاوية » ص (٣٢٨ ـ ٣٢٩) تحقيق الأرناؤوط .

(٢) الآيات / ٧ ـ ١٠ / من سورة الشمس .

(٣) جزء من حديث شريف رواه البخاري في صحيحه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (١٩٦٨) (٤/٢٠٩) .

٢ ـ الدعوة إلى الاهتمام بواجباتها ، وأداء وظائفها ، فإن النفس البشرية مخلوق من مخلوقات الله عز وجل لها حقوقها وعليها واجباتها ، ولابد من توازن بين الحقوق والواجبات ، سواء أكانت مادية أم معنوية ، وقد جاء في الحديث السابق « فأعط كل ذي حق حقه »[١] .

وإذا كان من حقوق النفس البشرية ، حقها في الحياة ، وفي الطعام والشراب والنوم ، والدواء ، والتجمل وإنقاذها من عذاب الله في الدنيا والآخرة . وما إلى ذلك من حقوق مادية ، ومن حقوقها : الحرية ، والأمن ، والعدالة وما إلى ذلك من حقوق معنوية ...

فإن من واجباتها : طاعة الله ورسوله فيما أمرا به ، واجتناب نهيهما ، وابتعادها عن الظلم بجميع أنواعه ...

وقد أشار الحديث الشريف السابق إلى أسلوب من أساليب أداء الإنسان لحق نفسه فقال : « وأَتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمحُها »[٢] .

كما أنكر الرسول ﷺ صراحةً اختلالَ التوازن بين الحقوق والواجبات بالنسبة للنفس البشرية ، وذلك في حديث الرهط الثلاثة ، ففي الحديث الشريف :

« جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أُخبروا ، كأنهم تقالّوها وقالوا : أين نحن من النبي ﷺ ، قد غُفِر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا ، فأصلي

---

(١) جزء من حديث شريف رواه البخاري في صحيحه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (١٩٦٨) (٤/٢٠٩) .

(٢) سبق تخريجه في ص ١٨٦ .

الليل أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .

فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ ! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، من رغب عن سنتي فليس مني »[1] .

جـ ـ المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالآخرين : من ذلك :

١ ـ الدعوة إلى بر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والعناية بالأهل والأولاد ... قال تعالى :

﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾[2]، وقال :

﴿ وأولو الأرحام بعضُهم أولى ببعضٍ في كتاب الله ﴾[3]، وقال :

﴿ ياأيها الذين آمنوا قُوا أنفسَكم وأهْليكم ناراً ﴾[4] وقال :

﴿ قُلْ إنَّ الخاسرين الذين خَسِروا أنْفسَهم وأهليهم يوم القيامة ... ﴾[5] .

٢ ـ الدعوة إلى حسن الجوار ، والرحمة بالضعفاء واليتامى والمساكين ...

---

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٥٠٦٣) (١٠٤/٩) و « صحيح مسلم » (١٤٠١) .

(٢) الآية / ٣٦ / من سورة النساء .

(٣) الآية / ٧٥ / من سورة الأنفال .

(٤) الآية / ٦ / من سورة التحريم .

(٥) الآية / ١٥ / من سورة الزمر .

قال تعالى :

﴿ وبالوالدين إحساناً ، وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى ، والجار الجُنُب والصاحب بالجَنْب وابن السبيل ، وماملكت أيمانكم ،إن الله لايحب من كان مختالاً فخوراً ﴾ [1] . إلى غير ذلك من نصوص شرعية كثيرة .

٣ ـ الدعوة إلى التآخي والتعاون والتعاطف والتحابب بين المسلمين : قال تعالى :

﴿ إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ﴾ [2]، وقال :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ،ولاتعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [3]، وقال :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا ﴾ [4] .

وجاء في الحديث الشريف :

« مَثَلُ المؤمنين في تَوادّهم وتَراحمهم وتعاطفهم مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمّى »[5] .

٤ ـ الدعوة إلى بذل النصيحة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

---

(١) الآية / ٣٦ / من سورة النساء .

(٢) الآية / ١٠ / من سورة الحجرات .

(٣) الآية / ٢ / من سورة المائدة .

(٤) الآية / ١٠٣ / من سورة آل عمران .

(٥) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح مسلم مع الفتح » (٦٠١١) (٤٣٨/١٠) ، ولفظ البخاري « ترى المؤمنين ... » .

قال تعالى :

﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات * وتواصوا بالحق * وتواصوا بالصبر ﴾ (١) وقال تعالى :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾ (٢) . وجاء في الحديث الشريف :

« الدين النصيحة ، قلنا : لِمَنْ ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » (٣) .

٥ ـ الدعوة إلى الشورى وعدم الانفراد في الرأي : قال تعالى :

﴿ وشَاوِرْهم في الأمر ، فإذا عَزَمْتَ فتوكَّلْ على الله ﴾ (٤) .

وقال أيضاً :

﴿ وأَمْرُهم شورىٰ بينهم ﴾ (٥) .

٦ ـ الدعوة إلى العدل والمساواة بين الناس : قال تعالى :

﴿ إن الله يَأمُرُ بالعَدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، ويَنْهى عن الفحشاء والمُنْكر والبَغْي ... ﴾ (٦) .

---

(١) سورة العصر .

(٢) الآية / ١٠٤ / من سورة آل عمران .

(٣) الحديث رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » رقم (٥٥) .

(٤) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

(٥) الآية / ٣٨ / من سورة الشورى .

(٦) الآية / ٩٠ / من سورة النحل .

وقال أيضاً :

﴿ ولايَجْرِمَنَّكم شَنَآنُ قَوْمٍ على ألا تَعدِلوا ، اعدلوا هو أقربُ للتقوى ... ﴾ [1] وقال :

﴿ ياأيها الناس إنّا خَلَقناكم مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثى ، وجَعَلناكم شعوباً وقبائِلَ لِتَعارَفوا إنَّ أكرمَكم عند الله أَتْقاكم ... ﴾ [2]

وفي الحديث الشريف :

« قيل للنبي ﷺ : من أكرم الناس ؟ قال : أكرمهم أتقاهم »[3] ، وفي الحديث الآخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن ربكم واحد ، وأباكم واحد ، فلا فضل لعربي على عجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى »[4] .

٧ ـ الدعوة إلى معاملة الناس بالخلق الحسن : قال تعالى :

﴿ فَبِما رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لهم ، ولو كُنتَ فَظّاً غليظَ القلب لانفَضّوا من حَوْلك ... ﴾ [5] .

وفي الحديث الشريف :

---

(١) الآية / ٨ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ١٣ / من سورة الحجرات .

(٣) رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٣٣٧٤)(٦/٤١٤) .

(٤) الحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه إلا أنه قال : « إن أباكم واحد ، وإن دينكم واحد ، أبوكم آدم ، وآدم من تراب » ورجال البزار رجال الصحيح ، انظر (٨/٨٤) .

(٥) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

« إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم »[1] .

وجاء أيضاً :

« وخالق الناس بخلق حَسَن »[2] .

إلى غير ذلك من مبادئ كثيرة في هذا الجانب ، على الدعاة أن يتمثلوها في أنفسهم ، ويدعوا الناس إليها...

* * *

(1) الحديث رواه أبو داود ، وصححه ابن حبان ، انظر « سنن أبي داود » رقم (٤٧٩٨) ، و « صحيح ابن حبان » (١٩٢٧) .

(2) الحديث سبق تخريجه ص : ١٨٦ .

الفصل الثالث
مناهج الدعوة

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

١ ـ التعريف بالمناهج الدعوية وبيان أنواعها وأهدافها .

٢ ـ التعريف بالمناهج الثلاثة : « العاطفي ، والعقلي ، والحسي ، وبيان أساليبها ، ومواطن استعمالاتها ، وخصائصها » .

٣ ـ الملامح العامة للمناهج ، وخصائصها العامة .

المبحث الأول

« التعريف بالمناهج ، وأنواعها ، وأهدافها »

أ ـ التعريف بالمناهج الدعوية :

سبق أن عرفنا مناهج الدعوة في التمهيد بقولنا :

مناهج الدعوة هي : « نُظُم الدعوة ، وخططها المرسومة لها » ، فيقال :

نظام العقيدة في الإسلام ، ونظام العبادة ، ونظام الاقتصاد ... وما إلى ذلك ، كما يقال :

نظام التبليغ ، ونظام التعليم ، ونظام التطبيق ... وهكذا ... .

كما يقال :

المنهج العاطفي ، والمنهج العقلي ، والمنهج الحسي ...

ب ـ أنواع المناهج الدعوية :

نظراً لكثرة أنواع المناهج الدعوية وتعددها ، يمكننا أن نقسمها من أربع حيثيات ، هي :

١ ـ من حيث واضعُها ، أو مصدرُها .

٢ ـ من حيث موضوعُها .

٣ ـ من حيث طبيعتُها .

٤ ـ من حيث ركائزُها .

١ ـ التقسيم الأول : من حيث واضعُها ، أو مصدرُها :

تنقسم المناهج الدعوية من هذه الحيثية إلى قسمين أساسيين ، هما :

أ ـ المناهج الربانية : وهي المناهج التي وضعها الشارع لهذه الدعوة عن طريق القرآن أو السنة ، فهي مناهج معصومة عن الخطأ ، وأصْلٌ للمناهج الدعوية كلها ... قال تعالى :

﴿ لِكُلٍ جَعَلْنا مِنْكم شِرْعةً ومِنْهاجاً ﴾ (١) .

ب ـ المناهج البشرية : وهي المناهج الدعوية التي يضعها الدعاة والعلماء باجتهادهم في أي جانب من جوانب الدعوة ، تطبيقاً للمناهج الربانية ، واعتماداً عليها ، وذلك بما يتناسب مع زمانهم ، ويتلاءم مع ظروف المدعويين من حولهم .

وهي مناهج تحتمل الخطأ والصواب ، كأي مسألة اجتهادية لايعدم المجتهد فيها أجراً أو أجرين ، وللدعاة أن يأخذوا منها أو يتركوا ماشاءوا ، اللهم إلا مناهج الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم التي أمرنا بالتزامها والأخذ بها والعض عليها بالنواجذ ـ كما سبق معنا في بيان مصادر الدعوة ـ .

٢ ـ التقسيم الثاني : من حيث موضوعُها :

تتنوع المناهج الدعوية من حيث موضوعها إلى أنواع عديدة ، تبعاً لتنوع الموضوعات التي تتناولها ، وذلك لشمول الدعوة الإسلامية لجميع جوانب الحياة الإنسانية ،

---

(١) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

فهناك مناهج عقدية ، وعبادية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وعسكرية ، وسياسية ، وصحية ، ورياضية ، وترويحية ، ... وما إلى ذلك .

فإن لكل جانب من هذه الجوانب خططاً ونظماً يضعها الدعاة والمربّون ، في ضوء المناهج الربانية ، وعلى أساس الأحكام الشرعية .

٣ ـ التقسيم الثالث : من حيث طبيعتُها :

تتنوع المناهج الدعوية أيضاً من حيث طبيعتها إلى مناهج دعوية خاصة وأخرى عامة ، وإلى مناهج فردية وأخرى جماعية ، وإلى مناهج نظرية ، وأخرى تطبيقية ... وهكذا ...

فلكل منهج من هذه المناهج طبيعته الخاصة به ، وميدانه الذي وضع له ، فالمنهج الخاص لايصلح تعميمه ، والمنهج العام لايصلح تخصيصه ، وهكذا ...

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بأمثلة كثيرة لهذه المناهج العامة والخاصة وغيرها .

فقيام الليل كله أو بعضه وجوباً ، منهج عبادي خاص برسول الله ﷺ [١] .

واستئذان الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم أو الذين بلغوه ، نظام خاص بهم ...[٢]

---

(١) انظر آيات سورة المزمل وتفسيرها .

(٢) انظر الآيات / ٥٨ ـ ٥٩ / من سورة النور ، وفي الآيات التي بعدها أنظمة خاصة أخرى ...

وهناك نظام عبادي عام يتجلى في أركان الإسلام العملية ، وهناك نظام لدعوة المسلمين ، ونظام لدعوة غيرهم ، وهكذا ...

٤ ـ التقسيم الرابع : من حيث ركائزها :

تتنوع المناهج الدعوية بجميع أنواعها السابقة من حيث ركائزها ، وذلك تبعاً لتنوع ركائز الفطرة الإنسانية الثلاث : القلب ، والعقل ، والحِسّ .

فما كان من المناهج مرتكزاً على القلب ، سمي : (المنهج العاطفي) .

وما كان منها مرتكزاً على العقل ، سمي : (المنهج العقلي) .

وما كان منها مرتكزاً على الحس ، سمي : (المنهج الحسي) أو (التجريبي) .

ولايمكن الفصل التام بين هذه المناهج نظراً لتلازم وترابط الركائز الفطرية في النفس البشرية ، فيكون وصفها بهذا النوع أو ذاك ، تبعاً لغلبة أو بروز هذا الجانب على غيره ...

وسيأتي معنا تفصيل هذه المناهج الثلاثة في المباحث التالية إن شاء الله .

جـ ـ أهداف المناهج الدعوية :

الهدف في اللغة : « الغَرَضُ توجَّهُ إليه السِّهام ونحوها ، والمطلب يوجه إليه القَصْد »[1] .

ومن هذا المعنى اللغوي يمكننا تعريف الهدف الدعوي : (بالمطلب

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (هدف)(٩٨٧/٢) .

الذي يوجه إليه الدعاة قصدهم ، أو بالغاية التي يسعون من أجلها) .

ومن هنا استعمل الهدف والغاية أحياناً بمعنى الحكمة المرجوة من وراء الأمر بالشيء أو تشريعه ...

ويمكن تقسيم الأهداف الدعوية إلى نوعين أساسيين ، هما :

١ ـ أهداف خاصة وجزئية .

٢ ـ أهداف عامة وكلية .

فالأهداف الخاصة والجزئية مثل : الغاية التي شرعت من أجلها العبادات ، كالصلاة والصيام والزكاة ، والحج ، قال تعالى :

﴿ وأَقِمِ الصلاةَ إن الصلاة تَنْهى عن الفَحشاء والمنكر ... ﴾ [١]

وقال أيضاً :

﴿ ياأيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيامُ كما كُتِبَ على الذين من قَبْلِكم ، لعلكم تَتَّقون ... ﴾ [٢] .

وقال :

﴿ خُذْ من أموالهم صَدَقةً تُطَهِّرُهم وتُزَكِّيهم بها ، وصَلِّ عليهم إِنَّ صَلاتَك سَكَنٌ لهم ... ﴾ [٣] .

وقال أيضاً :

﴿ ... لِيَشْهَدوا مَنافِعَ لهم ، ويَذْكُروا اسمَ الله في أيامٍ معلوماتٍ على مارَزَقهم من بَهيمَةِ الأنعام ﴾ [٤] .

---

(١) الآية / ٤٥ / من سورة العنكبوت .

(٢) الآية / ١٨٣ / من سورة البقرة .

(٣) الآية / ١٠٣ / من سورة التوبة .

(٤) الآية / ٢٨ / من سورة الحج .

والأهداف العامة الكلية مثل :

ماجاء في قوله تعالى : ﴿ وأَقِمِ الصلاةَ لِذكْري ﴾ (١) .

وما جاء في الحديث الشريف :

« إنما جُعِلَ الطواف بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله » (٢) .

وهذه الأهداف العامة الكلية تتنوع إلى نوعين :

١ ـ أهداف مجملة .

٢ ـ أهداف مفصلة .

فالأهداف المجملة ، مثل قوله تعالى :

﴿ وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبُدون * ماأُريدُ منهم مِنْ رِزْقٍ ، وماأُريدُ أنْ يُطعِمون * إنَّ الله هو الرزَّاقُ ذو القوة المتين ﴾ (٣) .

ومثل قولنا في هدف العمل الدعوي :

« تحقيق مرضاةِ الله عز وجل على جميع المستويات ، وفي جميع الميادين » .

والأهداف المفصلة ، مثل قولنا في تفصيل الأهداف الدعوية العامة :

١ ـ إحقاق الحق وإبطال الباطل : قال تعالى :

---

(١) الآية / ١٤ / من سورة طه .

(٢) ساق الحديث صاحب « جمع الفوائد » محمد بن سليمان المغربي وقال عنه : للترمذي وأبو داود بلفظه ، انظر رقم (٣٤٢٥)(١/ ٥١٥) طبعة دار القبلة جدة .

(٣) الآيات / ٥٦ ـ ٥٨ / من سورة الذاريات .

﴿ لِيُحِقَّ الحقَّ ويُبْطِلَ الباطلَ ولو كَرِهَ المُجْرمون ﴾ (١) وقال :

﴿ وقاتِلوهُم حتى لاتكونَ فِتْنةٌ ويكونَ الدينُ كلُّه لله ﴾ (٢) .

٢ ـ إنقاذ الناس من الضلال إلى الهدى ، ومن الظلمات إلى النور : قال تعالى :

﴿ الله وَليُّ الذين آمنوا يُخرجُهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤُهم الطاغوتُ ، يُخرجونَهم من النور إلى الظلمات ... ﴾ (٣) .

٣ ـ بناء الشخصية المسلمة والمجتمع المسلم : قال تعالى :

﴿ قُلْ إنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحْيايَ ومَماتي لله رب العالمين ۞ لاشريك له وبذلك أُمِرْتُ ، وأنا أوَّلُ المسلمين ﴾ (٤). وقال :

﴿ هو الذي بَعَثَ في الأُمّيين رسولاً منهم ، يَتْلو عليهم آياته ، ويُزَكّيهم ، ويُعلِّمُهم الكتابَ والحكمةَ ، وإنْ كانوا من قَبْلُ لفي ضَلال مُبين ﴾ (٥) .

ومثل قول ربعي بن عامر رضي الله عنه حين عبر عن أهداف دعوته ، والغاية من جهاده ، فقال لرستم :

« الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ،

(١) الآية / ٨ / من سورة الأنفال .

(٢) الآية / ٣٩ / من سورة الأنفال .

(٣) الآية / ٢٥٧ / من سورة البقرة .

(٤) الآية / ١٦٢ ـ ١٦٣ / من سورة الأنعام .

(٥) الآية / ٢ / من سورة الجمعة .

ومن ضيق الدنيا إلى سَعَتها ، ومن جَوْر الأديان إلى عَدْل الإسلام ... الخ »[1].

فهذه كلها أهداف عامة مفصلة لمناهج الدعوة ، وغيرها كثير تختلف أساليب العلماء والدعاة في التعبير عنها ...

ومما يحسن التنبيه إليه في موضوع أهداف الدعوة أمران ، هما :

١ ـ إن لتحديد الأهداف الدعوية ، ولاسيما عند واضعي المناهج فوائد عديدة ، منها :

أ ـ السلامة من الانحراف عن طريق الدعوة .

ب ـ الوضوح في أسلوب العمل .

جـ ـ الاستمرارية في الدعوة .

فإن عدم تحديد الأهداف ، قد يوقع الداعية في الانحراف عن طريقه ، أو يجعله يتخبط في أساليبه ، أو يقطعه عن الاستمرار في دعوته ... كما هو ملاحظ في واقع كثير من الناس .

ومن هنا جاء تعليق التأسي برسول الله ﷺ بتحقق صفتين هما :

١ ـ الوضوح في الهدف والغاية ﴿ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ .

٢ ـ عدم الغفلة عنه ﴿ وذكَرَ اللهَ كثيراً ﴾ .

قال تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أُسْوةٌ حَسَنةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجو اللهَ واليومَ الآخر ، وذكَرَ الله كثيراً ... ﴾[2] .

---

(١) « حياة الصحابة » للكاندهلوي (١/ ٢٢٠) .

(٢) الآية / ٢١ / من سورة الأحزاب .

وما قَصَّر مسلم في هذا التأسّي به ﷺ إلا لأحد هذين السببين والله أعلم .

٢ ـ ليس من الحكمة دائماً في الدعوة إلى الله أن يُصرِّحَ الدعاة بأهدافهم التفصيلية المحددة ، فقد يزيد هذا من تربّص أعدائهم بهم ، ومكرهم بأهل الدعوة ، فإن في التصريح بالأهداف العامة المجملة والاكتفاء بها مندوحة عنها .

كما قد تكون الحكمة في بعض الأحيان في التصريح بها ، والنص عليها ، فالداعية الحكيم هو الذي يختار لكل موقفٍ مايناسبه .

وإن في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والسيرة العملية للدعاة مايؤكد هذا الأمر ويوضحه .

* * *

المبحث الأول

« التعريف بالمناهج الثلاثة (العاطفي ، والعقلي ، والحسي) وبيان أساليبها ، ومواطن استخدامها ، وخصائصها » .

وقد خَصَصْتُ المناهج الثلاثة بمبحث خاص نظراً لأهميتها وكونها وصفاً عاماً لجميع المناهج الدعوية من جهة ، وبياناً لتلازمها وتداخلها من جهة أخرى .

١ ـ المنهج العاطفي :

تعريفه :

يمكننا تعريف المنهج العاطفي بتعريفين هما :

أ ـ « النظام الدعوي الذي يرتكز على القلب ، ويُحرك الشعور والوجدان » .

ب ـ « مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على القلب ، وتحرك الشعور والوجدان » .

وذلك لأن النظام الدعوي لايظهر إلا بمجموعة أساليبه ، التي تُعدُّ كيفيات لتطبيقه ، ـ كما جاء معنا في التمهيد ، والتعريف بمصطلحات البحث ـ .

أبرز أساليبه :

من أبرز أساليب المنهج العاطفي مايلي :

أ ـ أسلوب الموعظة الحسنة : وأشكاله كثيرة منها :

١ ـ الخطابة .

٢ ـ التذكير بنعمة الله على عبده المستوجبة شكره .

٣ ـ مَدْحُ الداعي للمدعو أو ذمه ، وذلك بذكر خصائصه ومزاياه ، أو بذكر معايبه وأخطائه .

٤ ـ الترغيب والترهيب ، وذكر الثواب والعقاب .

٥ ـ الوعد بالنصر والتمكين ...

٦ ـ قَصُّ القصص العاطفية المؤثرة .

وما إلى ذلك من أساليب تدخل في باب الموعظة الحسنة ،

وقد نص القرآن الكريم على أسلوب (الموعظة الحسنة) نصاً صريحاً ، وأمر باستخدامه ، قال تعالى :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ...﴾ (١) .

ب ـ إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين : ويكون بكلمة طيبة مؤثرة ، مثل المناداة بكلمة : « ياأبت ، ويابني ، و ياقوم .. » وقول الداعي للمدعو : « إني أحبك » وأخشى عليك ، وما إلى ذلك ... ،

أو بمشاركة وجدانية في موقف ، أو بمساعدة شخصية في أزمة ... وهكذا .

قال تعالى :

﴿ فبما رحمة من الله لِنْتَ لهم ، ولو كنت فَظّاً غليظَ القلب لانفَضّوا من حولك ... ﴾ (٢) .

---

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

جـ ـ قضاءُ الحاجات ، وتقديم المساعدات ، وتأمين الخدمات :
ويتنوع هذا الأسلوب بتنوع الحاجات المطلوبة ، والمساعدات المقدمة ، مادية كانت أو معنوية ، قليلة كانت أو كثيرة ...

فجميع هذه الأساليب وأمثالها تشكل مايُسمى « بالمنهج العاطفي » .

وسيأتي معنا في مبحث الأساليب الدعوية ، أمثلة تفصيلية لكل شكل من أشكال هذه الأساليب ـ إن شاء الله ـ

مواطن استعمالاته :

يستعمل المنهج العاطفي في حالات متعددة ، ومواطن متنوعة ، يحسن بالداعية أن يتعرف عليها ، ليتمكن من استخدام المنهج المناسب في الموطن المناسب ، ولعل من هذه المواطن والحالات :

١ ـ حالة دعوة الجاهل : لأن الجاهل بحاجة إلى الرفق والاهتمام به ، وتعليمه مايفيده عن طريق ترغيبه بالعلم ، ووعده بالخير الكبير من ورائه ...

٢ ـ حالة دعوة من تُجْهلُ حاله ، ولايُعرَف مستوى إيمانه قوة أو ضعفاً ، فيعمل الداعية على كشف حاله باستثارة عواطفه وكوامن نفسه ، ليحدد الداعي حاجته ، ويختار الأسلوب الذي يناسبه .

٣ ـ في دعوة أصحاب القلوب الضعيفة كالنساء والأطفال ، واليتامى والمساكين ، والمصابين والمرضى ... وما إلى ذلك ...

٤ ـ في دعوة الآباء للأبناء ، ودعوة الأبناء للآباء ، ودعوة الأقارب والأرحام والأصدقاء فيما بينهم ...

٥ ـ في مواطن ضعف الدعوة ، والشدة على المدعويين ، ليحرك الداعية

مشاعر المعادين ، ويستميل قلوبهم لدعوته ، فيستجيبوا له ، أو يخفف من شدتهم وبطشهم ...

إلى غير ذلك من مواطن لاتخفى على الداعية اللبيب .

من خصائص المنهج العاطفي :

للمنهج العاطفي مزايا وخصائص تخصه وتتناسب مع طبيعته وأهدافه ... من ذلك :

١ ـ لطف أسلوبه ، واختيار العبارات المؤثرة .

٢ ـ سرعة تأثر المدعويين به ، واستجابتهم لمن يحسن استخدامه .

٣ ـ تخفيف وطأة العدو أو المخالف ، ودفع أذاه .

٤ ـ سرعة التحول في آثاره تبعاً لتحول العواطف والمشاعر ...

٥ ـ سعة دائرة استعماله ، لأن الطابع العاطفي في الناس أغلب من غيره .

إلى غير ذلك من خصائص ومزايا تظهر من المقارنة له بغيره من المناهج .

* * *

٢ ـ المنهج العقلي :

تعريفه :

يمكننا تعريف المنهج العقلي بتعريفين أيضاً ، هما :

أ ـ (النظام الدعوي الذي يرتكز على العقل ، ويدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار) .

ب ـ (مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على العقل ، وتدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار) .

وذلك لأن النظام الدعوي لايظهر إلا بمجموعة أساليبه المطبقة له .

أبرز أساليبه :

من أبرز أساليب المنهج العقلي مايلي :

١ ـ المحاكمات العقلية ، والأقْيِسَةُ بجميع أشكالها : قياس الأَوْلى ، والقياس المساوي ، وقياس الخَلْف (العكس) والقياس الضمني ...

فمن أمثلة قياس الأَولى : قوله تعالى :

﴿ ألا تُقاتِلون قوماً نَكَثوا أَيمانهم ، وهَمُّوا بإخراج الرسول ، وهم بَدَؤوكم أول مرة ،أتَخْشَوْنَهم ، فالله أحقُّ أَنْ تَخْشوه إن كنتم مؤمنين ﴾ [١] .

وقوله ﷺ في حديث الأمر بحفظ العورة ، لما قال له الصحابي الكريم :

« يانبي الله : إذا كان أحدنا خالياً ؟ قال : فالله أحق أن يستحي

---

(١) الآية / ١٣ / من سورة التوبة .

منه الناس »[1] .

ومن أمثلة القياس المساوي : قوله ﷺ للشاب الذي استأذن بالزنا : « أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك ، **قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم** . الخ »[2] .

ومن أمثلة قياس الخَلْف : قوله ﷺ :

« وفي بُضْعِ أحدكم صدقة ، قالوا : يارسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟! **قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ ، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر** »[3] .

ومن أمثلة القياس الضمني : قوله ﷺ في الصائم :

« إذا نسي فأكل وشرب ، فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه »[4] فقاس ضمناً الصائم الذي أكل وشرب ناسياً ، على الصائم الذي لم يأكل ولم يشرب ... إلى غير ذلك من أمثلة [5] .

---

(١) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حَسَن ، انظر « سنن الترمذي »(٢٧٦٩ و ٢٧٩٤) .

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في « المسند » عن أبي أمامة رضي الله عنه(٥/٢٥٦ و ٢٥٧) ، وقال عنه الهيثمي في « مجمع الزوائد » : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .(١/١٢٩) .

(٣) الحديث رواه مسلم وأحمد وأبو داود ، انظر « صحيح مسلم بشرح النووي »(٢/٦٩٧) و « مسند أحمد » (٥/١٦٧ و ١٦٨) و « سنن أبي داود » رقم (١٢٨٥ و ٥٢٤٢) .

(٤) الحديث متفق عليه : انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (١٩٣٣)(٤/١٥٥) ، و « صحيح مسلم بشرح النووي »(٨/٣٥) .

(٥) راجع بحث « تطبيقات الرسول ﷺ للمنهج العقلي في الدعوة » للباحث : محمد بن عبد الله ابن علي العثمان ، الذي قدمه بإشرافي لنيل درجة الماجستير لقسم الدعوة والاحتساب في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤٠٩ هـ ، من ص :(٢٦ ـ ٧٥) ففيه أمثلة كثيرة على استعمال هذا الأسلوب .

٢ ـ الجدل والمناظرة والحوار : وسيأتي الحديث عن الجدل وأشكاله في مبحث الأساليب الدعوية في الفصل الرابع [١] .

٣ ـ ضربُ الأمثال بأنواعها صريحةً كانت أو كامِنَةً ، أو أمثالاً سائرة ...

ومن أمثلة الأمثال الصريحة قوله تعالى :

﴿ مَثَلُهم كَمَثَلِ الذي استَوْقد ناراً ... الآيات ﴾ [٢] .

وقوله ﷺ :

« مَثَلُ القائم على حدود الله ، والواقع فيها ، كَمَثَلِ قَوْم استَهَموا على سَفينة ... الحديث » [٣] .

إلى غير ذلك من أمثلة صُرِّحَ فيها بلفظ المثل ، أو بما يدل على التشبيه ... قال تعالى :

﴿ وتِلْكَ الأمْثالُ نَضْرِبُها للناس ، لَعلَّهم يَتفكرون ﴾ [٤] .

ومن الأمثال الكامنة ، قوله ﷺ :

« مَنْ فارقَ الجماعةَ شبراً فقد خَلَع رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقه » [٥] يقول

---

(١) انظر تفصيلاً لهذا الأسلوب في البحث السابق « تطبيقات الرسول ﷺ للمنهج العقلي في الدعوة » من ص (٧٦ ـ ١١٣) .

(٢) الآيات / ١٧ ـ ٢٠ / من سورة البقرة .

(٣) الحديث رواه البخاري والترمذي ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٣/ ١١١) وسنن الترمذي (٢١٧٣) .

(٤) الآية / ٢١ / من سورة الحشر .

(٥) الحديث رواه أبو داود وأحمد والحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه ، انظر « سنن أبي داود » (٤٧٥٨) و « مسند أحمد » (١٣٠/٤) و (١٦٥/٥ و ١٨٠ و ٣٤٤) وقال الحاكم : وقد روي هذا المتن عن عبد الله بن عمر بإسناد صحيح على شرطهما . (١١٧/١) .

الإمام الخطابي :

« الرِّبْقة : مايُجعلُ في عنق الدابة كالطوق يُمسكها لئلا تشرد ، يقول : من خرج عن طاعة الجماعة ، وفارقهم في الأمر المجمع عليه ، فقد ضل وهلك ، وكان كالدابة إذا خلعت الربقة التي هي محفوظة بها ، فإنها لايؤمن عليها عند ذلك من الهلاك والضياع »[1] . إلى غير ذلك من أمثال لم يُصرَّح فيها بلفظ التمثيل .

ومن الأمثال السائرة ، قوله ﷺ :

« مَنْ خافَ أدلج ، ومن أدلج بَلَغَ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة »[2] وغيره مما صار مثلاً سائراً بين الناس[3] .

٤ ــ القصص التي يغلب عليها الجانب العقلي ، وتساق من أجل الاعتبار بها ، قال تعالى :

﴿ لقد كان في قَصَصِهم عبرةٌ لأولي الألباب ﴾[4] وقال :

﴿ فاقْصُصِ القصَصَ لعلهم يَتَفَكَّرون ﴾[5] .

---

(١) « معالم السنن » انظر حاشية « مختصر سنن أبي داود » للمنذري (١٤٨/٧ و ١٤٩) .

(٢) الحديث رواه الترمذي والحاكم في مستدركه وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، انظر « سنن الترمذي » (٢٤٥٠) و « مستدرك الحاكم » (٣٠٨/٤) وصححه في « التلخيص على المستدرك » ، انظر الحاشية (٣٠٨/٤) .

(٣) انظر تفصيلاً لهذا الأسلوب في البحث السابق « تطبيقات الرسول ﷺ للمنهج العقلي في الدعوة » من ص (١١٤ ــ ١٧٢) .

(٤) الآية / ١١١ / من سورة يوسف عليه السلام .

(٥) الآية / ١٧٦ / من سورة الأعراف .

ومن هذا الأسلوب ما قصه القرآن الكريم علينا من قصص الأولين [1] .

وما قصه الرسول ﷺ على أصحابه من قصص الأمم السابقة ، وهو كثير في السنة [2] .

مواطن استعمالات المنهج العقلي :

يستعمل المنهج العقلي في مواطن متعددة ، منها :

١ ـ في مواطن إنكار المدعوين للأمور الظاهرة ، والبدهيات العقلية ، مثل قوله تعالى :

﴿ أَمْ خُلِقوا من غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخالِقون ﴾ [3] وقوله :

﴿ لَوْ كان فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفَسَدَتا ... ﴾ [4] .

٢ ـ مع المعتدّين بعقولهم وأفكارهم من المدعوّين ، لأنهم أسرع من يتأثر بالمنهج العقلي السليم .

٣ ـ مع المنصفين من الناس ، البعيدين عن التعصب لآرائهم ، والمتجردين من الأغراض الخاصة .

٤ ـ مع المتأثرين بالشبهات ، والمخدوعين بالباطل ،

وهكذا ، إلى غير ذلك من مواطن وأحوال لاتخفى على الداعية اللبيب .

---

(١) راجع «القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه» للدكتور عبد الكريم الخطيب، و «دراسات قرآنية» للأستاذ محمد قطب، و «الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية» للأستاذ محمود السيد حسن مصطفى.

(٢) راجع « القصص في الحديث النبوي » للدكتور : محمد بن حسن الزير .

(٣) الآية / ٣٥ / من سورة الطور .

(٤) الآية / ٢٢ / من سورة الأنبياء .

من خصائص المنهج العقلي :

للمنهج العقلي خصائص ومزايا تختلف عن خصائص غيره من المناهج الأخرى ، منها :

١ ـ اعتماده على الاستنتاجات العقلية ، والقواعد المنطقية ، والفطرية ...

٢ ـ عمق تأثيره في المدعويين ، ورسوخ الفكرة التي يوصل إليها عن طريقه ، إذ ليس من السهل تغيير القناعة والأفكار .

٣ ـ إفحام الخصم المعاند .

٤ ـ ضيقُ دائرته بالنسبة لدائرة المنهج العاطفي ، وإن كان هذا الضيق أو السعة تختلف من قوم إلى قوم .

لذا كان على الداعية الحكيم أن يحسن اختيار المنهج المناسب للموقف المناسب .

* * *

٣ ـ المنهج الحسي أو (التجريبي) :

تعريفه :

يمكننا تعريف المنهج الحسي بتعريفين أيضاً ، هما :

أ ـ (النظام الدعوي الذي يرتكز على الحواس ، ويعتمد على المشاهدات والتجارب) .

ب ـ (مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على الحواس ، وتعتمد على المشاهدات والتجارب) .

وذلك لأن النظام الدعوي لايظهر إلا بمجموعة أساليبه المطبقة له .

ويطلق على هذا المنهج بعضهم مصطلح « المنهج العلمي » لاعتماده على العلوم التجريبية ، إلا أن تسميته بالحسي أو التجريبي أوضح وأدق .

أبرز أساليبه :

للمنهج الحسي أساليب عديدة ، منها :

١ ـ لَفْتُ الحِسّ إلى التعرف على المحسوسات ، للوصول عن طريقها إلى القناعات : كما في قوله تعالى :

﴿ وفي الأرض آياتٌ للموقِنِين * وفي أَنْفُسِكم أفلا تُبْصِرون * وفي السماء رزقُكُم وما توعدون * فَوَربِّ السماء والأرض إنَّهُ لحقٌ مِثْلَ ماأنَّكم تَنْطقون ﴾ (١) .

وقوله :

﴿ سَنُريهم آياتِنا في الآفاق وفي أَنْفُسِهم ، حتّى يَتَبَيَّن لهم

(١) الآيات / ٢٠ ـ ٢٣ / من سورة الذاريات .

أنَّه الحقُّ ، أوَلَمْ يَكْفِ بربِّكَ أنَّه على كل شيء شَهيد ﴾ (1) .

٢ ــ أسلوب التعليم التطبيقي ، على وجه يشاهد المدعو كيفية تطبيق الفعل المأمور به ، والمدعو إليه ، كما فعل ﷺ في دعوته لتعلم الصلاة ، والحج ، فقد جاء في الحديث الشريف :

« صلوا كما رأيتموني أصلي »(2) ، وجاء أيضاً :

« خذوا عني مناسككم »(3) .

٣ ــ القدوة العملية في تعليم الأخلاق والسلوك : كما جَعَلَ اللهُ رسولَه ﷺ قدوةً عملية للمؤمنين فقال :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسْوةٌ حَسَنةٌ ، لِمَنْ كان يَرجو الله واليوم الآخِرَ وذكَرَ الله كثيراً ﴾ (4) ، وكما وَجَّهَ رسوله ﷺ إلى ذلك ، فقال :

﴿ فَبِمَا رَحْمةٍ من الله لِنْتَ لَهم ، ولو كُنْتَ فَظاً غليظَ القلب لانفَضُّوا مِنْ حَولك ، فاعْفُ عنهم ، واستَغْفِر لهم ، وشاوِرْهم في الأمر ، فإذا عَزَمتَ فتوكَّل على الله ... ﴾ (5) .

ومن هنا جاء وصف خُلُقِ رسول الله ﷺ بأنه القرآن ، ففي الحديث

---

(١) الآية / ٥٣ / من سورة فصلت .

(٢) الحديث رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦٣١ و ٦٠٠٨) و « الفتح » (٢/١١١) و (١٠/٤٣٨) .

(٣) الحديث ذكره في « جمع الفوائد » رقم (٣٣٧١)(١/٥٠٢) وقال عنه : للشيخين والنسائي .

(٤) الآية / ٢١ / من سورة الأحزاب .

(٥) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

الشريف عن عائشة رضي الله عنها :

« ... فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآنَ ... »[1] .

٤ ـ تغيير المنكر باليد ، وإزالته على وجه يشاهده صاحب المنكر ، ويُعدُّ هذا الإنكار أقوى درجات الإنكار ، كما جاء في الحديث الشريف :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ... »[2] وكما فعل ﷺ لما فتح مكة ، بالأصنام التي كانت حول الكعبة ، حيث طعنها بِعُودٍ في يده فتساقطت على وجهها [3]، وبعث سراياه إلى الأوثان « اللات ، والعُزّى ، ومناة » فكُسِّرت [4] .

٥ ـ تأييدُ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات الحسية والخوارق ، كما حدث مع كثير من الأنبياء السابقين ، ومع رسولنا ﷺ .

٦ ـ أسلوب « التمثيل المَسرحي » وعرض بعض الأمور الدعوية على خشبة المسرح ، كما أصبح مألوفاً في هذا العصر ، وسيأتي معنا الحديث عن « التمثيل » في فصل : الوسائل الدعوية إن شاء الله .

وما إلى ذلك من أساليب تعتمد على الحس البشري ...

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم برقم (١٣٩) وانظر « شرح النووي على مسلم » (٦/٢٦) . وعزاه في « الفتح » لمسلم بلفظ « كان خلقه القرآن ، يغضب لغضبه ، ويرضى لرضاه » . « فتح الباري » (٦/٥٧٥) .

(٢) الحديث رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » (٤٩) .

(٣) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٢٤٨٧)(٨/١٦ و ١٧) و « زاد المعاد » (٣/٤٠٦) .

(٤) « زاد المعاد » (٣/٤١٣) .

مواطن استعمالاته :

مواطن استخدام المنهج الحسّي عديدة متنوعة ، منها :

١ ـ في تعليم الأمور التطبيقية العملية والدعوة إليها ، وكلما كان الأمر المدعو إليه دقيقاً وهاماً ، كانت الحاجة إليه أشد ، كما فعل ﷺ في تعليم الوضوء ، والصلاة ، والحج ...

٢ ـ يُستخدم في دعوة العلماء والمتخصصين في العلوم التطبيقية التجريبية ، ويعين في ذلك الاستدلال بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مع ملاحظة ضرورة عدم التوسع في استخدام النصوص الشرعية لتأييد النظريات العلمية والفرضيات ، ويكتفى بالاستشهاد بها على الحقائق العلمية الثابتة ، وبأسلوب مناسب (١) .

٣ ـ يستخدم في دعوة المتجاهلين للسنن الكونية ، والمنكرين للبدهيات العقلية ، فإن المعاندين لاتفيد معهم إلا الحقائق المعتمدة على الملموسات والمحسوسات ، وعلى هذا الأساس جاءت كثير من معجزات الأنبياء والرسل عليهم السلام ماديةً محسوسةً .

إلى غير ذلك من مواطن لاتخفى على الداعية ...

---

(١) راجع بحث « المنهج العلمي وأثره في الدعوة إلى الله » للباحث : فكري السيد عوض ، المقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤٠٤ هـ .
وراجع بحث « آيات التخويف الكونية وأثرها في الدعوة إلى الله » للباحث : جمعان عبد الله سرور الغامدي ، الذي قدمه بإشرافي لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية ، عام ١٤٠٦ هـ .

من خصائص المنهج الحسي :

من أبرز خصائص هذا المنهج الدعوي :

١ ـ سرعة تأثيره لاعتماده على المحسوسات التي يُسلّم بها كل إنسان عادة ، فإذا لم يسلم دلّ ذلك على عناده وإصراره على باطله ، ومن هنا توعد الله عز وجل عباده الذين أصروا على كفرهم بعد رؤية المعجزات النبوية ، فقال سبحانه :

﴿ قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا أَنْزِلْ علينا مائدةً من السماء ، تكونُ لنا عيداً لأولنا وآخرنا ،وآيةً منك ، وارزقنا وأنتَ خيرُ الرازقين ۞ قال الله : إني مُنَزِّلُها عليكم ، فمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكم فإني أُعَذِّبُه عذاباً لاأعذِّبه أحَداً من العالمين ﴾ [1] .

كما كانت نتيجة معظم الأمم التي كذبت بمعجزات أنبيائها الهلاك والدمار .

٢ ـ عمق تأثيره في النفوس البشرية ، لمعايَنَتها الشيء المحسوس ، ومن هنا قيل : ليس الخَبرُ كالعِيان .

٣ ـ سعة دائرته ، لاشتراك الناس جميعاً في أنواع الحس أو بعضها ، لايتخلف عن هذا كبير أو صغير ، ولا عالم أو جاهل ...

٤ ـ يُحتاجُ في استخدامه في كثير من المواطن إلى خبرة واختصاص ، فلا يحسنه جميع الدعاة ، ولاسيما إذا كانت الدعوة لطبقة العلماء المتخصصين في العلوم التطبيقية .

---

(١) الآيات / ١١٤ ـ ١١٥ / من سورة المائدة .

هذه هي أنواع المناهج الدعوية من حيث ارتكازها على النفس البشرية ، وقد أضاف بعضهم عليها نوعاً رابعاً أسماه : المنهج الفطري ، وقصد به المنهج المُبَسَّط غير المعقّد .

والذي أراه في هذا : أن الفطرية (بمعنى التبسيط وعدم التعقيد) خصيصة من خصائص المناهج الدعوية كلها ، وليست منهجاً رابعاً من مناهج الدعوة ، وذلك لاعتماد المناهج الثلاثة السابقة على الفطرة الإنسانية ، لأن ركائزها هي (القلب ، والعقل ، والحس) من جهة ، ولأن كل منهج من هذه المناهج الثلاثة يمكن أن يكون مبسطاً أو معقداً ، وذلك بحسب الموضوع وتبعاً لأسلوب الداعية ، من جهة أخرى ، والله أعلم .

* * *

المبحث الثالث

الملامح العامة للمناهج الدعوية ، وخصائصها العامة :

يمكننا تقسيم الملامح العامة للمناهج الدعوية إلى ثلاثة أقسام أساسية هي :

١ ـ الملامح العامة لمناهج الدعوة في جانب العقيدة .

٢ ـ الملامح العامة لمناهج الدعوة في جانب الشريعة .

٣ ـ الملامح العامة لمناهج الدعوة في جانب الأخلاق .

وذلك لتكوّنِ الدعوة الإسلامية من هذه الجوانب الثلاثة .

١ ـ الجانب الأول :

الملامح العامة لمناهج الدعوة في جانب العقيدة :

يمكن إجمال هذا الجانب في ثلاثة أمور :

أ ـ تقرير العقيدة الصحيحة بمنهاج واضح بعيد عن المنهج الفلسفي ، والأساليب الكلامية :

فقد بادرت العقيدة الإسلامية بتوضيح حقائق الأمور الغامضة في هذا الكون ، ولم تتركها للعقل البشري يستنتجها ويخوض فيها تلقائياً صيانة له عن الضلال ، وإكراماً له بالهداية ،

وهذه الأمور الغامضة الكبرى لاتعدو تسعة أمور أساسية هي :

(١ ـ ٦) ـ أركان الإيمان الستة التي صرح بها حديث جبريل عليه

السلام ، وهي :

الإيمان بالله ، والملائكة ، والكتب السماوية ، والرسل ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله تعالى .

٧ ـ الوقوف على حقيقة الإنسان ، وأصل خلقته ، وطبيعته ، ووظيفته ، لأنه المخاطب بهذه العقيدة .

٨ ـ الوقوف على حقيقة العالم الظاهر المحيط به في هذا الكون ، من سماوات وأرض وشمس وقمر وما إلى ذلك .

٩ ـ الوقوف على حقيقة العالم الخفي المحيط به ، كعالم الجن والشياطين ...

فقد أوضحت العقيدة الإسلامية بالقرآن والسنة هذه الأمور أحسن توضيح ، وبأسلوب واضح قريب من البشر جميعاً على مختلف مستوياتهم ، قائم على مخاطبة القلب والعقل والحس ، بعيد عن الفلسفات المادية ، والتعقيدات الكلامية .

قال تعالى :

﴿ وإلهكم إله واحد ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ... ﴾ (١)

وقال :

﴿ الله لا إله إلا هو الحي القَيّوم ، لا تأْخُذُه سِنَةٌ ولا نَوْم ، له مافي السموات ومافي الأرض ، مَنْ ذا الذي يَشفعُ عنده إلا بإذنه ، يَعلَمُ مابَيْن أيديهم وماخَلْفَهم ، ولايُحيطونَ بشيء من

---

(١) الآية / ١٦٣ / من سورة البقرة .

عِلْمِه إلا بما شـاء ، وَسِعَ كُرسِيُّه السمـوات والأرضَ ، ولايؤوده حِفْظُهما وهو العلي العظيم ﴾ (١) .

وقال أيضاً :

﴿ آمَنَ الرسولُ بما أُنْزِلَ إليه من ربه والمؤمنون ، كُلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانُفَرِّقُ بين أَحَدٍ من رُسُلِه ... ﴾ (٢) .

وهكذا في جميع الآيات القرآنية والنصوص الشرعية المقررة لتلك الحقائق .

ب ـ تثبيتُ العقيدة في النفوس ، وتحصينُها بأسلوب يرتكز على العقل والقلب معاً :

فبعد أن قرر المنهج الدعوي العقيدة الصحيحة ، عمل على تثبيتها في النفوس البشرية عن طريقين أساسيين :

١ ـ بيان الأدلة العقلية والنقلية التي تدل عليها :

قال تعالى :

﴿ لو كانَ فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفَسَدَتا ﴾ (٣)، وقال : ﴿ ماانَّخَذَ الله من وَلَدٍ، وما كان مَعه من إله ، إذاً لذهبَ كلُّ إلهٍ بما خلق ، ولعلا بعضُهم على بَعْض ، سُبْحان الله عما يصفون ۞ عالمِ الغيبِ والشهادةِ ، فتعالى عما يشركون ﴾ (٤) .

(١) الآية / ٢٥٥ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ٢٨٥ / من سورة البقرة .

(٣) الآية / ٢٢ / من سورة الأنبياء .

(٤) الآيات / ٩١ ـ ٩٢ / من سورة المؤمنون .

٢ ـ مناقَشةُ الشبهات المثارة حولها ورَدُّها : قال تعالى :

﴿ وَضَرَبَ لنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَه ، قال : مَنْ يُحيي العظامَ وهي رَميم ؟ ! * قُل يُحْيِيها الذي أَنشأها أول مرة ، وهو بكُل خَلْقٍ عليم * الذي جَعَل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون * أَوَلَيْسَ الذي خلَقَ السمواتِ والأرضَ بقادرٍ على أنْ يَخْلُقَ مِثْلَهم ! بلى وهو الخلاّقُ العليم * إِنّما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كن فيكون * فَسُبْحنَ الذي بيده ملكوتُ كل شيء وإليه ترجعون ﴾ (١) ، وفي سورة « يس » وغيرها نماذج أخرى لهذه المناقشات والردود ... وقال تعالى :

﴿ أَوْ كالذي مَرَّ على قَرْية وهي خاوية على عروشها ، قال : أنَّى يُحْيي هذه اللهُ بعدَ مَوْتها ، فأماتَه اللهُ مئةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثه ... الآيات ﴾ (٢) .

٣ ـ إبطال العقائد الفاسدة السائدة في حياة الناس :

سواء في جانب الله عز وجل وصفاته ، أو في جانب ملائكته ورسله ، أو في جانب كتبه وآياته ، أو في جانب الإنسان وخلقته ، أو في جانب الجن والشياطين ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ وجَعَلوا له من عباده جُزءاً ، إِنَّ الإنسانَ لكفورٌ مبين * أم اتَّخذَ مما يَخْلُقُ بناتٍ وأَصْفاكم بالبنين * وإذا بُشِّر أحدهم بما

---

(١) الآيات / ٧٨ ـ ٨٣ / من سورة يس .

(٢) الآية / ٢٥٩ / من سورة البقرة

ضَرَبَ للرحمن مَثلاً ظَلَّ وجُهه مُسْوداً وهو كظيم * أوَ مَنْ يُنَشَّؤ في الحلية وهو في الخِصَام غير مبين * وجعلوا الملائكةَ الذين هُمْ عبادُ الرحمن إناثاً أشَهِدوا خَلْقهم ، ستُكْتَبُ شهادَتُهم ويُسألون ... الآيات ﴾ (١) .

وإن هذه الملامح الثلاثة وغيرها في الجانب العقدي تؤكد لنا عدة أمور :

أ ـ ضرورة التقيد بالمنهج الرباني في تقرير العقائد وتثبيتها ، والابتعاد عن المناهج الكلامية التي تعقد الأمور وتثير الشبهات والمشكلات في جانب العقيدة أكثر مما تزيلها ، والعمل على تجريد كتب العقيدة الإسلامية من مثل تلك الأساليب والرجوع بها إلى أسلوب السلف الصالح في عرض العقائد وتوضيحها .

ب ـ الاستفادة من الملامح الثلاثة العامة في تدريس العقيدة ، فلا يكتفى بواحد منها ، فلابد من تقرير العقيدة الصحيحة أولاً ، ثم تثبيتها وتحصينها ، ثم العمل على إبطال العقائد الفاسدة من حولها ...

جـ ـ تنويع الكتابة في أمور العقيدة على وجه يفي بجميع المتطلبات ، ويسد مختلف الحاجات التربوية ، فلابد من الكتب الصغيرة الموجزة بجوار الكتب الكبيرة المتخصصة ، والمتوسطة ... كما

---

(١) الآيات / ١٥ ـ ١٩ / من سورة الزخرف ، وانظر الآيات / ١٠٠ / الأنعام و / ٣٣ / الرعد و / ١٥٨ / الصافات .

لابد من الكتابة بأساليب تناسب جميع المستويات ، وتجمع بين العاطفية والعقلانية ، والنظرية والعملية ...[1]

* * *

---

(١) انظر على سبيل المثال بعض الكتب الحديثة في العقيدة ، مثل « رسالة العقائد » للإمام حسن البنا ــ رحمه الله ــ و « مجموعة العقائد » بأجزائها السبعة للوالد الشيخ أحمد عزالدين البيانوني ــ رحمه الله ــ ، و « الإيمان » للشيخ عبد المجيد الزنداني ، وغيرها .

٢ ـ الجانب الثاني :

الملامح العامة لمناهج الدعوة في جانب الشريعة :

يمكن إجمال هذا الجانب في ثلاثة أمور أساسية ، هي :

أ ـ تقرير منهج توقيفي للعبادة وأساليبها .

ب ـ إقرار مالا يتعارض مع مقاصد الشريعة ، أو يحدث مفسدة في جانب المعاملات .

جـ ـ وضع أصول وقواعد عامة لمعظم الأحكام الشرعية ، وفسح المجال للاجتهاد في التطبيقات العملية ، والأحكام الفرعية ...

الأمر الأول :

وهو : **تقرير منهج توقيفي للعبادة وأساليبها :**

فلما كانت العبادة تعاملاً مع الله عز وجل ، اقتضت أن تكون العبادة توقيفية لادخل للاجتهاد في تشريعها وسنها ، فإن المرء قد يُحسن وضع منهج يضبط علاقته بغيره من الناس ، لأن وضع المنهج يستلزم معرفة وخبرة بالجانبين ، ولكنه لايتصور أن يحسن العبد وضع منهج للعلاقة مع الله جل جلاله .

ومن هنا : لما حاول بعض الصحابة رضوان الله عليهم بعقولهم اختيار منهج عبادي لأنفسهم ، عندما تقالّوا عبادة رسول الله ﷺ ، وعللوا ذلك بمغفرة ذنوبه ﷺ ، فقال أحدهم : « أما أنا فأصلي الليل أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً »[1]. أنكر عليهم مقالتهم ومنهجهم ، وبين لهم

---

(١) هذه النصوص جزء من حديث متفق عليه ، سبق تخريجه في ص / ١٨٩/ .

المنهج الصحيح وقال : « فمن رغب عن سنتي فليس مني »[1] .

ولما رغب عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه بكثرة العبادة ، وإلزام نفسه بمنهج متشدد فيها ، وقال :

« والله لأصومن النهار ، ولأقومن الليل ماعشت »[2] قال له ﷺ : « فلا تفعل : صُمْ وأفطر ، ونَمْ وقم ، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزَوْرك عليك حقاً ... الحديث »[3] .

وقد ذكر القرآن الكريم إنكار الله عز وجل على من شرع عبادة لنفسه ، فقال سبحانه :

﴿ أم لهم شُركاءُ شَرعوا لهم من الدين مالم يَأْذَن به الله ، ولولا كلمةُ الفَصْل لقُضِيَ بينهم ، وإنَّ الظالمين لهم عذاب أليم ﴾[4] .

وقال أيضاً :

﴿ ماجَعَل الله من بَحيرةٍ ، ولا سائبة ، ولا وَصيلة ، ولا حَام ، ولكن الذين كفروا يَفْترون على الله الكذب ، وأكثرُهم لايعقلون ﴾[5] .

والتوقيف في جانب العبادة ، يشمل المنهج والأسلوب والوسيلة .

---

(١) هذه النصوص جزء من حديث متفق عليه ، سبق تخريجه في ص / ١٨٩ / .

(٢ ـ ٣) جزء من حديث شريف متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (١٩٧٥ و ١٩٧٦) و « الفتح » (٤ / ٢١٧ و ٢٢٠) و « صحيح مسلم » رقم (١١٥٩) .

(٤) الآية / ٢١ / من سورة الشورى .

(٥) الآية / ١٠٣ / من سورة المائدة .

الأمر الثاني :

وهو : إقرار مالا يتعارض مع مقاصد الشريعة ، أو يحدث مفسدة في جانب من المعاملات :

وقد بين العلماء مقاصد الشريعة الإسلامية في مواطن كثيرة ، وقد أجملها الإمام الشاطبي في الموافقات في تحقيق الضروريات والحاجيات والتحسينيات ، فقال :

« تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق ، وهذه المقاصد لاتعدو ثلاثة أقسام ، أحدها : أن تكون ضرورية ، والثاني : أن تكون حاجية ، والثالث أن تكون تحسينية .

فأما الضرورية : فمعناها : أنها لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ، بل على فساد وتهارج وفوت حياة ، وفي الأخرى فوتُ النجاة والنعيم ، والرجوع بالخسران المبين .

والحفظ لها يكون بأمرين : أحدهما : مايُقيم أركانها ويثبت قواعدها ، والثاني : ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها ...

ومجموع الضروريات خمسة : وهي : حفظ الدين ، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل .

وأما الحاجيات : فمعناها : أنها مُفْتقَرٌ إليها من حيث التوسعة ، ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب ...

وأما التحسينيات : فمعناها : الأخذ بما يليق من محاسن العادات ، وتجنب الأحوال المدنسات التي تَأنفها العقول الراجحات ...

وهذه الأمور الثلاثة جارية في العبادات ، والعادات ، والمعاملات ، والجنايات »[1] .

فأي تعامل لايتعارض مع هذه المقاصد ، ولايحدث مفسدة في باب التعامل أقره الإسلام ، وسمح به ، وأي تعامل يتعارض مع شيء من هذه المقاصد ، أو يسبب نزاعاً أو مفسدة بين المتعاملين ، حرمه الشارع ونهى عنه ،

وإن نظرة متفحصة في باب المعاملات في كتب الفقه ، ووقفة على البيوع الصحيحة والفاسدة تؤكد هذا الملمح ، فكما قرر الإسلام حل البيع ، والتجارة وأنواعاً من الشركات ، حَرَّم الربا ، ونهى عن بيوع الغرر ، وعن صور من التعامل المؤدية إلى النزاع بسبب جهالة أو غيرها ... كما قيد بعض التعاملات بشروط تدفع ذلك الغرر الواقع ، أو النزاع المتوقع ، كما فعل في السلم ، فقال ﷺ :

« من أَسْلَفَ في ثَمَر ، فليُسْلِفْ في كَيْل معلوم ووَزْن معلوم إلى أجَل معلوم »[2] .

الأمر الثالث :

وهو : وضع أصول وقواعد عامة لمعظم الأحكام الشرعية ، وفسحُ المجال للاجتهاد في التطبيقات والأحكام الفرعية :

جعل الشارع أدلة الأحكام الشرعية نوعين :

---

(١) انظر « الموافقات » للشاطبي (٢/ ٨ ـ ١١) بشرح الشيخ عبد الله دراز .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٢٢٤٠ و ٢٢٤١) (٤/ ٤٢٩) و « صحيح مسلم بشرح النووي » (١١/ ٤١ و ٤٢) .

أ ـ أدلة تفصيلية جزئية بحسب الحوادث والمسائل .

ب ـ أدلة إجمالية عامة ، وقواعد كلية ، تندرج تحتها جزئيات كثيرة موجودة أو مستجدة في حياة الناس .

وذلك لأن المسائل والقضايا كثيرة متنوعة متطورة لا حَدَّ لها ، ولايمكن للنصوص الشرعية مهما كثرت أن تستوعبها مسألةً مسألة .

ومن أمثلة النوع الأول :

ماجاء في بيان حكم الوضوء والطهارة وبعض أعمال الصلاة ، وكثير من أحكام السنة .

ومن أمثلة النوع الثاني :

ماجاء كنصوص عامة ، أو قواعد في القرآن أو السنة ، كقوله تعالى في بيان حل البيع إجمالاً ، وحرمة الربا إجمالاً : ﴿ وأَحَلَّ الله البيعَ وحَرَّم الربا ﴾ (١) .

وقوله سبحانه :

﴿ قل إنما حَرَّمَ ربي الفواحشَ ماظَهَر منها وما بَطَن ، والإثمَ والبَغْي بغير الحق ... ﴾ (٢) .

وقوله :

﴿ ويُحِلُّ لهم الطيباتِ ويُحَرِّمُ عليهم الخبائث ﴾ (٣) .

---

(١) الآية / ٢٧٥ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ٣٣ / من سورة الأعراف .

(٣) الآية / ١٥٧ / من سورة الأعراف .

وقوله ﷺ :

« المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه »[1] .

وقوله أيضاً :

« لا ضرر ولا ضرار »[2] . وقوله « إنما الأعمال بالنيات »[3] إلى غير ذلك من أمثلة .

وبهذا المنهج في بيان أدلة الأحكام الشرعية ، حقق الشارع الأصالة والمعاصرة للدعوة الإسلامية ، فما من قضية حدثت أو تحدث في حياة البشرية ، إلا ويجد العلماء والمجتهدون لهاحكماً شرعياً ودليلاً عليها في نص شرعي أو في قاعدة كلية ...

* * *

---

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (١٠)(٥٣/١) و « صحيح مسلم » رقم (٤٠) .

(٢) الحديث قال عنه الحافظ ابن حجر في « بلوغ المرام » : رواه أحمد وابن ماجة ، وله من حديث سعيد مثله ، وهو في الموطأ مرسل ، انظر « سبل السلام شرح بلوغ المرام » للصنعاني (١١٨/٣) طبع جامعة الإمام .

(٣) الحديث متفق عليه : انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (١)(٩/١) و « صحيح مسلم » رقم (١٩٠٧) .

٣ ـ الجانب الثالث :

الملامح العامة لمناهج الدعوة في جانب الأخلاق :

يمكننا إجمال الملامح العامة في جانب الأخلاق فيما يلي :

١ ـ بيانُ الأخلاق الكريمة والنصُّ على أمهاتها : كالصدق ، والعدل ، والأمانة ...

٢ ـ بيان الأخلاق الذميمة ، والنصُّ على أمهاتها : كالكذب ، والجور ، والخيانة ...

٣ ـ وضع ضوابط ومعايير ثابتة تعرف بها الأخلاق الحميدة ، والتصرفات السليمة من غيرها ، وذلك مثل :

أ ـ قوله ﷺ :

« البِرُّ حسن الخلق ، والإثم ما حَاكَ في نفسك ، وكرِهت أن يَطَّلع عليه الناس »[1] .

ب ـ وقوله ﷺ :

« لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه »[2] .

جـ ـ جَعلُ الله عز وجل رسولَهُ ﷺ أسوة للمؤمنين ، ووَصْفُه له بأنه على خلق عظيم ، فقال عز وجل :

﴿ وإِنَّك لعَلَىٰ خُلُقٍ عَظيم ﴾[3] وقال :

---

(١) الحديث رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » رقم (٢٥٥٣) .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (١٣)(٥٧/١) ، و « صحيح مسلم (٤٥) .

(٣) الآية / ٤ / من سورة القلم .

﴿ لقد كانَ لكم في رسول الله أُسْوةٌ حَسَنة ... ﴾ [1] . وما إلى ذلك .

٤ ـ الدعوة إلى تحسين الأخلاق ومجاهدة الطباع ، وعدم اعتباره للطبع عذراً في ذلك ، ففي الحديث الشريف :

« وخالقِ الناس بخلق حَسَن »[2] . وفيه أيضاً : « أحسِنْ خُلقَكَ للناس يامعاذ بن جَبل » [3] . وعلى هذا تحمل الأحاديث النبوية الكثيرة الآمرة بالأخلاق الحسنة ، والمشجعة عليها ، والمبينة فضل أصحابها ، والمفصّلة لأساليب علاج بعضها كالغضب مثلاً :

قال تعالى :

﴿ ولا تَسْتَوي الحسنةُ ولا السيئةُ ، ادفَعْ بالتي هي أَحْسن ، فإذا الذي بينَكَ وبينَهُ عداوةٌ كأنه وليٌّ حَميم ❁ وما يُلقّاها إلا الذين صَبَروا ، وما يُلقّاها إلا ذو حَظٍ عظيم ❁ وإمّا يَنْزَغَنَّكَ من الشيطان نَزْغٌ فاستَعِذْ بالله ، إنَّه هو السميع العليم ﴾ [4] .

وفي الحديث : « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »[5] .

(١) الآية / ٢١ / من سورة الأحزاب .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص (١١١) .

(٣) الحديث سبق تخريجه ص (١٦٢) .

(٤) الآيات / ٣٤ ـ ٣٦ / من سورة فصلت .

(٥) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٦١١٥)(٥١٨/١٠) و « صحيح مسلم بشرح النووي » (١٦٣/١٦) .

وجاء في أحاديث أخرى أمْرُ الغاضب بالجلوس ، وإلا فبالاضجاع [1]، وأمره بالوضوء [2] ، وما إلى ذلك .

وبهذه الملامح العامة في جانب الأخلاق ، يظهر تميز منهج الدعوة الإسلامية في الأخلاق على غيره من المناهج الأخرى ، ولاسيما الذين يقولون « بالنظرية النسبية في الأخلاق » فلا ثوابت عندهم في الأخلاق ولاضوابط صحيحة لها ...[3]

* * *

(١) الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود ، انظر « المسند » (١٥٢/٥) و « سنن أبي داود » رقم (٧٤٨٢) ، قال عنه الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح (٧٠/٨ و ٧١) .

(٢) الحديث رواه أبو ادود ، انظر « سنن أبي داود » (٤٧٨٤)(٢٤٩/٤) ط : محيي الدين عبد الحميد .

(٣) راجع هذا الموضوع في كتاب « الأخلاق الإسلامية » للأستاذ : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (٩١/١ ـ ٩٨) . وقف في هذا الكتاب على فوائد كثيرة ، وأسلوب جديد مفيد في عرض الأخلاق الإسلامية .

الخصائص العامة للمناهج الدعوية :

بعد أن وقفنا على الملامح العامة لمناهج الدعوة في جوانب متعددة ، آن لنا أن نقف على بعض الخصائص العامة لهذه المناهج ، المنبثقة عن خصائص الدعوة الإسلامية نفسها ، فإذا كانت الدعوة تقوم على الأصول والمناهج والأساليب والوسائل ، فإن خصائص الدعوة الإسلامية تظهر في خصائص كلٍ من هذه الأصول والمناهج والأساليب والوسائل الدعوية ...

لذا ، لاأريد أن أقف على خصائص الأدلة والمصادر التي تحدثنا عنها في أصول الدعوة ، كالربانية ، والكمال ، والوضوح ، والشمول ، والتوازن ، والعملية ،

وإنما أكتفي بذكر ثلاث خصائص تتجلى في المناهج إضافة على تلك الخصائص السابقة ، وهي : الانضباط ، والتدرج ، والاستمرار .

١ ـ خصيصة الانضباط :

وتعني : « الالتزام بالأحكام الشرعية »

فإن الداعية ملتزم بالأحكام الشرعية في جميع أموره وتصرفاته ، سواء في وضع مناهجه ، أو في اختيار أساليبه ووسائله ...

فالمناهج البشرية التي يضعها الدعاة للناس ، لابد أن تكون منبثقة عن المناهج الربانية التي جاء بها الكتاب والسنة ، ولايتصور أن يتمكن بشرٌ ما من وضع منهج أهدى وأقوم من منهج الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ (١) .

---

(١) الآية / ٩ / من سورة الإسراء .

وذلك في جميع مناحي الحياة ، لأن الله الخالق هو العليم وحده بما يصلح الخلق ويسعدهم في دنياهم وأخراهم ... ﴿ ألا يَعْلَمُ من خَلَق ، وهو اللطيفُ الخبير ! ﴾ (١) .

والانضباط بالحكم الشرعي درجات متفاوته ، يتفاوت فيها المسلمون عامة ، فعلى الدعاة أن يحرصوا على أعلى درجات هذا الانضباط ، وذلك لتَسلَم دعوتهم ، وينجح عملهم ،

وإن الانحراف عن منهج الله في الدعوة ، أو الخروج عن أحكام الشريعة في المنهج قد يصل بالمرء إلى الخروج كلياً عن هذا الأسلوب ، أو يوقعه في شيء من الضلال أو الفسق ، وذلك بحسب زاوية انحرافه ، وطبيعة الموضوع الذي خالف فيه ...

لذا ، كان على الداعية أن يحرص على الانضباط الكامل في نفسه ، ويدعو الآخرين إلى ذلك بحسب درجة انحرافهم عنه ، فيدعو المنحرف إلى حرام إلى تركه واجتنابه ، كما يدعو الواقع في المختلف فيه إلى العمل بالمتفق عليه ، ويدعو الآخذ بالمفضول إلى الأخذ بالفاضل وهكذا دون إفراط أو تفريط ...

٢ ـ خصيصة التدرج :

الأصل في المناهج أن تكون متناسبة مع من وضعت لهم ، وذلك بحسب الأعمار والأحوال والمستويات ...

ومن هنا تعددت شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومناهجهم ،

---

(١) الآية / ١٤ / من سورة الملك .

قال تعالى :

﴿ لِكُلٍ جَعَلْنا منكم شِرْعةً ومِنْهاجاً ﴾ (١) .

ومن هنا : نزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ متدرجاً ، قال تعالى :

﴿ وقال الذين كفروا : لولا نُزِّلَ عليه القرآنُ جُمْلَةً واحدةً ، كذلك لِنُثَبِّتَ به فؤادك ، ورتَّلْناه تَرْتيلاً ﴾ (٢) .

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها :

« إنما نزل أول مانزل منه ـ أي : من القرآن الكريم ـ سورةٌ من المفصَّل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ، نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لاتشربوا الخمر ، لقالوا : لاندع الخمر أبداً ، ولو نزل : لاتزنوا ، لقالوا : لاندع الزنا أبداً »(٣) .

فقد كان منهج القرآن البدءَ بتفصيل أمور العقيدة وتثبيتها ، ثم ببيان الأحكام الشرعية شيئاً بعد شيء ، حتى نزل قوله تعالى :

﴿ اليومَ أكْمَلْتُ لكم دينَكم ، وأَتْمَمْتُ عليكم نِعْمتي ، ورَضِيتُ لكم الإسلامَ ديناً ﴾ (٤) .

فقد كمل الدين ، وتمت النعمة ، بما نزل من أحكام في القرآن

---

(١) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ٣٢ / من سورة الفرقان .

(٣) الحديث رواه البخاري في باب تأليف القرآن ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٤٩٩٣) (٣٩/٩) .

(٤) الآية / ٣ / من سورة المائدة .

الكريم ، وبمنهج التدرج الذي نزل به ، ولو نزل دفعة واحدة ، لشق الأمر على الناس ، وصعب عليهم امتثال أحكامه . وفي هذا درس بليغ للدعاة ليتدرجوا في مناهجهم ، ويكونوا عوناً للناس على تطبيقها وامتثالها .

وقد تنبَّه لهذه الخصيصة أسلافنا الصالحون ، فساورا على نهج التدرج في الأمور حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه ،

روى الشاطبي في الموافقات : « أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ـ رحمهما الله ـ قال يوماً لأبيه عمر : مالَكَ لا تُنْفِذ الأمور ؟ ! فوالله ماأبالي لو أن القدور غَلَتْ بي وبِكَ في الحق ! !

قال عمر : لا تَعْجل يابني ، فإن الله ذم الخمر في القرآن مَرَّتين ، وحرمها في الثالثة ، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة ، فيدفعوه جملة ، ويكون من ذا فتنة »[1] .

٣ ـ خصيصة الاستمرار :

الأصل في المناهج الدعوية أن تكون مستمرة لاتنقطع أو تتوقف في مرحلة من مراحل الدعوة ، أو في مستوى من مستويات الدعاة ...

لأن الدعوة الإسلامية حركة مستمرة على مستوى التبليغ والتعليم والتطبيق ، لاتتوقف مادامت هناك حياة للبشر ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ...

---

(١) انظر « الموافقات » (٢/٩٣ و ٩٤)؛ وهو في « حلية الأولياء » لأبي نعيم (٥/٢٨١)، وفي « مناقب عمر » لابن الجوزي ص : ٨٨ ، ونقله القرضاوي في كتاب « بينات الحل الإسلامي » ص : ٨٨ .

قال تعالى : ﴿ واعبُدْ ربكَ حتى يأْتِيَكَ اليَقين ﴾ [1] وقال أيضاً :

﴿ هو الذي أرْسلَ رسولَه بالهُدى ودينِ الحقِّ ليُظْهِرَه على الدينِ كُلِّه ... ﴾ [2] .

وبناء الشخصية المسلمة ، والمجتمع المسلم عملية مستمرة مترقية لاتقف عند حد مُعيَّن ، فكل داعية بحاجة إلى نُمُوّ دائم ، ورقيٍّ مستمر ، حتى يستمر عطاؤه ، ويدفع غيره إلى الكمال والرقيّ ، وقد وجه الله عز وجل رسوله ﷺ إلى طلب الزيادة في العلم ، فقال له :

﴿ وقُلْ ربِّ زِدْني عِلْماً ﴾ [3] ، وجاء في الحديث الشريف :

« إن الله عز وجل تابَعَ الوحْيَ على رسول الله ﷺ قبل وفاته ، حتى تُوفِّيَ أكثر ماكانَ الوَحْي »[4] ، وفي الحديث أيضاً :

« لن يَشْبعَ مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة »[5] .

ولم يعرف أسلافنا ـ رحمهم الله ـ توقفاً عَن العلم والتحصيل والترقي في الخير في سنٍّ معينة ، كما لم يعرف فيهم من ظن بنفسه أنه استغنى عن الأخذ والتَحْصيل ، واكتفى بالعطاء ، كما يحدث لبعض الدعاة في زماننا ،

---

(١) الآية / ٩٩ / من سورة الحجر .

(٢) الآية / ٣٣ / من سورة التوبة .

(٣) الآية / ١١٤ / من سورة طه .

(٤) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٤٩٨٢)(٩/ ٣) ، و « صحيح مسلم » رقم (٣٠١٦) .

(٥) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حَسنٌ ، انظر « سنن الترمذي » (٢٦٨٧) .

روى الخطيب البغدادي بسنده عن الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ أنه قال :

« من ظن أنه يستغني عن التَعلُّم فليَبْكِ على نفسه »[1] .

لذا ، فإن على الدعاة أن يحرصوا على الزيادة في الخير ، فيعملوا على تنمية عقولهم ، والترقي بقلوبهم وأحوالهم ، ليزيد عطاؤهم ، ويعظم أثرهم .

وعلى الجماعات الإسلامية أن تضع المناهج التربوية لجميع أفرادها وعلى جميع مستوياتهم ، لتبقى في نمو دائم ، وترقي مستمر ،

إلى غير ذلك من خصائص فرعية ، يندرج كثير منها تحت الخصائص العامة للمناهج ...[2]

* * *

---

(١) انظر « الفقيه والمتفقه » (٢/ ٤١) ، وقف فيه على سبب ورود هذا القول عن الإمام ، ففيه درس وعبرة .

(٢) راجع في هذا رسالة « هذه الدعوة ماطبيعتها ؟ » للشيخ عبد الله علوان رحمه الله ، نشر دار السلام .

الفصل الرابع
أساليب الدعوة

ويشتمل على مقدمة وخمسة مباحث :

١ ـ أسلوب الحكمة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

٢ ـ أسلوب الموعظة الحسنة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

٣ ـ أسلوب المجادلة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

٤ ـ أسلوب القدوة الحسنة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

٥ ـ الخصائص العامة للأساليب الدعوية .

مقدمة بين يدي أساليب الدعوة

سبق أن عرفنا أساليب الدعوة في الاصطلاح بقولنا :

« الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته » أو « كيفيات تطبيق مناهج الدعوة » . وقلنا :

إن مناهج الدعوة تظهر في مجموعة الأساليب المستخدمة ، التي يجمعها نظام واحد ، فإن مجموعة الأساليب التي تحرك الشعور والوجدان ، تمثل المنهج العاطفي ، ومجموعة الأساليب التي تدعو الإنسان إلى التفكر والتدبر والاعتبار ، تمثل المنهج العقلي ، ومجموعة الأساليب التي تعتمد على الحس والتجارب الإنسانية ، تمثل المنهج الحسي ، وهكذا ...

ومن هنا : كان حصر الأساليب صعباً نظراً لتنوعها وكثرتها ، وقد نص القرآن الكريم على بعضها نصاً صريحاً مباشراً ، كما أشار إلى بعضها إشارة ، إلا أننا نجد لجميع الأساليب الدعوية تقريباً استخدامات في القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولايكاد يخلو منها نص قرآني ، أو حديث نبوي .

وسنتناول في هذا الفصل أمهات الأساليب الدعوية ، سواء التي نص عليها القرآن الكريم نصاً صريحاً ، أو التي تفهم من مجموعة نصوصه ، ومن واقع التطبيق الدعوي في السنة النبوية ، وسنقتصر على أربعة منها ، ترجع إليها غيرها ، وسأجعل كل أسلوب في مبحث خاص ، أبين فيه تعريفه ، ومظاهره ، وخصائصه ، وبعض المسائل المتعلقة به ...

قال تعالى مبيناً أمهات الأساليب الأساسية :

﴿ ادْعُ إلى سبيل ربك بالحِكمةِ ،والمَوْعظة الحَسَنة ، وجادِلْهم بالتي هي أَحْسن ، إن ربك هو أعْلَمُ بمن ضَلَّ عن سبَيله ، وهو أعلَمُ بالمهتدين * وإِنْ عاقَبْتُم فعاقِبوا بِمِثْل ما عُوقبتم به ، ولَئِنْ صَبَرْتُم لَهُوَ خيرٌ للصابرين * واصبِرْ وما صَبْرُكَ إلا بالله ولاتَحْزَن عليهم ،ولاتَكُ في ضَيْقٍ مما يَمْكرون * إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم مُحْسِنون ﴾ [1] .

* * *

---

(١) الآيات / ١٢٥ ــ ١٢٨ / من سورة النحل .

المبحث الأول

« أسلوب الحكمة »

تعريفه :

تطلق الحكمة في اللغة على معانٍ عديدة ، منها :

العَدل ، والعلم ، والحلم ، والنبوة ، والقرآن ، والانجيل ، والسنّة وما إلى ذلك من إطلاقات ، كما تطلق على العِلّة : يقال : حكمة التشريع ، وما الحكمة من ذلك ؟ ، وعلى الكلام الذي يقل لفظه ويَجلُّ معناه ، ويقال للرجل حكيمٌ : إذا أحكمته التجارب ، وأحكم الأمر أتقنه ...[1]

وقد عرفها العلماء في الاصطلاح تعريفات كثيرة مأخوذة من المعنى اللغوي ، من ذلك :

الحكمةُ « إصابة الحق بالعلم والعقل » فالحكمة من الله تعالى : معرفةُ الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام ، ومن الإنسان : معرفةُ الموجودات ، وفعل الخيرات ...[2]

ومنها : « الحكمةُ : عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم »[3]

---

(١) انظر « لسان العرب » مادة (حكم)(١٢/١٤٠ ـ ١٤٣) و « المعجم الوسيط » (١/١٨٩) .

(٢) انظر « مفردات القرآن » للراغب ص : (١٢٧) .

(٣) انظر « النهاية في غريب الحديث » (١/٤١٩) .

ومنها : « وضع الأشياء مواضعها » ، ومنها « الإصابة في القول والعمل معاً »[1] .

وفسر ابن كثير « الحكيم » بقوله : « الحكيم في أفعاله وأقواله ، فيضع الأشياء في محالها »[2] .

إلى غير ذلك من تعريفات عديدة .

ومن جملة هذه التعريفات يصبح تعريف أسلوب الحكمة بأنه الأسلوب الذي يضع الشيء موضعه ، فيكون أسلوب الحكمة شاملاً لجميع الأساليب الدعوية من هذا الوجه .

أهميته وفضله :

تظهر أهمية أسلوب الحكمة ويتجلى فضله من عدة أمور ، منها :

١ ـ من معنى الحكمة الذي يجمع الحكمة النظرية والعملية ، ولايسمى الرجل حكيماً إلا باجتماع النوعين معاً [3] .

٢ ـ من اختيار الله عز وجل لنفسه اسم « الحكيم » وتكراره في القرآن الكريم مايقارب ثمانين مرة .

٣ ـ من مَلْء قلب رسول الله ﷺ بالحكمة ، فقد جاء في الحديث الشريف :

« فُرِجَ سقفُ بيتي ـ وأنا بمكة ـ فنزل جبريل ، ففرج صدري ، ثم

---

(١) انظر « البحر المحيط » لأبي حيان (٣٩٣/١) .

(٢) انظر « تفسير ابن كثير » (١٨٤/١) .

(٣) انظر « غرائب القرآن » للنيسابوري (٤١٣/١) و « تفسير الرازي » (٧٣/٤) و (٧ / ٧٢) .

غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطِسْت من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً ، فأفرغه في صدري ، ثم أطبقه »[1] .

٤ ـ من جعل تعليم الحكمة من أبرز أعماله ﷺ ، قال تعالى :

﴿ ويُعَلِّمُهم الكتابَ والحِكْمةَ ﴾ [2].

٥ ـ من أمر الله بالدعوة بها ، قال تعالى :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ... ﴾ [3] .

٦ ـ من جَعْلها أفضل مايعطاه المرء ، قال تعالى :

﴿ يُؤْتي الحِكمةَ من يَشاء ، ومَنْ يُؤتَ الحكمةَ فقد أُوتي خَيْراً كثيراً ﴾ [4] .

٧ ـ مِنْ كونها مما يُتحاسد عليه في الدنيا ، ففي الحديث الشريف : « لا حَسَد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً ، فسلَّطه على هلكته بالحق ، ورجل آتاه الله حكمةً ، فهو يقضي بها ويعلمها »[5] .

إلى غير ذلك من أمور ونصوص تدل على فضل هذا الأسلوب وأهميته .

---

(١) الحديث : متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٣٤٩)(١/٤٥٨ و ٤٥٩) و « صحيح مسلم » (١٦٣) .

(٢) الآية / ١٢٩ / من سورة البقرة و / ١٦٤ / من سورة آل عمران .

(٣) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٤) الآية / ٢٦٩ / من سورة البقرة .

(٥) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٧٣) (١/١٦٥) و « صحيح مسلم » (٢٦٨) .

مظاهره :

تتعدَّدُ مظاهر أسلوب الحكمة وتكثُر نظراً لأن الحكمة السداد في القول والعمل ،

لذا ، سنحاول الوقوف على مظاهر أسلوب الحكمة في الدعوة من عدة جوانب ، وهي :

أ ـ مظاهر الحكمة في جانب المناهج الدعوية .

ب ـ مظاهر الحكمة في جانب الأساليب الدعوية .

جـ ـ مظاهر الحكمة في جانب الوسائل الدعوية .

أ ـ من مظاهر الحكمة في جانب المناهج : من ذلك :

١ ـ ترتيب الأولويات ، وتقديم الأهم على المهم : فلا يُعدُّ المنهج الدعوي منهجاً حكيماً إذا لم يرتب الأولويات في الخطة ، ويقدم الأمر الأهم على الأمر المهم ، كأن يقدم أمور العقائد على غيرها من العبادات والأخلاق ، ويقدم الفروض على المندوبات والنوافل ، والمحرمات على المكروهات ، والمصالح العامة على المصالح الخاصة عند التعارض ، ويقدم الضروريات على الحاجيات والتحسينيات ، ودرء المفاسد على جلب المصالح وهكذا ...[1]

ويدل على هذا الواقع العملي للدعوة الإسلامية في الصدر الأول ، حيث بدأت الدعوة بتأسيس العقائد ، ثم انتقلت إلى بيان الشريعة

---

(١) راجع هذا الموضوع في كتاب « أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة » للدكتور يوسف القرضاوي ، وبحث « الإحكام بين مراحل العمل في دعوة الإسلام » د : يوسف محيي الدين أبو هلالة ، و « مجموع فتاوى ابن تيمية » (٢٠/٤٨ ـ ٦١) ، و « حياة الصحابة » للكاندهلوي (١/١٢٣ ـ ١٢٥) .

والأحكام ... كما يدل عليه حديث معاذ رضي الله عنه ، وكيف علمه الرسول ﷺ أن يبدأ بالإيمان ثم بالصلاة ، ثم بالزكاة وهكذا...[1]

٢ ـ التدرج في تطبيق الأولويات ، ولاسيما في معالجة الأشخاص والأوضاع العامة ، وذلك كما كان حال القرآن الكريم في تنزله ، وكما أخبرت عنه عائشة رضي الله عنها ، وكما فعل الخليفة عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه في إصلاح الأوضاع العامة في زمنه [2] .

٣ ـ مناسبة المنهج للأحوال والأعمار والمستويات : فلا يُعدُّ المنهج حكيماً إذا ساوى بين حالة الضعف وحالة القوة ، أو بين حالة السلم أو الحرب ، أو حالة عموم البلوى بالشيء وغيرها ، كما لايعد حكيماً إذا لم يفرق بين الكبير والصغير ، والمرأة والرجل ، ولا بين العالم والجاهل ، والعدو والصديق ، والحاكم والمحكوم ... وما إلى ذلك من أحوال ومستويات تقتضي التفريق ...

ففي الحديث الشريف :

« ياعائشة لولا قومك حديثٌ عهدهم ـ قال ابن الزبير ـ بِكُفْر ، لنقضتُ الكعبة فجعلتُ لها بابين : باب يدخل الناس ، وباب يخرجون » [3].

---

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (١٤٥٨) (٣٢٢) و « صحيح مسلم » (١٩) .

(٢) سبق ذكره في بحث « خصيصة التدرج » في الخصائص العامة للمناهج الدعوية ، وانظر بحث « التدرج بين التشريع والدعوة » للدكتور يوسف محيي الدين أبو هلالة .

(٣) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (١٢٦ و ١٥٨٣ و ١٥٨٤ و ١٥٨٥) (٢٢٤/١) ، و « صحيح مسلم بشرح النووي » (٨٨/٩) .

وقد خَصَّ الإمام البخاري في صحيحه باباً لهذا الحديث وأمثاله ، وترجم له بقوله :

« باب مَنْ تَرَكَ بعض الاختيار مخافةَ أن يقصُر فهمُ بعض الناس عنه ، فيقعوا في أشدَّ منه »[1] .

وجاء في الحديث أيضاً :

« أنزلوا الناس منازلهم »[2] .

إلى غير ذلك من مظاهر لاتخفى على الداعية الحكيم[3] .

ب ـ من مظاهر الحكمة في جانب الأساليب : من ذلك :

١ ـ اختيار المنهج المناسب لتطبيقه في الموقف المناسب والحالة المناسبة ، فقد يصلح لحالة من الأحوال ، أو لمعالجة موقف من المواقف منهج لايصلح غيره ، فلابد من اختيار المنهج العاطفي للموقف العاطفي ، والمنهج العقلي للموقف الجدلي ، والمنهج الحسي للموقف التجريبي وهكذا .

ومن هنا استخدم ﷺ كلاً من المنهج العاطفي والمنهج العقلي معاً مع الشاب الذي جاء يستأذنه بالزنا ، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه ، قال : إن فتىً شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : مَهْ مَهْ ،

---

(١) « صحيح البخاري مع الفتح » (٢٢٤/١) ، وانظر عدة أحاديث تدل على هذه الحكمة ساقها الإمام البخاري تحت هذه الترجمة .

(٢) سبق تخريجه في بحث « آداب الداعية » ص / ١٦٦ / .

(٣) راجع كتاب « دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجاً وأسلوباً » للدكتور عبد الله الرحيلي ، نشر دار القلم .

فقال : « ادنه » فدنا منه قريباً فجلس ، قال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال : أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يارسول الله جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال : أفتحبه لأختك : قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم . قال : أفتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال : أفتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم ، قال : فوضع يده عليه ، وقال : « اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحَصِّنْ فرجه » فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء »[1] .

فقوله ﷺ للشاب « ادنه » وتقريبه منه ، ووضع يده عليه ، ودعاؤه له كل ذلك من أساليب المنهج العاطفي الذي يحرك الشعور والوجدان ، ويأسر القلوب ، ومناقشته ﷺ للشاب باستخدام القياس المساوي ، ومجادلته له بالحسنى ... من أساليب المنهج العقلي . فاستخدام هذين المنهجين معاً في هذا الموقف مظهرٌ من مظاهر حكمته البالغة ﷺ في الأساليب .

ذلك لأن مجيء الشاب المسلم إلى رسول الله ﷺ مستئذناً بالزنا ، يدل على أنه شاب ضعيف ، اختل توازنه ، واضطربت شخصيته ، ودفعته غريزته إلى الزنا ، فكان إيمانه حاجزاً له ، ودافعاً له على الاستئذان بالزنا ، والاستئذان بالزنا دليلٌ ناطق بالحالة المَرَضِيَة فيه من جهة ، وبجانب الخير في الشاب من جهة أخرى ، وإلا لذهب وزَنَى كما يزني

(١) « مسند أحمد » (٥/٢٥٦ و ٢٥٧) وسبق تخريجه في أساليب المنهج العقلي ص / ٢٠٩ / .

غيره ، فاقتضى هذا التشخيص الدقيق منه ﷺ لحالته النفسية استيعابه كل الاستيعاب ، واستخدام كلا المنهجين معه ، حتى أنقذه مما هو فيه ، وأعاده إلى التوازن والصواب .

٢ ـ اختيار الشكل المناسب من أشكال أساليب المنهج المختار ، فإن أشكال الأساليب الدعوية للمنهج الواحد متعددة ، والحكمة تقتضي اختيار الشكل المناسب لكل موقف ، فما يُقال في الأفراح يختلف عما يقال في الأتراح ، وما يقال في الشدة غير ما يقال في الرخاء ، وللترغيب موطن يغاير موطن الترهيب ، فمن غلب عليه الخوف مثلاً يستخدم معه أسلوب الترغيب والرجاء ، ومن غلب عليه الرجاء والأمل ، يستخدم معه أسلوب الترهيب والتحذير ... وهكذا .

ومن هنا : اختلف أسلوب رسول الله ﷺ مع الأعرابي الذي جاء مسترخصاً سائلاً عن الواجبات والفرائض ثم قال : « والله لا أزيد على هذا ولا أنقص »(١) عن موقفه مع فقراء المسلمين الذين جاءوا يستزيدون من الخير فقالوا : « ذهب أهل الدثور بالأجور ... »(٢) .

كما اختلف أسلوبه ﷺ في الجهر بالدعوة عن أسلوبه حال الاختفاء في دار الأرقم ابن أبي الأرقم ، وموقفه في غزواته عن موقفه يوم صلح الحديبية ،

---

(١) رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٤٣) و « الفتح » (١٠٦/١) .
(٢) الحديث : رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » رقم (١٠٠٦) .

وانظر أسلوب معالجته ﷺ للغيرة بين نسائه [١] ، وماإلى ذلك من أساليب متنوعة [٢] .

٣ ـ اعتماد مراتب الاحتساب ، وهي : التعريف ، ثم الوعظ ، ثم التعنيف ، ثم استعمال اليد ، ثم التهديد ، ثم الضرب ...[٣]

قال تعالى :

﴿ واللاَّتي تَخافون نُشوزَهُنَّ ، فَعِظوهُنَّ ، واهجروهُنَّ في المضاجع واضْرِبوهُنَّ ... ﴾[٤] ، وجاء في الحديث الشريف :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[٥] .

فقد أشارت الآية الكريمة إلى مراتب الاحتساب وتغيير المنكر ، كما صرح الحديث الشريف بدرجات تغييره ، فبدأ بأقوى درجات التغيير له ثم بالأدنى فالأدنى ، فلا تعارض بين ملاحظة درجات التغيير ، وبين اعتماد مراتبه مرتبةً مرتبة ، فعلى الداعية والمحتسب عند قيامه بدرجة من درجات التغيير أن يلاحظ ترتيب المراتب ، وإنَّ تجاوز هذه المراتب

---

(١) الحديث في صحيح البخاري انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٢٤٨١) و (٥٢٢٥) ، و « الفتح » (١٢٤/٥) و (٣٢٠/٩) .

(٢) انظر أسلوبه ﷺ في التعامل مع خبر نقض بني قريظة للعهد يوم الأحزاب في « سيرة ابن هشام » (٣٢/٣) .

(٣) انظر « فقه الدعوة في إنكار المنكر » لعبد الحميد البلالي ص (٦٧ ـ ٧٤) ، وراجع « إحياء علوم الدين » للغزالي (١٢٢٦/٧ ـ ١٢٣٣) طبعة كتاب الشعب ، و « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » للشَيْزري ص : ٩ .

(٤) الآية / ٣٤ / من سورة النساء .

(٥) رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » رقم (٤٩) .

يُعدّ خروجاً عن الحكمة في الدعوة والاحتساب [1] ، انظر أسلوب معاذ ابن عمرو بن الجموح رضي الله عنه في دعوة أبيه ، واحتسابه عليه ، وأسلوب ابن رواحة في دعوة أبي الدرداء إلى الإسلام رضي الله عنهم جميعاً [2] .

٤ ـ البحث عن الدوافع والأسباب لملاحظتها في اختيار أسلوب المعالجة :

فإن أسلوب معالجة الجاهل يختلف عن أسلوب معالجة العدو ، وأسلوب معالجة الضعيف المقصر يختلف عن أسلوب معالجة المعاند المتعصب ، وهكذا ...

وهذا الاختلاف يقتضي تشخيص الداعية لكل حالة على حدة ، ولابد في هذه الحال من مراعاة مايلي :

أ ـ الأصل في تشخيص الدافع حُسْنُ الظن بالمسلم ، والحذر من العدو .

ب ـ يخفي الداعية التشخيص في نفسه ، ويخطط للمعالجة على ضوئه ، ولا يواجه صاحبه به ، لأن المواجهة به لاتخلو من سلبية سواء أكان التشخيص الذي وصل إليه صواباً أم خَطأ .

جـ ـ اختيار الأسلوب المناسب للتشخيص الذي وصل إليه .

٥ ـ مراعاة اختلاف الظروف والأحوال الدعوية الفردية والجماعية : فإن الأساليب الدعوية تختلف من ظرف إلى ظرف ومن حال إلى حال ، فأسلوب العمل الدعوي مثلاً في دولة مسلمة أو « مُسالِمَةٍ » يختلف عن أسلوب العمل الدعوي في دولة غير مسلمة أو محاربة ،

---

(١) راجع كتاب « الحسبة في الإسلام » لابن تيمية ، ففيه فوائد عديدة في هذا المجال .

(٢) راجع « حياة الصحابة » (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٣) .

فإن من الحكمة في الدولة المسلمة والمسالمة أن يُعمل فيها من خلال المؤسسات الرسمية القائمة فيها ، والمؤسسات الشعبية التي تقرها وتعترف بها ، ولايحسن العمل فيها من خلال المؤسسات الأخرى والتنظيمات السريّة . التي قد يصلح العمل من خلالها في الدول غير الإسلامية ، أو الدول المحاربة للدعوة الإسلامية .

وذلك : لأن من واجب الدعاة تجاه الدولة المسلمة القائمة : المحافظة عليها ، والعمل على إصلاحها وتقويتها مهما كانت ضعيفة ، أو ظالمة أو فاسقة ... أما واجبهم في حال عدم وجودها : فهو العمل على إيجادها .

والعمل السرّي في الدولة المسلمة مهما كان صالحاً ، تزيد سلبياته على إيجابياته ، وقد يجر الدعاة إلى مواقف محرجة هم في غنىً عنها ، ويوقع الأفراد العاملين في ازدواجية السمع والطاعة نحو قياداتهم ، وتُفْهَمُ دعوتهم على أنها معارضة ومقاومة للدولة المسلمة ، وليست لها ولا من أجلها ... فتعمل الدولة المسلمة نفسها على تحجيمها ومحاربتها ، بدلاً من دعمها وتقويتها ...

وقد أخطأ الحكمة كثيرٌ من الدعاة في هذا الجانب ، فصوروا الدعوة الإسلامية بالصورة المعادية للدول القائمة مهما كان شأنها دون تفريق بين دولة وأخرى ، فكثروا بذلك من أعدائهم ، وقلّلوا من أصدقائهم ، واختاروا العيش بدعوتهم في الظلام ، مما نَفَّر منها ، وقلّل من آثارها في حياة الناس ...

ومما يَجْدُر التنبهُ إليه في هذا المقام : أنَّ الحكمَ على الدولة بكفر أو إسلام ، وبِظُلمٍ أو فِسْق ، وبِحَرْبٍ أو مسالمةٍ ، وتحديدَ الموقف منها ،

وتَبَنّي الأسلوب المناسب مَعَها ، لايُترك للأفراد والجماعات كلٌ يَحْكُمُ بحسب اجتهاداته ومرئيّاته ،فتختلفُ اجتهاداتُهم ، وتتعارَضُ أساليبهم ... بَلْ يُرْجَعُ فيه إلى أهل الحَلِّ والعقد في الأمة مجتمعين ، فَهمُ وَحْدَهم الذين يَقْدرون للأمر قَدْره ، ويُبيِّنون للوضع حُكْمَه ، مُنْطلقين في ذلك من القواعد الشرعية المنضبطة ، والموازنات الدعوية الدقيقة ، فَيرْتَفعُ بحكمهم الخلاف ، وتُؤمَنُ به الاضطراباتُ والفوضى في الأمور العامة ، وتُؤتي الدعوة ثِمارَها بإذن الله .

جـ ـ من مظاهر الحكمة في جانب الوسائل الدعوية :

١ ـ في الوسائل المعنوية : وهي « الأخلاق الكريمة ، والصفات الحميدة » :

أ ـ اهتمام الداعية بها ، وحرصه عليها ، ومجاهدة نفسه فيها .

ب ـ اختيار الخلق المناسب للموقف المناسب ، وذلك بحسب الأحوال والمواقف ، فمن رفق ولين إلى شدة وعنف ، ومن عَفْوٍ وصفح إلى قوة وبطش ، فقد وصف الله عز وجل عباده المؤمنين بقوله :

﴿ أَشِدَّاءُ على الكفار ، رُحَمَاء بَيْنهم ... ﴾ (١) وقوله :

﴿ أذِلَّةٍ على المؤمنين ، أعِزَّةٍ على الكافرين ... ﴾ (٢) ، فليس من الحكمة في شيء وضع الشدة موضع اللين أو العكس .

٢ ـ في الوسائل المادية :

أ ـ استعمال الداعية كل وسيلة مباحة مُتَيسِّرة متوفرة في عصره أياً كان مصدرها وصانعها ، وذلك شكراً لله على توفيرها له ، ومبالغة في القيام بدعوته ووظيفته .

---

(١) الآية / ٢٩ / من سورة الفتح .

(٢) الآية / ٥٤ / من سورة المائدة .

ب ـ اجتناب كل وسيلة محرمة أو مكروهة : لأن للوسائل حكم الغايات ، والغاية لاتبرر الوسيلة في الدعوة الإسلامية .

جـ ـ تجريد الوسيلة المَشُوبَه وهي :(التي اختلط فيها الحلال بالحرام) عما شابها ، واستعمالها بعد تجريدها ـ كما فعل ﷺ في وسيلة « النذير العريان » وسيأتي معنا تفصيل ذلك في فصل (الوسائل الدعوية) إن شاء الله .

د ـ التوسُّعُ والترخُّص باستعمال الوسيلة « المُخْتَلَفِ في حُكْمِها » في حالة الضرورة أو الحاجة الملحة ، والمصلحة الدعوية العامة ، والتورع عن استخدامها في غير ذلك من أحوال ، وسيأتي تفصيل ذلك أيضاً في بحث الوسائل .

هـ ـ الترقّي بالوسيلة الدعوية لتكون مكافئةً للدعوة ، ومتفوقة على وسائل العدو ، قال تعالى :

﴿ وأَعِدّوا لهم مااسْتَطَعْتُم من قُوَّةٍ ، ومِنْ رِبَاط الخَيْل تُرْهِبُون به عَدُوَّ الله وعَدُوكم ... ﴾ [1] ، وإرهاب العدو يكون بوسيلة مكافئة للمهمة ، متفوقة على ما عند العدو .

من خصائص أسلوب الحكمة :

١ ـ إمكان تعلمه واكتسابه ، لأن الحكمة خلق حَسَنٌ وصفة كريمة يمكن اكتسابها كأي صفة من الصفات وخلق من الأخلاق ، قال تعالى :

﴿ ويُعَلِّمُهم الكتابَ والحِكْمة ﴾ [2] وفي الحديث :

---

(١) الآية / ٦٠ / من سورة الأنفال .

(٢) الآيات / ١٢٩ و ١٥١ / من سورة البقرة و / ١٦٤ / من آل عمران .

« يقضي بها ويعلمها »[1] ،

ومن أساليب تعلمها واكتسابها :

أ ـ قراءة القرآن والسنة النبوية ، والسيرة الكريمة قراءة تدبر وتفكر وتأسّي .

ب ـ صحبة الحكماء والاقتباس منهم ومن سيرتهم .

جـ ـ العمل بها وتطبيقها في مجالات الدعوة ، ومجاهدة النفس عليها .

د ـ الاستفادة من التجارب الدعوية الشخصية وغيرها . وما إلى ذلك .

٢ ـ عظيم آثاره في الدعوة ، فالداعية الحكيم يصل إلى مالا يصل إليه غيره ، من ذلك :

أ ـ الوصول إلى الأهداف من أقرب طريق ، وبأكثر النتائج ، وأقل الخسائر ...

ب ـ تقريب القلوب من الدعوة والدعاة ، وإزالة الشحناء والبغضاء ..

قال تعالى :

﴿ ادفَعْ بالتي هي أحْسَن ، فإذا الذي بينَك وبينَهُ عداوةٌ ، كَأنَّهُ وليٌّ حَميم ۞ ومايُلَقَّاها إلا الذين صَبَروا ، ومايُلَقَّاها إلا ذو حَظٍّ عظيم ﴾[2]. وما إلى ذلك من آثار طيبة[3] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص / ٢٤٦ / .

(٢) الآيات / ٣٤ ـ ٣٥ / من سورة فصلت .

(٣) راجع كتاب « الحكمة وأثرها في الدعوة إلى الله » بحث مكمل لدرجة الماجستير في قسم الدعوة في المعهد للباحث (علي أحمد مشاعل) ، وكتاب « رؤى على طريق الدعوة » للدكتور عبد القادر طاش ، و « هكذا علمتني الحياة » للسباعي ، و مذكرات الدعاة بوجه عام .

المبحث الثاني

« أسلوب الموعظة الحسنة »

تعريفه :

الموعظة في اللغة : مشتقة من : وعَظَه يعظِه وعْظاً ، وعِظةً : نصحه وذكرَّه بالعواقب ، وأمره بالطاعة ووصاه بها ...[1]

والحسنة : مقابل السيئة ، فالموعظة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة ، وذلك بحسب مايعظ به الإنسان ويأمر به ، وبحسب أسلوب الواعظ .

ومن هنا جاء الأمر بها مقيَّداً في القرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿ ادْعُ إلى سَبيل ربك بالحِكْمة ، والمَوْعظة الحَسَنة ... ﴾ [2] ، فإذا أطلقت الموعظة في مقام الأمر بها ، انصرفت إلى الحسنة ، قال تعالى :

﴿ فَعِظوهُنَّ ، واهْجروهُنَّ في المضَاجِعِ واضرِبوهُنّ ... ﴾ [3] .

والموعظة الحسنة في الاصطلاح الدعوي ، ترادف النصيحة ، ولها أشكال عديدة ، فمن أشكالها :

---

(١) انظر « لسان العرب » مادة (وَعَظ)(٤٦٦/٧) و « المعجم الوسيط » (١٠٥٥/٢) .

(٢) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٣) الآية / ٣٤ / من سورة النساء .

١ ـ القول الصريح اللطيف اللين ، قال تعالى : ﴿ وقولوا للناس حُسْناً ﴾ [1] .

٢ ـ الإشارة اللطيفة المفهومة .

٣ ـ التعريض ، والكناية المؤدّية ، والتَّوْرية .

٤ ـ القِصَّةُ ، والخطابة المؤثرة ، والفكاهة ...

٥ ـ التذكير بالنعم المستوجبة للشكر .

٦ ـ المَدْحُ والذم .

٧ ـ الترغيب والترهيب .

٨ ـ الوعد بالنصر والتمكين .

٩ ـ التحمُّل والصبر ...

وما إلى ذلك من أساليب مباشرة وغير مباشرة تؤثر بالمدعوين ، وتدفعهم إلى الطاعة والاستجابة ...[2]

وفي القرآن الكريم ، والسنة النبوية أمثلة كثيرة لجميع هذه الأشكال ، لاتخفى على المستدل .

أهميته وفضله :

تظهر أهمية أسلوب الموعظة الحسنة من أمور عديدة ، منها :

---

(١) الآية / ٨٣ / من سورة البقرة .

(٢) راجع بحث : « الدروس الدعوية في السنن الفعلية في صحيح الإمام مسلم » الذي تقدمه الباحث : مرزوق بن سليم اليوبي ، بإشرافي لنيل درجة الماجستير من قسم الدعوة والاحتساب في المعهد العالي عام ١٤١١ هـ ، من ص : (٣٣ ـ ٤١) .

١ ـ أمر الله الصريح باستعماله ، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إلى سبيل ربك بالحِكْمة والمَوْعظة الحَسَنة ... ﴾ [١] وقال : ﴿ فقولا له قولاً لَيِّناً لعَلَّه يتذكَّرُ أو يَخْشى ﴾ [٢] وقال : ﴿ وقولوا للناس حُسناً ﴾ [٣] وقال : ﴿ وعِظْهم وقُلْ لهم في أنْفُسِهم قولاً بَليغاً ﴾ [٤] .

٢ ـ جَعْلُ رسول الله ﷺ (النصيحة) أساس الدين ، فقال :
« الدين النصيحة » [٥] والنصيحة مرادفة للموعظة الحسنة كما سبق .

٣ ـ مبايَعةُ الرسول ﷺ الصحابة عليها ، ففي الحديث :
« بايعت رسولَ الله ﷺ على إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم » [٦] .

٤ ـ استخدام جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها ، فقد أخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال :
﴿ ... وأَنْصَحُ لكم ... ﴾ [٧] ، وعن هود عليه السلام قوله :

---

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .
(٢) الآية / ٤٤ / من سورة طه .
(٣) الآية / ٨٣ / من سورة البقرة .
(٤) الآية / ٦٣ / من سورة النساء .
(٥) الحديث رواه مسلم وغيره ، وسبق تخريجه .
(٦) الحديث : متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٧٢٠٤) و (٥٧ و ٥٨) (١٣٧/١ و ١٣٩)(١٩٣/١٣) ، و « صحيح مسلم » (٥٦) .
(٧) الآية / ٦٢ / من سورة الأعراف .

﴿ وأنَا لكم ناصِحٌ أمين ﴾ [1] .

وما إلى ذلك ...

من خصائص أسلوب الموعظة الحسنة :

لأسلوب الموعظة الحسنة خصائص ومزايا كثيرة ، منها :

١ ـ لُطفُ عباراته وألفاظه ، ومناسبتها للمقام ، فلابد للموعظة الحسنة من عبارة لطيفة مناسبة .

٢ ـ تنوع أشكاله وكثرتها ، فيتمكن الداعية من اختيار الشكل الأنسب لكل حال وموقف .

٣ ـ عِظَمُ آثاره في نفوس المدعويين ، ويظهر هذا فيما يلي :

أ ـ قبول الموعظة ، وسرعة الاستجابة إليها غالباً .

ب ـ غرس المحبة والمودة في قلوب المدعويين .

جـ ـ محاصرة المنكرات والقضاء على انتشارها ، بحيث يخجل الناس ـ إذا لم يستجيبوا ـ ممن يعظهم موعظة حسنة ، فلا يجاهرون بمنكراتهم على الأقل .

وما إلى ذلك من آثار لاتخفى على الداعية ، ومن أمثلة ذلك :

١ ـ استخدامه ﷺ لهذا الأسلوب مع الأعرابي الذي بال في المسجد ، ففي الحديث الشريف :

« عن أنس رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ ، إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب

---

(١) الآية / ٦٨ / من سورة الأعراف .

رسول الله ﷺ : مَهْ ، قال ﷺ : لا تَزْرِموه ، دَعُوه ، فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاهَ فقال له : إن هذه المساجد لاتصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن ، أو كما قال رسول الله ﷺ ، قال : فأمر رجلاً من القوم فجاء بَدَلْو من ماء فشنَّه عليه »[1] .

٢ ـ موقفه ﷺ يومَ حُنَيْن ، حين قسم الغنائم فَوَجَدَ الأنصار في أنفسهم شيئاً، فقامَ فيهم خطيباً ، وذكرَهم بنعمة الله عليهم ، ووعظهم موعظة حسنة ... »[2] .

* * *

---

(١) الحديث : متفق عليه : انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٢٢١ و ٦١٢٨) (١/٣٢٤) و (١٠/٥٢٥) ، و « صحيح مسلم بشرح النووي » (٣/١٩٦) .

(٢) الحديث : متفق عليه : انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٣٧٧٩ و ٤٣٣٠ و ٧٠٥٢ و ٧٢٤٤ و ٧٢٤٥) و « فتح الباري » (٧/١١٢) و (٨/٤٧) و (١٣/٥ و ٢٢٥) ، و « صحيح مسلم بشرح النووي » (٧/١٦٣) .

المبحث الثالث

« أسلوب المجادلة »

تعريفه :

يُقال في اللغة : جادَلَهُ مجادلة وجدالاً : ناقَشَهُ وخاصمه ، والجَدَل : اللَّدَدُ في الخصومة والقدرةُ عليها ، وهو شدة الخصومة ، وفي الحديث : ما أوتي الجَدَل قومٌ إلا ضَلّوا ؛ والجَدَل : مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة ...[1]

والجَدَلُ في الاصلاح ، عرفه العلماء تعريفات متشابهة ، منها قولهم :

« عبارة عن دَفْع المرء خَصْمَهُ عن فساد قوله بحجة أو شبهة »[2] .

ومنها :

« مِراءٌ يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها »[3] ، ومنها :

« مقابَلةُ الأدلة لظهور أرجحها »[4] .

وقد تكون المجادلة بالحسنى ، وقد تكون بالباطل ، قال تعالى : ﴿ وجَادِلْهم بالتي هي أحسن ﴾ [5]، وقال : ﴿ وجَادَلوا بالباطل

---

(١) انظر « لسان العرب » مادة (جَدَل)(١١/١٠٥) و (المعجم الوسيط)(١/١١١) .

(٢) انظر « الكليات » لأبي البقاء ص : (١٤٥) .

(٣) انظر « التعريفات » للجرجاني ص : (٦٦) .

(٤) انظر « المصباح المنير » ص : (١٢٨) .

(٥) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

لِيُدْحِضُوا به الحقَّ ... ﴾ (١).

ومن هنا قسم العلماء الجدل إلى ممدوح ومذموم ، وذلك بحسب الغاية منه ، وبحسب أسلوبه ، وبحسب مايؤدي إليه ،

فالجدل الذي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته ، ويكون بأسلوب صحيح مناسب ، ويؤدي إلى خير ، فهو « الجدل الممدوح »

والجدل الذي لايهدف إلى ذلك ولم يسلم أسلوبه ، ولايؤدي إلى خير ، فهو « الجدل المذموم » (٢) .

ولذا ، جاء الأمر به في القرآن مقيداً بالتي هي أحسن (٣)، وكانت المجادلة بالحسنى أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله ، نَصَّ عليه القرآن الكريم وأمر به ، ويُعدُّ من أبرز أساليب المنهج العقلي ـ كما سبق ـ ويمكن أن يُعبَّر عنه (بالمناقشة ، والمناظرة ، والمحاورة ، وما إلى ذلك من مصطلحات متعددة تتفق في كثير من المواطن في دلالاتها .

ويرى بعض العلماء أن (الجدل) لايُعدُّ أسلوباً دعوياً أصلياً ، وإنما قد يحتاج إليه ، فيكون من باب « دَفْع الصائل »(٤)، وذلك نظراً لأصل معناه وحقيقته ، واستئناساً بأسلوب الآية الآمرة بالجدل ، حيث عَطَفَ الله عز وجل المجادلة على الدعوة ، ولم يعطفها على الموعظة الحسنة ، فقال سبحانه :

---

(١) الآية / ٥ / من سورة غافر .

(٢) انظر « الفقيه والمتفقه » (٢٣٣/١ ـ ٢٣٥) .

(٣) انظر الآيات / ١٢٥ / النحل ، و / ٤٦ / العنكبوت .

(٤) قف على رأي الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في هذا ، في كتابه « الرد على المنطقيين » ص (٦٤٧ ـ ٦٤٨) ، و « مجموع فتاوى ابن تيمية » (٤٥/٢) .

﴿ ادعُ إلى سَبيل ربك بالحِكْمةِ والمَوْعظة الحَسَنة ، وجادِلْهم بالتي هِي أَحْسَن ﴾ (١) .

ولايترتب على هذا الخلاف في نظري أثر عملي ، فمن حكمة الداعية أن يستخدم كل أسلوب في موضعه المناسب له ، فلا يستخدم أسلوب الجدل إلا مع المجادل الذي ينفع معه الجدل ، أما من يستجيب للموعظة الحسنة ، فلا سبيل إلى مجادلته أصلاً ، وكم من جَدَلٍ يخلو من المخاصمة ، ولايمكن اعتباره من باب دفع الصائل ، والله أعلم ! !

أهميته :

تظهر أهمية أسلوب الجدل في الدعوة إلى الله من عدة أمور ، منها :

١ ـ (الجَدَل) أمْرٌ فِطْرِيّ ، جُبِل عليه الإنسان ، يصدر من الصالح والطالح ، والكبير والصغير ، والرجل والمرأة ، قال تعالى :

﴿ وكانَ الإِنْسانُ أكثَرَ شيءٍ جَدَلاً ﴾ (٢) . وقال عن المؤمنين معاتباً :

﴿ يُجادِلونَكَ في الحقِّ بَعْدَ ما تبيَّن ... ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ قد سَمِعَ اللهُ قَوْلَ التي تُجادِلُك في زوجها ... ﴾ (٤) .

والأمور الفطرية لابد للداعية من ملاحظتها ومراعاتها في دعوته .

---

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ٥٤ / من سورة الكهف .

(٣) الآية / ٦ / من سورة الأنفال .

(٤) الآية / ١ / من سورة المجادلة .

٢ ـ أَمْرُ الله باستخدامه ، فقال تعالى :

﴿ وجادِلهم بالتي هي أحْسن ﴾ [١] وقال : ﴿ ولاتُجادِلوا أهلَ الكتاب إلا بالتي هي أحَسن ... ﴾ [٢].

٣ ـ استخدام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للجدل في دعوتهم ، قال تعالى :

﴿ قالوا : يانوحُ قَدْ جَادَلْتَنا فأَكْثَرْتَ جِدالنا ... ﴾ [٣]، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربّه ... ﴾ [٤] ، وقال : ﴿ حتى إذا جاؤوك يُجادِلونَك ... ﴾ [٥] .

٤ ـ اهتمام الدعاة به من زمن الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا ، وما نقل عن بعض السلف من ذم الجدل ، فهو محمول على الجدال المذموم ، أو الجدال في القرآن الكريم وآياته البينات [٦] .

من آداب الجدل والمناظرة :

لأسلوب الجدل آداب عديدة منها مايتعلق بدوافعه وأسبابه ، ومنها مايتعلق بأسلوبه وكيفيته ، ومنها مايتعلق بآثاره ونتائجه .

---

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ٤٦ / من سورة العنكبوت .

(٣) الآية / ٣٢ / من سورة هود عليه السلام .

(٤) الآية / ٢٥٨ / من سورة البقرة .

(٥) الآية / ٢٥ / من سورة الأنعام .

(٦) راجع في هذا « الفقيه والمتفقه » (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٥) ، و « جامع بيان العلم وفضله » (٢/ ٩٢ ـ ١٠٨) .

وقد تعددت أساليب العلماء في ذكر هذه الآداب والتنبيه إليها ، فمنهم من يجمل ومنهم من يفصل ، وجميع الآداب التي ذكرها العلماء تتضافر على تحقيق ثلاثة أمور أساسية ، وهي :

أ ـ تصحيح الهدف والغاية من الجدال .

ب ـ تصحيح الأسلوب والشكل .

جـ ـ تصحيح النتيجة ، وسلامة الآثر .

وقد أوصلها الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ إلى مايقارب ثلاثين أدباً [1] ، وأفردها بعض الكاتبين في رسائل خاصة [2] .

من خصائص أسلوب الجدل :

لأسلوب الجدل خصائص ومزايا عديدة ، منها :

١ ـ اعتماده على العلم والمعرفة ، فلا يصح الجدال من غير علم ، وقد أنكر القرآن على الذين يجادلون بغير علم ، فقال :

﴿ ياأهلَ الكتابِ لِمَ تُحاجُّون في إبراهيمَ ، وماأُنْزِلَتِ التوراة والإنجيلُ إلا مِنْ بَعْده ، أَفَلا تَعْقلون ! * هاأنتم هؤلاء

---

(١) انظر « الفقيه والمتفقه »(٢٥/٢ ـ ٣٨) ، و « إحياء علوم الدين » (٤٢/١ ـ ٤٥) و (١١٦ و ١١٨) .

(٢) انظر رسالة « الآداب في علم أدب البحث والمناظرة » للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، و « آداب البحث والمناظرة » للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، ورسالة « في أصول الحوار » صادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، و « قواعد في أصول الحوار ورد الشبهات » للدكتور عبد الله الرحيلي .

حاجَجْتُم فيما لكم به عِلم ، فَلِمَ تُحاجّون فيما لَيْس لكم به عِلم ... ! ﴾ [1].

٢ ـ إقامة الحجة على الخصم وإفحامه : فالأصل في أسلوب الجدل أن يقيم الحجة واضحة ، ولايترك للمجادل حجة يتمسك بها ، أو شبهة يستدل بها على باطله ، قال تعالى :

﴿ ألَم تَرَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّه أَنْ آتاهُ الله المُلْكَ ، إذ قال إبراهيم ربِّي الذي يُحيي ويُميت ، قال أنا أُحْيي وأُميت ، قال إبراهيم : فإن الله يَأْتي بالشمس من المشرق فَأْتِ بها من المغرب ، فَبُهِتَ الذي كفر ، والله لايهدي القوم الظالمين ﴾ [2] .

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

« فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم ، لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان ، ولا حصل بكلامه شفاء الصدرور وطمأنينة النفوس ، ولا أفاد كلامه العلم واليقين ... » [3] .

٣ ـ تنوع بواعثه ودوافعه تنوعاً كبيراً ، فمنها :

أ ـ بواعث نفسية : كالقناعة الشديدة بفكرة ما ، أو التعجب

---

(١) الآيات / ٦٥ ـ ٦٦ / من سورة آل عمران .

(٢) الآية / ٢٥٨ / من سورة البقرة .

(٣) « درء تعارض العقل والنقل » (٣٥٧/١) .

والاستغراب من أمر ما ـ كما حدث من جدال الملائكة لله عز وجل في خلق آدم وجعله خليفة [1]، وتعجب المشركين من الدعوة إلى التوحيد ...[2] إلى غير ذلك من بواعث نفسية : كالكبر والاستعلاء والحسد ، ـ كما حدث لإبليس[3] ـ أو الاستهزاء والسخرية بالحق وأهله [4] ، أو الخوف من الشيء وكراهيته ، ـ كما حدث لبعض المؤمنين يوم بدر [5] ـ أو الرغبة في تشويه الحقائق ...[6] وما إلى ذلك .

ب ـ بواعث علمية : كالاستفادة والسؤال عما يُجْهل ، ومناقشة الأدلة والترجيح بينها ، أو دفع الشبهات المثارة حول موضوع من الموضوعات ...

جـ ـ بواعث اجتماعية : كالتحمس والتعصب لقول أو رأي أو مذهب ، أو للتمسك بما كان عليه الآباء والأجداد ... وما إلى ذلك ...

وهذا التنوع في البواعث يجعل من مهمة الداعية التعرف عليها ، ليعلم كيف يتعامل مع أصحابها ـ وقد سبق أن أشرنا إلى هذا في مظاهر الحكمة في الأساليب الدعوية ، وإن القرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بنماذج عديدة للجدل سواء منها جَدَلُ المؤمنين فيما بينهم ، أو

---

(١) انظر الآيات / ٣٠ ـ ٣٣ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ٥ / من سورة ص .

(٣) انظر الآيات / ٥٦ / من سورة غافر ، و / ٧١ ـ ٧٦ / من سورة ص .

(٤) انظر الآيات / ٦٤ ـ ٦٥ / من سورة التوبة .

(٥) الآيات / ٥ ـ ٦ / من سورة الأنفال .

(٦) الآيات / ٥ / غافر ، و (٥٦ / الكهف .

جدل الكافرين مع المؤمنين ، يمكن للداعية الوقوف عليها وأخذ الدروس والعبر منها ...[1]

* * *

(١) راجع في ذلك كتاب « استخراج الجدل في القرآن الكريم » لابن الحنبلي ، تحقيق الدكتور : زاهر عواض الألمعي ، وكتاب « مناهج الجدل في القرآن الكريم » للدكتور : زاهر عواض الألمعي .

المبحث الرابع

« أسلوب القدوة الحسنة »

تعريفه :

القُدوة والقِدوة في اللغة : الأسوة ، يقال : فلان قدوة يُقتدى به . والقِدَةُ : المثال الذي يتشبه به غيره ، فيعمل مثل مايعمل [1] .

وقُيدت القدوة هنا (بالحسنة) لتخرج القدوة السيئة ، فقد يكون الشخص أسوة حسنة أو أسوة سيئة ، وقد جاء في الحديث الشريف :

« مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنةً حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن يَنْقُصَ من أجورهم شيء ، ومن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن يَنْقُصَ من أوزارهم شيء »[2] .

والقدوة الحسنة في الإسلام تنقسم إلى قسمين :

أ ـ قدوة حسنة مطلقة : أي معصومة عن الخطأ والزلل ، كما هي في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى :

﴿ لقَدْ كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حَسَنة ... ﴾ [3] وقال :

﴿ قَدْ كانت لكم أُسْوةٌ حَسَنةٌ في إبراهيمَ والذين معه ...

---

(١) انظر « لسان العرب » مادة (قدو)(١٥/١٧١) و « المعجم الوسيط » (٢/٧٢٧) .

(٢) الحديث رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » رقم (١٠١٧) .

(٣) الآية / ٢١ / من سورة الأحزاب .

إلى أن قال : لقد كان لكم فيهم أُسْوةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كان يَرجو الله واليومَ الآخر ... ﴾ (١) وقال :

﴿ أولئك الذين هَدى الله ، فَبِهُداهم اقْتَدِه ... ﴾ (٢) .

ب ـ وقدوة حسنة (مقيَّدة) أي بما شرعه الله عز وجل ، لأنها غير معصومة ، كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد الله من غير الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام . فغير الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد يُقتدى بهم في أمور دون أخرى ، وذلك لاحتمال صدور تصرفاتهم عن ضعف بشري ، أو خطأ اجتهادي ، لذا كان الاقتداء بهم مقيَّداً بموافقة شرع الله ...

وبهذا يكون أسلوب القدوة الحسنة أسلوباً عاماً يشمل التأسي بكل من عمل عملاً صالحاً حسناً سواء كان نبياً رسولاً ، أو كان تابعاً للرسل الكرام ناهجاً نهجهم في عمله ...

أهميته :

تبرز أهمية أسلوب (القدوة الحسنة) من عدة أمور ، منها :

١ ـ جَعْلُ الله عز وجل لعباده أسوة عملية في الرسل والصالحين من عباده ، وعدم اكتفائه بإنزال الكتب عليهم ، فأرسل الرسل ، وقَصَّ على المؤمنين قصصهم وعرض سيرتهم ثم أمر باتباعهم ، والاقتداء بهم ، فقال :

(١) الآيات / ٤ ـ ٦ / من سورة الممتحنة .

(٢) الآية / ٩٠ / من سورة الأنعام .

﴿ أولئك الذين هَدَى اللهُ ، فَبِهُداهم اقْتَدِه ... ﴾ (١) .

٢ ـ إن من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها : أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة ، أكثر مما يتأثرون بالقراءة والسماع ، ولاسيما في الأمور العملية ، ومواقف الشدة وغيرها ... وهذا التأثير فطري لا شعوري في كثير من الأحيان .

٣ ـ إن أثر القدوة عام يشمل جميع الناس على مختلف مستوياتهم ، حتى الأمي منهم ، فبإمكان كل امرئ أن يحاكي فعل غيره ، ويقلده ولو لم يفهمه .

ومن هنا : كان فضل الصحبة للصحابة الكرام رضوان الله عليهم لايَعْدِلُه شيء ، وكان إنكار الله عظيماً على من يخالف قوله عمله . قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا لِمَ تَقُولونَ مالا تَفْعلون * كَبُرَ مَقْتاً عند الله أَنْ تقولوا مالا تَفْعلون ﴾ (٢) .

من خصائص أسلوب القدوة :

لأسلوب القدوة خصائص ومزايا عديدة ، منها :

١ ـ سهولتُه ، وسرعة انتقال الخير من المُقْتَدَىٰ به إلى المُقْتَدي ، لأن الأخذ بالشيء عملياً والتمسك به أكثر إقناعاً للمدعوين من الحديث عنه والثناء عليه ، فمجرد العمل بالخير وتطبيقه ، تحصل

---

(١) الآية / ٩٠ / من سورة الأنعام .

(٢) الآيات / ٢ ـ ٣ / من سورة الصف .

قناعة عند الآخرين بصلاحية هذا الخير والفعل للتطبيق ، وأنه ليس أمراً مثالياً مجرداً ... وهذا واقع مشاهد في حياة الناس .

٢ ـ سلامةُ الأخذ وضمانُ الصحة ، ولاسيما في الأمور الدقيقة العملية ، ومن هنا أكد عليه ﷺ في تعليمه أمته بعض أركان الإسلام كالصلاة والحج ، فقال في الصلاة : « وصلوا كما رأيتموني أصلي »[١] وقال في الحج : « خذوا عني مناسككم »[٢] .

بل إن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ صبيحة ليلة الإسراء ليعلمه كيفية الصلاة عملياً ، فاقتدى به ﷺ ، واقتدى الصحابة الكرام برسول الله ...[٣]

٣ ـ عُمقُ التأثير في النفس البشرية ، وسرعة استجابتها للأمور العملية أكثر من استجابتها للأمور النظرية ، ومن هنا أشارت (أم سلمة) رضي الله عنها على رسول الله ﷺ بالمبادرة إلى الحَلْق والتحلل ، ليقتدي به الناس عملياً ، وكان كما قالت رضي الله عنها [٤] .

وكان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يُصلي بالناس وهو لايريد

---

(١) رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦٣١ و ٦٠٠٨) و « الفتح » (١١١/٢)(٤٣٨/١٠) .

(٢) الحديث ذكره في « جمع الفوائد » رقم (٣٣٧١) (٥٠٢/١) وقال عنه : للشيخين والنسائي .

(٣) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٥٢١) و « الفتح » (٤/٢ ...) و « صحيح مسلم بشرح النووي » (١٠٧/٥) ، و « السيرة النبوية لابن كثير »(١١٢/٢) .

(٤) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢) و « الفتح » (٣٣٢/٥ و ٣٤٧) . وانظر « زاد المعاد » (٢٩٥/٣) .

إلا أن يُعلِّمهَم صلاة النبي ﷺ وسنته [١] .

ودعا رسول الله ﷺ يوم الفتح بإناء من لَبَنٍ أو ماء ، فشرب أمام الناس وأفطر ، فقال المفطرون لما رأوه للصوام : أفطروا [٢] .

وما إلى ذلك من خصائص لاتخفى على الداعية الحكيم .

* * *

(١) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦٧٧) و (٨٢٤) و (٢/١٦٣)(٢/٣٠٣) .

(٢) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٤٢٧٧) و « الفتح » (٣/٨ ـ ٥) .

المبحث الخامس

« الخصائص العامة للأساليب الدعوية »

إن الخصائص العامة للأساليب الدعوية قد تشترك مع خصائص المناهج ، لأن الأساليب ـ كما سبق ـ هي كيفيات تطبيق المنهج ـ ومن هنا ، يمكن أن توصف الأساليب بما سبق معنا من خصائص المناهج وهي « الانضباط ، والتدرج ، والاستمرار) .

كما يمكن أن نضيف عليها خصائص يمكن أن تشاركها فيها المناهج من بعض الوجوه نظراً لهذا التلازم والترابط بين المناهج والأساليب ، فمن هذه الخصائص العامة :

١ ـ الفطرية :

ونعني بهذه الخصيصة : : انسجام الأساليب الدعوية مع الفطرة الإنسانية ، وذلك لأن الأساليب السابقة بأشكالها المتنوعة منها مايلامس قلب المدعو ويحرك عواطفه ، ويعد ركيزةً من ركائز المنهج العاطفي كأسلوب الموعظة الحسنة بجميع أشكالها ...

ومنها مايلامس عَقْل المدعو ، ويحرك فكره ، ويدعوه إلى التدبر والاعتبار ، ويُعدُّ ركيزةً من ركائز المنهج العقلي ، كأسلوب المجادلة بالحسنى ...

ومنها مايلامس الحِسُّ البشري ، ويدعو إلى المحاكاة والمشابهة ، ويُعدُّ ركيزةً من ركائز المنهج الحسي ، كأسلوب القدوة الحسنة ...

فالداعية الحكيم هو الذي يختار الشكل المناسب من أشكال الأساليب المتنوعة للمناهج المتعددة ، فيلبي في دعوته متطلبات الفطرة الإنسانية من جميع جوانبها كما فعل القرآن الكريم ، والرسول العظيم ﷺ .

٢ ـ التنوع :

ونعني بها : تعدد أشكال الأساليب الدعوية وتنوعها تنوعاً يغطي حاجات الدعوة ، ويلبي متطلبات الفطرة ،

وقد سبق معنا الحديث عن عدد من أشكال هذه الأساليب ، كنماذج عن الأساليب الدعوية الكثيرة ، التي يمكن أن تندرج تحت أسلوب من الأساليب التي تكلمنا عنها .

فالدعوة قد تحتاج إلى أسلوب القوة كما تحتاج إلى أسلوب اللين ، وقد تحتاج إلى أسلوب المواجهة بالخطأ وتعيينه ، كما تحتاج إلى أسلوب التعميم وعدم المواجهة ، فقد كان رسول الله ﷺ يقول أحياناً عند الإنكار « مابال أقوام يقولون كذا ، أو يفعلون كذا [1] ، وما إلى ذلك .

وكان يواجه أحياناً صاحب الخطأ فيقول : « مابال مقالة بلغتني

---

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم (٦١٠١ و ٦١٠٢) و « فتح الباري » (٥١٣/١٠) ، وانظر « الأدب المفرد للبخاري »(باب من لم يواجه الناس بكلامه) رقم (٤٣٦ و ٤٣٧) ترتيب كمال يوسف الحوت .

عنكم ؟ ! وما إلى ذلك ...[1]

والداعية الحكيم هو الذي يحسن استخدام الأسلوب المناسب في الموقف المناسب ، فدائرة الاختيار بين الأساليب واسعة جداً لاتخفى على المتتبع لها .

٣ ـ التطور :

ونعني بها : عدم ثباتها على شكل واحد ، فإن الأساليب الدعوية تختلف من وقت إلى آخر ومن حال إلى حال وذلك بحسب المقتضيات والأزمان .

فقد يصلح أسلوب دعوي مع شخص معين في حالٍ معينة أو عمر معين ، فإذا استمر المدعوُّ على واقعه ، ولم يفده ذلك الأسلوب ، كان على الداعية أن يغير من أسلوبه بما يتناسب مع حال المدعو ، ويطوره إلى مايراه أصلح له .

فقد يتطور الأسلوب الواحد من ترغيب إلى ترهيب ، أو من موعظة حسنة إلى هجر ، ومن هجر إلى ضرب أحياناً كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة :

﴿ واللأتي تَخافون نُشوزَهُنَّ ، فَعِظُوهُنَّ ، واهْجروهُنَّ في المضاجِعِ ، واضْربوهُن ... ﴾[2] .

وقد يتطور الموقف مع العدو من أسلوب المهادنة والصلح إلى

---

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم (١٩٧٥) و (٥٠٦٣) و « فتح الباري » (٢١٧/٤ و ٢١٨) و (١٠٤/٩) و « صحيح مسلم » (١١٥٩ و ١٤٠١ و ١٥٥٧) .

(٢) الآية / ٣٤ / من سورة النساء .

أسلوب المواجهة والقتال ، وقد يتطور تطوراً عكسياً من القتال إلى المهادنة ، وذلك بحسب أحوال الدعاة والمدعويين ...

كما قد يتطور أسلوب تطبيق الشورى من شكل إلى شكل ، فمن شورى فردية ، إلى شورى جماعية ، ومن شورى مُعْلِمةٍ إلى شورى مُلزِمَةٍ وهكذا بحسب الأحوال ...

كما تتطور أساليب التجارة والبيع والشركات من عصر إلى عصر ، فيقبل أي شكل جديد منها مادام مندرجاً تحت الأحكام الشرعية الثابتة ، لايصادم مقصداً شرعياً ولايؤدي إلى مفسدة ...

والأصل في الأساليب الدعوية ـ ماعدا أساليب العبادات ـ اجتهادية متطورة ، يمكن للدعاة أن يُحَسِّنوا منها ويطوروها بحسب مقتضيات عصرهم ، ويكفي دليلاً على ذلك عمل الخلفاء الراشدين ، والصحابة الكرام ، والسلف الصالح في تطوير أساليب حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية ...

فقد تطور أسلوب حفظ القرآن من حفظه في الصدور وعلى السطور مُوَزَّعاً ، إلى جمعه كاملاً في زمن أبي بكر رضي الله عنه ، ثم إلى توحيد المصاحف زمن عثمان رضي الله عنه ، ثم إلى تنقيطه وشكله فيما بعد .

كما تطور حفظ السنة من أسلوب حفظها وكتابتها من قبل بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، إلى الاهتمام بتدوينها وجمعها كاملة ، وتمييز صحيحها من سقيمها ، والتدقيق في أحوال رواتها وهكذا ...

والعجب ممن يقف على منهج السلف الصالح في تطوير أساليب حفظ القرآن والسنة ، ثم يقف جامداً على أساليب دعوية أخرى في

الحركة والدعوة ، لايفكر بتطويرها ، ويتحرج من تغييرها وكأنها ثوابت شرعية في نظره ! !

وذلك في الوقت الذي طور فيه الأعداء من أساليبهم ، وتفننوا في تنويعها وتشكيلها ، واستوعبوا حياة الناس بها ! !

ولو عرف هؤلاء حقيقة دينهم ، وخصائص دعوتهم ، لكانوا أسبق الناس إلى تحقيق الأصالة المعاصرة في حياتهم ...[1]

إلى غير ذلك من خصائص عامة [2] .

* * *

(١) راجع بحث « الأصالة والمعاصرة خصيصتان من خصائص الدعوة الإسلامية » للمؤلف ، نشر في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ العدد الأول عام ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م ، وراجع كتاب « منهج الدعوة إلى الله » لأمين أحسن إصلاحي ص : (٥٧ ـ ٦١) .

(٢) راجع كتاب « فقه الدعوة في إنكار المنكر » لعبد الحميد البلالي ، نشر دار الدعوة ـ الكويت ، وكتاب « طرق الدعوة الإسلامية » للدكتور أحمد بن محمد العدناني .

الفصل الخامس

وسائل الدعوة

ويشتمل على مقدمة ، وأربعة مباحث :

١ ـ المبحث الأول : ضوابط مشروعية الوسائل .

٢ ـ المبحث الثاني : نماذج من الوسائل المعنوية .

٣ ـ المبحث الثالث : نماذج من الوسائل المادية .

٤ ـ المبحث الرابع : الخصائص العامة للوسائل الدعوية .

مقدمة بين يدي وسائل الدعوة

وتشتمل على تعريف الوسائل الدعوية ، وبيان أنواعها إجمالاً .

١ ـ تعريفها :

سبق في التمهيد أن عرفنا وسائل الدعوة بـ « مايتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية » .

فلابد للمرء في سبيل تحقيق أهدافه ، والوصول إلى غايته من استخدام الوسيلة التي تعينه على ذلك ، فإن الله عز وجل قد ربط الأسباب بالمسببات ، وأمر بالأخذ بالوسائل المؤدية إلى الغايات ، قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتَّقُوا اللهَ وابْتَغوا إليه الوَسيلة ﴾ (١)

وقال :

﴿ أولئك الذين يَدْعُونَ ، يَبْتَغونَ إلى ربهم الوسيلةَ أيُّهم أَقْربُ ، ويَرْجُون رَحْمَتهُ ويَخافون عَذابَه ... ﴾ (٢) .

والدعاة إلى الله أولى الناس بابتغاء الوسائل التي تقربهم إلى الله ، وتصل بدعوتهم إلى الناس ، تمشياً مع سنن الله في الأرض ، حيث جعل من سنن الهداية إرسال الرسل الكرام ، وتنزيل الكتب ، وهو القادر على على أن يهدي الناس جميعاً دون هذه الوسائل ...

---

(١) الآية / ٣٥ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ٥٧ / من سورة الإسراء .

فكان نجاح الدعوة متوقفاً في حياة الناس على كمال المناهج ، وصحة الأساليب ، وقوة الوسائل ...

٢ ـ أنواعها :

تظهر كثرة أنواع الوسائل الدعوية من تعريف الوسائل بأنها مايتوصل به من أمور معنوية ومادية ، وما أكثر مايحتاج إليه الداعية من هذه الوسائل الموصلة !

وإننا من خلال هذا التعريف يمكننا تقسيم الوسائل الدعوية إلى قسمين أساسيين :

أ ـ الوسائل المعنوية .

ب ـ الوسائل المادية .

ونريد بالوسائل المعنوية : جميع مايُعين الداعية على دعوته من أمور قلبية ، أو فكرية ، وذلك كالصفات الحميدة ، والأخلاق الكريمة ، والتفكير والتخطيط وما إلى ذلك من أمور لاتُحَسُّ ولاتُلمس ، وإنما تعرف بآثارها ...

ونريد بالوسائل المادية : جميع مايُعين الداعية من أمور محسوسة أو ملموسة ، وذلك كالقول ، والحركة ، والأدوات ، والأعمال ...

ونظراً لكثرة الوسائل المادية وتنوعها اصطلحنا على تقسيمها إلى ثلاثة أنواع أساسية هي :

١ ـ الوسائل الفطرية :

وهي الوسائل الموجودة في فطرة الإنسان وجبلّته وتنمو بنموه ، كالقول والحركة .

٢ ـ الوسائل الفنية (العلمية) :

وهي الوسائل التي يكسبها الإنسان كسباً ، ويتعلمها ويتفَنَّن في إيجادها وتطويرها ، كالكتابة ، والإذاعة ، والتلفاز ، وما إلى ذلك ...

٣ ـ الوسائل التطبيقية (العملية) :

وهي مايقابل الوسائل النظرية من : إعمار المساجد ، وإنشاء المؤسسات الدعوية ، وإقامة النوادي والمخيمات ، والجهاد في سبيل الله ... وما إلى ذلك .

وسنقف في المباحث القادمة على نماذج مفصلة لكل نوع من هذه الأنواع .

* * *

المبحث الأول

« ضوابط مشروعية الوسائل الدعوية »

لما كانت الدعوة الإسلامية دعوةً إلى الله ، وعملاً أساسياً من أعمال رسول الله ﷺ وأتباعه ، كان لابد أن تكون منطلقة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، منضبطة بأحكام الإسلام في مناهجها وأساليبها ووسائلها .

فإن الإسلام لايعرف فصلاً في الحكم بين المناهج والأساليب والوسائل ، ولا يُقر بأن الغاية تبرر الوسيلة ـ كما هو الحال في المبادئ البشرية ـ بل إن للوسائل حكم الغايات ، وللأساليب حكم المناهج ...

وإن أي تجاهل لحكم الشريعة في جانب المناهج أو الأساليب والوسائل يُعدُّ انحرافاً للدعوة عن مسارها ، وخروجاً بها عن مصادرها .

ونظراً لغموضِ هذا الجانب في حياة بعض الدعاة ، وظَنِّ بعضهم استثناء الوسائل من هذه الأحكام ، وتَصَرُّفِهم فيها دون قيود من جهة ، ونظراً لاعتقاد آخرين بتوقيفيّة أحكام الوسائل وإعطائها أحكام المبادئ الدعوية وأسسها التي لادخل للاجتهاد فيها من جهة أخرى ...

رأيت ضرورة عقد هذا المبحث في فصل الوسائل ، وبيان الموقف العدل في حكم الوسائل الدعوية ، دفعاً لهذا الغموض ، وتجنباً لذلك الإفراط أو التفريط ...

ويمكننا تلخيص ضوابط مشروعية الوسائل الدعوية في خمسة ضوابط :

١ ـ النَص على مشروعية الوسيلة في الكتاب أو السنة ، أو طلبها بوجه من أوجه الطلب .
٢ ـ النَص على تحريم الوسيلة في الكتاب أو السنة ، أو النهي عنها بوجه من أوجه النهي .
٣ ـ دخول الوسيلة في دائرة المباح .
٤ ـ خروج الوسيلة عن كونها شعاراً لكافر .
٥ ـ الترخيص في استعمال بعض الوسائل الممنوعة في بعض الأحوال .

١ ـ النص على مشروعية الوسيلة في الكتاب أو السنة أو طلبها بوجه من أوجه الطلب :

فإن أي وسيلة نص الشارع على مشروعيتها بأن أمر بها وباستخدامها على سبيل الوجوب أو الندب ، أو صرح بإباحتها وجواز استخدامها ، فهي وسيلة مشروعة بحسب نوع مشروعيتها من وجوب أو ندب أو إباحة ، يلتزم الداعية باستخدامها ، أو يسعه التوصل بها إلى دعوته ...

وقد وردت نصوص شرعية كثيرة في ذلك ، منها :

الأمر بوسيلة القول ، والحركة ، والكتابة ، والتعليم ، والجهاد ، والصدق وما إلى ذلك من وسائل مادية ومعنوية .

قال تعالى :

﴿ وقولوا للناس حُسناً ﴾ [١] وقال : ﴿ قُلْ هو الله أَحَد ﴾ [٢]

---

(١) الآية / ٨٣ / من سورة البقرة .
(٢) الآية / ١ / من سورة الإخلاص .

وقال : ﴿ وقولوا قولاً سديداً ... ﴾ (١) .

وقال تعالى :

﴿ قل سِيروا في الأرض فانْظُروا كيفَ كانَ عاقبةُ المُجْرمين ﴾ (٢)

وقال :

﴿ فَامْشوا في مَناكِبِها وكُلوا مِنْ رِزْقه ... ﴾ (٣) وقال :

﴿ واقْصِدْ في مَشْيِك ، واغْضُض مِنْ صَوتِك ... ﴾ (٤) .

وقال تعالى :

﴿ ن ، والقلم ومايَسْطرون ... ﴾ (٥) وقال : ﴿ اقرأ وربك الأكرم * الذي عَلَّم بالقلم * عَلَّم الإنسانَ مالم يَعْلم ﴾ (٦) .

وجاء في الحديث الشريف : « اكتبوا لأبي شاه » (٧) وجاء « ... ومَنْ كتبَ عنّي غيرَ القرآن فَلْيَمْحُه ... » (٨) .

وقال تعالى :

﴿ يا أيها النبي جاهِدِ الكُفّار والمنافقين واغْلُظْ عليهم ... ﴾ (٩)

---

(١) الآية / ٧٠ / من سورة الأحزاب .

(٢) الآية / ٦٩ / من سورة النمل .

(٣) الآية / ١٥ / من سورة الملك .

(٤) الآية / ١٩ / من سورة لقمان .

(٥) الآية / ١/ من سورة القلم .

(٦) الآيات / ٣ ـ ٥ / من سورة العلق .

(٧) الحديث رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٦٨٨٠) و « الفتح » (٢٠٥/١٢) .

(٨) الحديث رواه مسلم ، انظر « صحح مسلم بشرح النووي » (١٢٩/١٨) .

(٩) الآية / ٧٣ / من سورة التوبة .

وقال : ﴿ وجاهِدْهم به جِهَاداً كبيراً ﴾ [1] .

وقال تعالى :

﴿ إنه كان صادق الوعد ، وكان رسولاً نبياً ﴾ [2] وقال :

﴿ مِنَ المؤمنين رجالٌ صَدَقوا ماعاهَدوا الله عَلَيه ﴾ [3] .

وجاء في الحديث الشريف : « إن الصدق يهدى إلى البر »[4] .

وما إلى ذلك من نصوص شرعية كثيرة تنص على مشروعية بعض الوسائل صراحة أو إشارة ودلالة ...

٢ ـ النص على تحريم الوسيلة في الكتاب أو السنة ، أو النهي عنها بوجه من أوجه النهي :

فإن أي وسيلة نص الشارع على النهي عنها بوجه من أوجه النهي ، فهي وسيلة ممنوعة بحسب نوع النَّهْي تحريماً كان أو كراهة ، على الداعية أن يتجنبها ، ويتنزه عن استخدامها .

وقد وردت نصوص شرعية تنهى عن بعض الوسائل المعنوية أو المادية ، من ذلك :

ماورد مِنَ النهي عَنِ الكذب ، والكبر ، والحَلِفُ ، والبُخل ، وإخلاف الوعد ، ورفع الصوت وما إلى ذلك .

(١) الآية / ٥٢ / من سورة الفرقان .

(٢) الآية / ٥٤ / من سورة مريم .

(٣) الآية / ٢٣ / من سورة الأحزاب .

(٤) الحديث متفق عليه ، انظر «صحيح البخاري مع الفتح» (٦٠٩٤) (١٠/٥٠٧) و «صحيح مسلم» رقم (٢٦٠٧).

قال تعالى :

﴿ إنما يَفْتَري الكَذِبَ الذين لايؤمنون بآياتِ الله ... ﴾ [1]

وقال : ﴿ سَمّاعُون للكَذِبِ ، أكّالون للسُّحْت ... ﴾ [2] وقال : ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ [3] .

وقال تعالى :

﴿ ولا تُطع كل حلاّف مهين همّاز مشّاءٍ بنميم ... ﴾ [4]

وقال : ﴿ ولا تُصعِّر خَدَّكَ للناس ، ولاتمش في الأرض مَرَحاً ، إن الله لايُحِبُّ كل مُختال فَخور ... الآيات ﴾ [5] .

وقال تعالى :

﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ومن يتولَّ فإن الله هو الغني الحميد ﴾ [6] وقال : ﴿ ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأولئك هم المفلحون ﴾ [7] .

وجاء في الحديث الشريف :

« أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة

---

(١) الآية / ١٠٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ٤٢ / من سورة المائدة .

(٣) الآية / ١ / من سورة المنافقون .

(٤) الآية / ١٠ ـ ١١ / من سورة القلم .

(٥) الآيات / ١٨ ـ ١٩ / من سورة لقمان .

(٦) الآية / ٢٤ / من سورة الحديد .

(٧) الآيات / ٩ / من سورة الحشر ، و / ١٦ / من سورة التغابن .

منهن ، كانت فيه خصلةٌ من نفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »[1] وما إلى ذلك من نصوص شرعية تنهى عن بعض الوسائل صراحة أو إشارة أو دلالة ...

٣ ـ دخول الوسيلة في دائرة المباح :

إن أي وسيلة دعوية لم ينص الشارع على مشروعيتها ، ولم يأت بالنهي عنها ، وإنما سكت عنها ، فتدخل في دائرة الإباحة بناءً على أن الأصل في الأشياء الإباحة ، فيسع الداعية استخدامها في دعوته ، ذلك لأن النصوص الشرعية محدودة مهما كثرت ، والوسائل متجددة متطورة مع تعاقب الأزمان ، فلا يمكن أن تستوعب النصوصُ الحديثَ عنها ، كما هو الشأن في وسيلة مُكبِّر الصوت ، والمذياع وغيره من المخترعات الحديثة ...

فالأصل في هذا النوع من الوسائل الإباحة مالم يعرض له عارض يخرجه عن ذلك الأصل . ويمكن أن يتفرع عن هذا الضابط نوعان من الوسائل يحسن بحثهما في هذا المقام وهما :

أ ـ الوسيلة المختلف في حكمها بين العلماء بين الإباحة والتحريم .

ب ـ الوسيلة المَشُوبَةُ التي اختلط فيها الحلال والحرام .

أ ـ الوسيلة المختلف في حكمها بين الإباحة والتحريم :

هناك وسائل اختلف العلماء في حكمها بين محرم ومبيح لسبب من

---

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح ») ٣٤)(١/ ٨٩) و « صحيح مسلم » (٥٨) .

أسباب الخلاف أو أكثر ...[1] ، ولم يتضح للداعية رجحان قول فيها على قول ، فلا يصح وصفها عنده بمباحة أو محرمة ، وإنما هي من المختلف فيه .

وقد تعددت مواقف الناس من مثل هذه الوسائل المختلف في حكمها ، فمنهم من عاملها معاملة الحرام تورعاً واحتياطاً ، فتجنبها وأنكر على من استخدمها ، ومنهم من ترخص فيها وتوسع في استخدامها دون تحرّج وكأنها من الحلال البيّن ، وذلك مثل : وسيلة التصوير الفوتغرافي [2]، أو وسيلة « التمثيل المسرحي [3] » أو الغناء وبعض آلاته كالدُّف ، أو الرقص ...[4] وما إلى ذلك .

وكلا الموقفين في نظري لايخرج عن الإفراط أو التفريط ، ويمكننا أن نلخص ضوابط الوسيلة المختلف في حكمها في أربعة أمور ، هي :

١ ـ الترخُّص والتوسُّع في استخدامها حيث الضروراتُ والحاجاتُ الملّحة ، والمصالح الدعوية العامة ، وذلك لأنه إذا كانت الضرورات

---

(١) راجع كتابي « دراسات في الاختلافات الفقهية » نشر دار السلام ـ القاهرة ـ وغيره من كتب أسباب الاختلاف .

(٢) راجع كتاب « حكم الإسلام في الصور والتصوير » لدندل جبر ، وغيره ممن تعرَّض للخلاف فيه .

(٣) سيأتي تفصيل القول فيه في مبحث (الوسائل الفنية) إن شاء الله .

(٤) انظر القسم الثاني المجلد الأول من(الفقه)من مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ص : (٧٧٠)، طبع جامعة الإمام . وانظر رسالة : « فتح الأسماع في شرح السماع » لملا علي القاري ، تحقيق الباحث : عبد الله رجب الفلنكاوي ، بإشراف الدكتور : عبد المجيد معاز ، المقدم لقسم الدعوة والاحتساب في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤٠٣ و ١٤٠٤ هـ . ص : (٦٤) .

والحاجات الملّحة تبيح المحظورات القطعية التي لاخلاف في حرمتها ـ كما هو مقرر في القواعد الفقهية ـ فإن إباحتها للأمر المختلف فيه من باب أولى لأنه متردد بين الحرمة والإباحة ، ولأن الحرمة عند من يراها فيه ظنية أيضاً .

٢ ـ التورُّعُ عن استخدامها حيث الأمور العادية ، والمصالح الشخصية ، وذلك لأن التورع عن الشبهات مطلوب ، ولابد أن يترك الخلاف العلمي مهما ضعف في الموضوع شبهة ، وقد جاء في الحديث الشريف :

« ... فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام . الحديث »[١] .

٣ ـ لطالب العلم أن يبحث في المسألة المختلف فيها ، ويرجح أحد الأقوال بدليله ، إذ ليس قول أَحَدٍ بحجة على آخر ، مادامت المسألة اجتهادية .

٤ ـ ليس لمن ترجَّح له أحد الأقوال تحريماً أو إباحةً الإنكارُ على من خالفه في الترجيح أو العمل ، إذ من المُسلَّم به في قواعد الحسبة : عدمُ الإنكار في المختلف فيه ، وإنما يَحقُّ لمن ترجح له قول من الأقوال أن يدعو إليه بلطف مبيناً دليله مع احترام القول الآخر ...[٢] وقديما قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى :

---

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٥٢)(١/١٢٦) و « صحيح مسلم »(١٥٩٩) .

(٢) راجع في هذا الفصل الثاني من كتابي « دراسات في الاختلافات الفقهية » بعنوان : « الإنكار في المسائل الاختلافية » ففيه تفصيل لمواقف الأئمة في ذلك .

« إذا رأيتَ الرجلَ يَعملُ العملَ الذي قد اختُلِفَ فيه ، وأنت ترى غيره ، فلا تَنْهه »[1].

وقال :

« مااختلف فيه الفقهاء ، فلا أنهى أحداً عنه من إخواني أن يأخذ به »[2] .

وهذه الضوابط الأربعة في الوسائل الدعوية المختلف فيها ، لو طبقها المسلمون على جميع المسائل المختلف فيها بين العلماء ، لاندفعت سلبيات الخلاف عن حياتهم ، وعاش المختلفون فيما بينهم متآلفين متحابين كما كان أسلافهم ...

ب ـ أما الوسيلة المشوبة التي اختلط فيها الحلال بالحرام :

فقد وجدت في عصرنا وسائل دعوية ـ كما توجد في كل عصر ـ اختلط فيها الحلال والحرام تبعاً لغفلة المسلمين ، وضعف التزامهم بدينهم ، مما يجعل الداعية حائراً تجاهها ، يشعر بحاجته إليها ، ويمنعه منها مارافقها من حرام ...

وقد اختلفت مواقف الدعاة والعلماء منها سابقاً وحاضراً ، فكان منهم من يقاطعها ويتجنبها تجنبه للحرام الخالص ، وكان منهم من يستخدمها ويشارك فيها ترجيحاً لجانب على جانب ...

ولعل أبرز مايمثل هذا النوع في زماننا وسيلة النوادي ، ووسيلة

---

(١) انظر « حلية الأولياء » لأبي نعيم (٣٦٨/٦) ، وراجع كتابي « الإمام سفيان الثوري ـ حياته العلمية والعملية » نشر دار السلام .

(٢) انظر « الفقيه والمتفقه » (٦٩/٢) .

الإذاعة ، ووسيلة التلفاز ... فقد حوت هذه الوسائل جوانب من الخير مع جوانب من الشر ، واختلط في كثير منها الحلال والحرام ، وانتشرت في حياة الناس انتشاراً كبيراً قَلّ أن يسلم منها المسلمون ...

كما جَرَّب تجاهها العلماءُ موقفين : موقف المقاطعة لها ، وموقف المشاركة فيها ، فلم يفيدا في ذلك شيئاً ، إذ لم يصل المشاركون فيها إلى إصلاح واقعها ، ولا المقاطعون لها إلى معالجتها والسلامة من شرها ...

لذا رأينا أن نجعل الضابط فيها ملخصاً في حالتين :

أ ـ حالة إمكان معالجتها وتنقيتها مما شابها .

ب ـ حالة عدم إمكان معالجتها وتنقيتها مما شابها .

أما الحالة الأولى :

فلابد للداعية تجاهها من معالجتها وتَعْرِيتها عما شابها من حرام ، واستخدامها في سبيل دعوته . وذلك كما فعل ﷺ مع وسيلة « النذير العُريان » فقد كانت عادة العرب في الجاهلية إذا أرادوا الدعوة إلى أمر هام ، أو الإنذار بأمر خطير يفعلون عدة أمور :

١ ـ يصعدون إلى مكان عالٍ كجبل أو أي مكان مرتفع .

٢ ـ ينادون بأعلى صوتهم : واصباحاه ، وما إلى ذلك من ألفاظ النداء .

٣ ـ يتعرّون عن ثيابهم ، ليشعروا الناظر إليهم بخطر الأمر الذي ينادون من أجله ، وكأن العدو قد عَرّاهم من ثيابهم ، فيسرع الناس إليهم .

فلم يترك الرسول ﷺ هذه الوسيلة المشوبة بالعُرْي ، وإنما عمل على تعريتها عما شابها واستخدمها ، بل قال عن نفسه « أنا النذير العُريان »[1] مُعبِّراً عن خطر الأمر الذي جاء به [2] .

فقد جاء في الحديث الشريف أنه ﷺ لما نزلت آية ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [3] خرج حتى صعِد الصفا فهتف : ياصباحاه ...[4]

أما في الحالة الثانية :

فلابد للداعية من أحد موقفين :

أ ـ المقاطعة لها بضوابط .

ب ـ أو المشاركة فيها بضوابط .

ومن ضوابط المقاطعة :

١ ـ أن تكون المقاطعة جماعية ، بحيث يتفق عليها معظم العلماء والدعاة ، فلا تختلف مواقفهم منها ، ليعلم الناس جميعاً هجر العلماء والدعاة لها ، فيتابعونهم في ذلك .

٢ ـ أن تكون المقاطعة كاملة نظرياً وعملياً ، فلا مشاركة فيها ، ولا

---

(١) الحديث متفق عليه ، انظر «صحيح البخاري مع الفتح» رقم (٦٤٨٢ و ٧٢٨٣) و «الفتح» (٣١٦/١١) و (٢٥٠/١٣) ، وانظر «صحيح مسلم بشرح النووي» (٤٨/١٥).

(٢) راجع كتاب « منهج الدعوة إلى الله » لأمين أحسن إصلاحي ص : (٦٠ ـ ٦١) نشر دار الكتاب الإسلامي في الكويت .

(٣) الآية / ٢١٤ / من سورة الشعراء .

(٤) متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٤٩٧١ و ٤٩٧٢) و « الفتح » (٧٣٧/٨ و ٧٣٨) و « صحيح مسلم بشرح النووي » (٨٣/٣) .

إدخال لها إلى بيوت المسلمين ، وتجنبها تجنباً كاملاً لإحكام المقاطعة من جهة ، والسلامة من شرها من جهة أخرى .

٣ ـ أن يُسعى إلى إيجاد بديل صالح عنها ، يعوّض الناس عن جانب الخير الذي فيها ، ويشغلهم ويصرفهم عن جانب الشر فيها . إلى غير ذلك من ضوابط يراها العلماء والدعاة .

ومن ضوابط المشاركة :

١ ـ أن تكون جماعية ، بحيث يقدم على المشاركة فيها معظم العلماء والدعاة ، فلا تختلف مواقفهم منها ، وذلك لتكثير جانب الخير فيها وتغليبه على جانب الشر ...

٢ ـ أن لاتكون المشاركة في جزء محرم منها ، كالبرامج الداعية إلى الفساد ، وبرامج الموسيقا والغناء المحرم ...

٣ ـ أن تكون المشاركة على مستوى مكافئ للموضوع شكلاً ومضموناً ، حتى لايظهر صوت الخير ضعيفاً أمام صوت الباطل ، فيزهد الناس فيه ، ويجرهم الباطل إليه .

٤ ـ اختيار الوقت المناسب للمشاركة ، والتحكم في بداية البرنامج وخاتمته ، فلا يبدأ أو يختم بمحرم أو باطل ...

٥ ـ أن يُسعى لإصلاحها وتنقيتها باستمرار ، وذلك عن طريق المشاركة الصالحة الفعّالة ، ومراجعة المسؤولين عنها وتذكيرهم بضرورة ذلك ، وعدم اليأس والسكوت .

٦ ـ أن يُسعى لإيجاد بديل صالح غير مشوب يكون قدوة في ذلك من جهة ، وبديلاً عن المشوب من جهة أخرى .

إلى غير ذلك من ضوابط يراها العلماء المشاركون ، والدعاة العاملون .

٤ ـ خروج الوسيلة عن كونها شعاراً لكافر :

فقد ثبت نهيُ رسول الله ﷺ عن التشبه بالكفار ، وأمرُهُ بمخالفتهم ولاسيما فيما كان شعاراً لهم يعرفون به ، فقد جاء في الحديث الشريف :

« من تَشَبَّه بقوم فهو منهم »(١) وجاء أيضاً : « ليس منا من تشبه بغيرنا »(٢) كما جاء عنه ﷺ أنه قال :

« خَالِفوا المشركين ، ووفِّروا اللِّحى ، وأَحْفوا الشوارب »(٣) وجاء عنه ﷺ قوله : « إن اليهود والنصارى لايصبغون ، فخالفوهم »(٤) .

فعلى الداعية أن يتجنب في دعوته أي وسيلة تُعدُّ شعاراً للكفار ، مهما كان نوعها ، كما فعل ﷺ لما عُرِضت عليه مثل هذه الوسائل للدعوة إلى الصلاة ،

ففي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : « كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ، وليس ينادي بها أحد ، فتكلموا يوماً في ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس

---

(١) الحديث رواه أحمد في « المسند » (٥٠/٢) وأبو داود في سننه (٤٠٣١) و (٤٤/٤) ط : محيي الدين عبد الحميد .

(٢) الحديث رواه الترمذي ، انظر « سنن الترمذي » (٢٨٣٦) و (١٥٩/٤) ط : عبد الرحمن محمد عثمان .

(٣) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٥٩٨٢) و « الفتح » (٣٤٩/١٠) وهو في « صحيح مسلم » بلفظ مقارب جداً انظر « صحيح مسلم بشرح النووي » (١٤٧/٣) .

(٤) الحديث متفق عليه، انظر «صحيح البخاري مع الفتح» رقم (٣٤٦٢ و ٥٨٩٩) و «الفتح» (٤٩٦/٦) و (٣٥٤/١٠) ، و «صحيح مسلم بشرح النووي» (٨٠/١٤).

النصارى ، وقال بعضهم قَرْناً مثل قَرْن اليهود ، فقال عمر : أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة ؟ قال رسول الله ﷺ : يابلال قُمْ فناد بالصلاة »(١) .

ومن هنا : جعلنا من ضوابط مشروعية الوسيلة أن لاتكون شعاراً لكافر ، وعبرنا عنها بقولنا : « خروج الوسيلة عن كونها شعاراً لكافر » ليشمل اللفظ حكمَ جواز استعمال الوسيلة التي كانت شعاراً لكافر ، ثم خرجت عن هذا الوصف ، لأنها لم تعد شعاراً لهم ، كما بين هذا عدد من العلماء في مواطن متعددة (٢) .

٥ ـ الترخيص في استعمال بعض الوسائل الممنوعة في بعض الأحوال :

لما كان الدين الإسلامي ديناً عملياً يصلح للتطبيق في كل زمان ومكان ، جاء فيه الترخيص باستعمال الممنوع منه دفعاً للحرج وتحقيقاً للضروريات والحاجيات ...

وكان هذا الترخيص على نوعين أساسيين هما :

أ ـ الترخيص ببعض الوسائل الخاصة في بعض الأحوال تغليباً لجانب درء المفاسد على تحقيق المصالح ، أو موازنة بين المفاسد إذا اجتمعت ، وتقديم أخف المفسدتين ، كما جرى في الترخيص

---

(١) رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم بشرح النووي » (٣١٧/٤) وهو في البخاري بلفظ مقارب جداً ، انظر « صحيح البخاري » رقم (٦٠٤) و « الفتح » (٧٧/٢) .

(٢) انظر « فتح الباري » (٢٧٥/١٠ و ٣٠٧) ، وراجع في أصل الموضوع كتاب « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم » لابن تيمية .

بالكذب في عدة مواطن ،

فقد جاء في الحديث الشريف :

« ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس ، فَيَنمي خيراً ، أو يقول خيراً »[1] وزاد مسلم في رواية : « ولم أسمعه يُرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث ، تَعْني : الحربَ ، والإصلاحَ بين الناس ، وحديثَ الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها »[2] ،

وقد قَعَّدَ العلماء من هذا الحديث وأمثاله قاعدة في أحوال جواز الكذب ، وجعلوا منها : إذا لم يتمكن المرء من الوصول إلى حقه الثابت له ، إلا بالكذب ، فيباح له استخدام الكذب للوصول إلى حقه [3] . فإن في هذا ترجيحاً لمصلحة حفظ الحقوق ، وتفويت مقاصد الظَّلمة ، على مفسدة الكذب .

ب ـ الترخيص بفعل المحظورات بسبب الضرورات الملجئة أو الحاجات المُلحّة : وقد قَعَّد العلماء في هذا قاعدتين :

١ ـ الضرورات تبيح المحظورات .

٢ ـ الضرورات تُقدَّر بقدرها .

ويدل لهذا قوله تعالى :

﴿ وقد فَصَّلَ لكم ماحَرَّمَ عليكم إلا مااضْطُرِرتُم إليه .. ﴾[4] .

---

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٢٦٩٢)(٥/٢٩٩) و « صحيح مسلم » رقم (٢٦٠٥) .

(٢) « صحيح مسلم » رقم (٢٦٠٥) .

(٣) راجع « الأذكار » للنووي ص : ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ، و « إحياء علوم الدين » للغزالي (٣/ ١٣٤ ـ ١٣٦) .

(٤) الآية / ١١٩ / من سورة الأنعام .

وقوله تعالى :

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ ولا عَادٍ فلا إِثْمَ عَليه ﴾ [1] .

فيجوز للداعية في حالات الاضطرار وماشابهها أن يستخدم الوسيلة المحرمة بالقدر الذي تدفع فيه تلك الضرورة الملجئة ، والحاجة الملحّة .

ويختلف هذا الضابط الأخير عن المبدأ القائل « الغاية تبرر الوسيلة » من عدة وجوه منها :

١ ـ أن المحرِّم والمبيح في الإسلام هو الشارع نفسه توسعة على عباده ، أما التبرير عند غير المسلمين فمتروك لاجتهاداتهم وأهوائهم .

٢ ـ أن الغاية التي أبيحت من أجلها بعض الوسائل الممنوعة ، محمودة دائماً في نظر الشارع ، وليست مجرد مصلحة يراها المرء محمودة كانت أو مذمومة كما هي عند الآخرين ...

٣ ـ أن الترخيص في الإسلام مقيد بحال الضرورة الملجئة أو الحاجة الملحة ، كما أن االضرورات تقدر بقدرها ، وليس الأمر مطلقاً كما هو عند غير المسلمين . والله أعلم .

* * *

---

(١) الآية / ١٧٣ / من سورة البقرة ، وانظر الآيات : / ٣ / من المائدة ، و / ١٤٥ / من الأنعام ، و / ١١٥ / من النحل .

المبحث الثاني

« نماذج عن الوسائل المعنوية »

سبق أن بَيّنا في مقدمة هذا الفصل أننا نريد بالوسائل الدعوية المعنوية : جميع مايُعينُ الداعية على دعوته من أمور قلبية أو فكرية ، كالصفات الحميدة ، والأخلاق الحسنة ، والتفكير والتخطيط ... وما إلى ذلك .

ونظراً لكثرة هذه الوسائل ، سأكتفي في هذا البحث بالإشارة إلى عدد منها ، والتفصيل لنموذجين عنها ، أولاهما للوسائل القلبية ، وأخراهما للوسائل الفكرية .

فمن الوسائل المعنوية :

توثيق الصلة بالله وذلك عن طريق حبه وحب رسوله ﷺ ، وتقديم حبهما على محبة غيرهما ، وعن طريق المحبة في الله والبُغْض في الله ، واتباع الله ورسوله ، وكراهية الكفر والفسوق والعصيان ... وما إلى ذلك ، فقد جاء في الحديث الشريف :

« ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمان : أَن يكون الله ورسوله أَحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يُقْذف في النار »[1] .

---

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح »(١٦)(١/ ٦٠) و « صحيح مسلم » (٤٣) .

ومنها : التخلق بالأخلاق الحسنة التي تعرض جمال الإسلام ومحاسنه ، وتحبب الناس بالإسلام ، والأخلاق الحسنة كثيرة منها :

الصدق ، والجود والكرم ، والشجاعة والإقدام ، والصبر والحلم ، وما إلى ذلك .

ومنها : التعلم والتعليم ، وذكر الله عز وجل ، والأخوة في الله ، والتخطيط ... وما إلى ذلك من وسائل معنوية قلبية وفكرية ...

وسأقتصر على تفصيل وسيلتين من هذه الوسائل هما : الصَبْر ، والتخطيط .

أ ـ وسيلة الصَبْر :

وقد اخترت الحديث عن الصَبْر خاصة لأنه من أبرز الوسائل التي يحتاج إليها الدعاة في طريق دعوتهم ، ومن أعظم الطرق الموصلة إلى النجاح .

فقد أمر الله عز وجل عباده عامة بالصبر ، فقال :

﴿ يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (١) وقال :

﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ﴾ (٢) .

كما أمر رسوله ﷺ خاصةً به فقال :

---

(١) الآية / ٢٠٠ / من سورة آل عمران .

(٢) سورة العصر .

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ... ﴾ [1] وقال : ﴿ واصبر على مايقولون واهجرهم هجراً جميلاً ﴾ [2] .

وقال له : ﴿ ولربّك فاصبر ﴾ [3] .

وبين له أن الصبر سبيله وسبيل الأنبياء والرسل من قبله ، قال تعالى :

﴿ فاصْبِرْ كما صَبَر أولو العَزْم من الرسل ... ﴾ [4] وقال :

﴿ ولقد كُذِّبت رسلٌ من قَبْلِكَ فصَبروا على ماكُذِّبوا .. ﴾ [5] وقال :

﴿ وإسماعيلَ وإِدريسَ وذا الكِفْل كُلٌ من الصابرين ﴾ [6] .

وقد تكرر الحديث عن الصبر والصابرين في القرآن الكريم فيما يزيد على مئة آية في كتاب الله ، وجاءت الأحاديث النبوية داعية إليه ، وقاصة قصص الصابرين ، وجاءت السيرة النبوية داعية ناطقة بأسمى معاني الصبر ومبرزة أعلى درجاته في سيرة نبينا ﷺ محمد .

فعلى الداعية أن يصبر لله ويصابر في سبيل دعوته ، فلا نجاح له إلا بالصبر ، مهما اشتد الأمر وعظم الكرب ، قال تعالى :

﴿ أمْ حَسِبْتم أن تَدْخلوا الجنةَ ، ولمايَأْتكم مَثَلُ الذينَ خَلَوا من

---

(١) الآية / ٧٧ / من سورة غافر .

(٢) الآية / ١٠/ من سورة المزمل .

(٣) الآية / ٧ / من سورة المدثر .

(٤) الآية / ٣٥ / من سورة الأحقاف .

(٥) الآية / ٣٤ / من سورة الأنعام .

(٦) الآية / ٨٥ / من سورة الأنبياء .

قَبْلِكُم ، مَسَّتْهم البَأساءُ والضَرّاءُ وزُلْزِلُوا ، حتى يَقولَ الرسولُ والذين آمنوا معه : متى نَصْرُ الله ؟ ألا إِنَّ نَصْرَ الله قريب ﴾[1] .

كما عليه أن يعلم أن الصبر يحفظه من كيد أعدائه ومكرهم ، قال تعالى :

﴿ وإِنْ تَصْبروا وتَتَّقوا ، لايَضُرُّكم كيدُهم شيئاً ، إن الله بما يَعْملون مُحيط ﴾[2] .

وأن الله يجزي على الصبر مالا يجزي على غيره ، قال تعالى :

﴿ إنما يُوفَّىٰ الصابرون أَجْرَهُم بغير حساب ﴾[3] . وقال :

﴿ ولَئِنْ صَبَرْتم لَهُوَ خيرٌ للصابرين ﴾[4] وقال :

﴿ وبَشِّر الصابرينَ الذين إذا أصابَتْهم مصيبةٌ قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ❊ أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورَحْمة ، وأولئك هم المهتدون ﴾[5] .

وجاء في الحديث الشريف :

« ... ومن يتصبَّر يُصبِّره الله ، وماأعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر »[6] .

---

(١) الآية / ٢١٤ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ١٢٠ / من سورة آل عمران .

(٣) الآية / ١٠/ من سورة الزمر .

(٤) الآية / ١٢٦ / من سورة النحل .

(٥) الآية / ١٥٥ ـ ١٥٦ / من سورة البقرة .

(٦) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري (١٤٦٩ و ١٤٧٠) و « الفتح » (٣/ ٣٣٥)(١١/ ٣٠٣) ، و « صحيح مسلم » رقم (١٠٥٣) .

وقد قسم العلماء الصبر إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ صبر على فعل الطاعات .

٢ ـ صبر على اجتناب المعاصي والمنهيات .

٣ ـ صبر على المصائب .

ولاتخلوا حياة مسلم عامة من هذه الأنواع ، فكيف بالدعاة الذين ورثوا الأنبياء في دعوتهم [١] ! !

قال بعض السلف :

« البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر ، ولايصبر على العافية إلا الصديّقون » [٢] .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي عنه :

« ابتلينا بالضراء فصبرنا ، وابتلينا بالسراء فلم نصبر »[٣] .

* * *

(١) راجع كتاب « عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين » لابن القيم ، ففيه تعريفات للصبر ، وتقسيمات ، وفوائد حوله يندر أن توجد في غيره .

(٢) انظر « عدة الصابرين » ص : (٦٤) ، نشر دار ابن كثير « دمشق بيروت » .

(٣) انظر المرجع نفسه ص : (٦٤) .

ب ـ وسيلة التخطيط :

التخطيط : مصدر خَطّط يخطط ، أي وضع خُطّة ، والخُطّةُ : الأمر أو الحالة ، وفي المَثَل : « فلان جاء وفي رأسه خُطة » : أمْرٌ قد عَزَم عليه ، وفي الحديث : « إنه قد عرض عليكم خُطّة رُشْد فاقبلوها »[1] : أمراً واضحاً في الهدى والاستقامة ، وجمعها خُطَط [2] .

« والتخطيط في (علم الرسم والتصوير) : فكرةٌ مثبتةٌ بالرسم ، أو الكتابة في حالة الخطّ ، تدل دلالةً تامةً على مايُقصد في الصورة أو الرسم أو اللوح المكتوب من المعنى والموضوع ، ولايشترط فيها إتقانٌ »[3] ، ويستعمل التخطيط بما يقارب معنى التنظيم ، يُقال : نَظَم الأشياء : ألّفها وضَمّ بعضها إلى بعض ، ويُقال : نَظَمَ أمْرَه : أقامه ورتّبه [4] .

فالتخطيط للدعوة : يراد به وضع الخطط والنُّظُم لها ، ويقابله : الفوضى والارتجالية فيها . وقد يكون التخطيط كاملاً أو قاصراً ، مُتْقناً أو غير متقن .

ولأهمية التخطيط في الدعوة جعل الله لكل أمةٍ شريعة ومنهاجاً تسير عليه ، قال تعالى :

﴿ لكلٍ جعلنا منكم شِرعةً ومنهاجاً ﴾ [5] وسبق معنا أن المنهاج

---

(١) هذا قول « لعروة بن مسعود » قاله لقومه بمناسبة ماسمع منْ خطته ﷺ يوم الحديبية ، وهو في « صحيح البخاري » بلفظ : (فإن هذا قد عرض ...) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٢٧٣١ و ٢٧٣٢) و « الفتح » (٥/ ٣٣٠) .

(٢ ، ٣) « المعجم الوسيط » مادة (خطط)(١/ ٢٤٣) .

(٤) « المعجم الوسيط » مادة (نظم)(٢/ ٩٤١) .

(٥) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

هو الطريق الواضح ، والخطة والنظام .

وقد وضح التخطيط في سيرته ﷺ ، فقد سار في دعوته على خطة محكمة ، سواء في العهد المكي أو العهد المدني ، فقد وضَعَ لكل عهد خطته المناسبة له مُراعياً في ذلك حال الدعوة والمدعويين من حوله ، وموازناً بين الإمكانات والواجبات ، ناظراً في ذلك إلى المصالح القريبة والبعيدة للدعوة ،

وقد نَفَّذ كل خطة خَطْوةً خَطْوةً ، بعيداً عن الاستعجال ، متجرداً عن الرغبات والعواطف ، متجاوزاً الضغوط من حوله ومتجاهلاً لها ، حتى مكنه الله من الوصول بدعوته إلى أهدافها ، فأقام حكم الله في الأرض ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وأفشل خطط أعدائه وأبطل مكرهم . كما وجه أصحابه لمتابعة الخطة ، والتزام طريقته وسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده .

ثم أتى على الناس حينٌ من الدهر ، أغفل المسلمون فيه التخطيط ، وغفلوا عن أهميته ، فاضطربت دعوتهم ، وتعثّرت خطاهم ، وتمكّن منهم أعداؤهم ، فحاكوا لهم من الخطط ماأعجزهم [1]، فقابلوا تخطيطهم بنوع من الفوضى وردود الأفعال ، والارتجالية ... فكثرت الأخطاء الدعوية ، وتكررت في حياة الدعاة والعاملين ، مما جعل الحاجة كبيرة إلى التنبيه

---

(١) انظر على سبيل المثال « بروتوكولات حكماء صهيون » ففيها نماذج من تخطيط الأعداء ، وكتاب « التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي » الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة (جلين آيري) بولاية (كولورادو) في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨ م ، ونشرته دار (MARC) للنشر بعنوان :

« The Gospel And Islam A 1978 Compendium »

وكتاب « أحجار على رقعة الشطرنج » ، وكتاب « أجنحة المكر الثلاثة » للأستاذ عبد الرحمن حبنكة ... وغيرها ...

على أهمية هذه الوسيلة وضوابطها ،

من ضوابط وسيلة التخطيط الدعوي :

حتى يؤدي التخطيط الدعوي وظيفته ، لابد من ملاحظة بعض الضوابط والتوصيات ، من ذلك :

١ ـ أن يكون التخطيط من أهله ، وأهلُه : هم أهل الاختصاص والكفاءات العلمية والعملية في مختلف جوانب الحياة .

٢ ـ أن يكون التخطيط جماعياً : بعيداً عن التفردات الشخصية والجماعية ، بأن يجتمع معظم الدعاة من علماء ومفكرين في مختلف المجالات الدعوية ، ويختاروا نخبةً منهم تتفرغ لهذه المهمة ، يمدونها بآرائهم واقتراحاتهم ، ليضعوا الخطط اللازمة .

٣ ـ أن يكون متعقلاً : فلا يُبنى على ردود الأفعال والعواطف ، يُنْظر فيه إلى البعيد والمستقبل ، بعيداً عن الآنيّة والتعجّل .

٤ ـ أن يكون متوازناً : يحقق انسجاماً بين الواجبات والإمكانات ، فلا انسياق مع الواجبات مع الغفلة عن الإمكانات ، ولا وقوفاً عند الإمكانات المحدودة وجموداً عليها ...

٥ ـ أن يكون منضبطاً بالأحكام الشرعية ، فلا يخالف حكماً شرعياً ، ومقتبساً من منهج القرآن الكريم والسنة النبوية ... فإن القرآن يهدي للتي هي أقوم ...

إلى غير ذلك من ضوابط يلحظها العاملون ، ويؤكدها الواقع المؤلم (١) .

---

(١) راجع كتاب « خصائص مدرسة النبوة » للدكتور : كمال محمد عيسى . وكتاب « أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة » للدكتور يوسف القرضاوي ، وكتاب « رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر » للأستاذ محمد قطب .

المبحث الثالث

« نماذج عن الوسائل المادية »

سبق أن بيّنا في مقدمة هذا الفصل أننا نريد بالوسائل المادية جميع مايُعين الداعية على دعوته من أمور محسوسة أو ملموسة ، وأننا اصطلحنا على تقسيمها إلى ثلاثة أنواع :

١ ـ وسائل فطرية .

٢ ـ وسائل فنيّة (علمية) .

٣ ـ وسائل تطبيقية (عملية) .

ونظراً لكثرة هذه الوسائل ، سأكتفي بالإشارة إلى عدد منها ، مع تفصيل نماذج مختارة من هذه الأنواع :

فمن الوسائل المادية الفطرية : القول بجميع أشكاله ، والحركة بجميع أنواعها ، ومن أشكال القول : الحديث الفردي بين الداعي والمدعو ، والدرس والمحاضرة ، والموعظة العامة ، والخُطْبة ، وما إلى ذلك .

ومن أشكال الحركة : التنقُّلُ ، والسفر ، والهجرة ، والزيارات الدعوية وما إلى ذلك ...

ومن الوسائل المادية (الفنية) : الوسائل **اليدوية** : كالكتابة ، **والبصريَّة** : كالفانوس السحريّ ، والوسائل المقروءة مِنْ صُحف ومجلات وكتب وغيرها . **والسمعية** : كمكبر الصوت ، والمسجّلة ، والإذاعة

والهاتف ، **والسمعيّة البصريّة** : كالسينما ، والتلفاز ... **والمتنوعة** : كالتمثيل الذي تتوفر فيه غالباً جميع الأنواع السابقة ، لأن التمثيلية تكتب ، وتشاهد ، وتسمع ...

ومن الوسائل المادية التطبيقية : إعمار المساجد ، وإقامة الجماعات والمنظمات والجمعيات الدعوية بجميع أشكالها ، وإنشاء المدارس والجامعات ، والمشافي والمستوصفات ، وإقامة النوادي والمخيمات ، والمؤتمرات ... ومنها إقامة الدولة المسلمة ، وتطبيق الجهاد ... وما إلى ذلك من أمور تطبيقية عديدة ...

وسأقتصر على تفصيل وسيلة (القول) من الوسائل الفطرية ، ووسيلة « التلفاز » من الوسائل الفنية ، ووسيلة (التمثيل) من الوسائل الفنية المتنوعة ، ووسيلة « إقامة الجماعات والمنظمات الدعوية » من الوسائل التطبيقية .

مبيناً في كل وسيلة : تعريفها وأبرز خصائصها ، وحكمها وضوابطها ، وبعض المعالم من واقعها ، وبعض المسائل المتفرقة المتعلّقة بها بشكل إجمالي ينسجم مع طبيعة المدخل ، ويكون نموذجاً لدراسة غيرها من الوسائل الكثيرة .

* * *

١ ـ وسيلة القول :

تعريفها :

القول هو : كل لَفْظ مُفْهِمٍ نطق به اللسان ، ويقابله الصمتُ والسكوتُ .

قال تعالى : ﴿ خَلَقَ الإنسانَ عَلَّمه البَيان ﴾ (١) .

وأشكال القول والبيان كثيرة ، منها : الحديث الفردي ، والجماعي ، والقراءة ، والدروس ، والمواعظ والمحاضرات ، والخطب ...

أهميتها :

تبرز أهمية وسيلة القول من عدة وجوه ، منها :

أ ـ من حيث إنها وسيلةٌ فطرية متوفرة لدى جميع الناس إلا من شذ منهم بسبب خَرَسٍ أو نحوه ...

ب ـ اهتمام القرآن الكريم بها ، فقد ورد لفظ (قُلْ) في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثمئة آية ، كما جاءت مشتقّاتُه وتصريفاته في القرآن في أكثر من أَلْفَيْ آية ...

جـ ـ استخدام جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لها ، فما من رسول إلا وقد قال لقومه شيئاً وبَيَّن لهم ، قال تعالى :

﴿ وماأَرْسَلْنا مِنْ رَسولٍ إلا بِلِسانِ قَوْمه لِيُبَيِّنَ لهم ﴾ (٢) .

---

(١) الآيات / ٣ ـ ٤ / من سورة الرحمن .

(٢) الآية / ٤ / من سورة إبراهيم عليه السلام .

وقال :

﴿ وإذْ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ الذين أُوتوا الكتابَ لتُبيِّنُنهُ للناس ولاتَكْتُمونه ... ﴾ (١) .

وقال عن عدد من الرسل الكرام :

﴿ فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ... ﴾ (٢) .

د ـ كثرة أقواله ﷺ التي جمعت في كتب السنة ، والتي تمثل السنة القولية الشريفة .

من ضوابطها :

لابد لوسيلة القول من ضوابط تضبطها لتؤدي وظيفتها الدعوية ، ويمكننا إجمال بعض ضوابطها فيما يأتي :

١ ـ أن يكون القول مشروعاً صادقاً ، قال تعالى :

﴿ ولاتَقولوا لما تَصِفُ أَلْسِنَتُكم الكذبَ ، هذا حلالٌ وهذا حرام ﴾ (٣) وقال :

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ﴾ (٤) .

وقال :

---

(١) الآية / ١٨٧ / من سورة آل عمران .

(٢) انظر الآيات / ٥٩ ـ ٧٣ ـ ٨٥ / من سورة الأعراف ، والآيات / ٥٠ ـ ٦١ ـ ٨٤ / من سورة هود عليه السلام .

(٣) الآية / ١١٦ / من سورة النحل .

(٤) الآية / ٧٠ / من سورة الأحزاب .

﴿ قل : إنما حَرَّمَ ربِّي الفواحشَ ماظَهَرَ منها ومابَطَنَ ، والإثمَ والبَغْيَ بغير الحق ، وأَنْ تشركوا بالله مالم يُنَزِّلْ به سلطاناً ، وأَنْ تقولوا على الله مالا تَعْلمون ﴾ (١) .

٢ ـ أن يكون القول لطيفاً حسناً ، قال تعالى :

﴿ فَبِما رَحْمةٍ من الله لِنْتَ لهم ، ولو كُنْتَ فَظاً غليظَ القول لانفَضُّوا مِنْ حولك ... ﴾ (٢) وقال :

﴿ لايُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بالسّوء مِنَ القول إلا من ظُلِمَ ﴾ (٣) وقال :

﴿ وقولوا للناس حُسناً ... ﴾ (٤) وقال :

﴿ فقولا له قولاً ليّناً لعله يَتَذكَّر أو يَخْشى ﴾ (٥) .

٣ ـ أن يُطابق القول العمل ولايخالفه ، قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون * كَبُرَ مَقْتاً عند الله أَنْ تقولوا مالا تفعلون ﴾ (٦) . وقال :

﴿ ومِنَ الناس مَنْ يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ، وماهم بمؤمنين * يُخادعونَ اللهَ والذين آمنوا ... ﴾ (٧) وقال :

---

(١) الآية / ٣٣ / من سورة الأعراف .

(٢) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

(٣) الآية / ١٤٨ / من سورة النساء .

(٤) الآية / ٨٣ / من سورة البقرة .

(٥) الآية / ٤٤ / من سورة طه .

(٦) الآية / ٢ ـ ٣ / من سورة الصف .

(٧) الآية / ٨ ـ ٩ / من سورة البقرة .

﴿ وما أُريدُ أَنْ أخالِفَكم إلى ماأَنْهاكم عنه ﴾ [١] .

٤ ـ أن يكون القول بَيّناً واضحاً ، قال تعالى :

﴿ وما أَرْسَلْنا مِنْ رسولٍ إلا بلسانِ قومه لِيُبَيِّنَ لهم ﴾ [٢] .

وجاء في الحديث الشريف :

« كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فَصْلاً (أي بيناً ظاهراً) يفهمه كل من يسمعه » [٣] . وجاء أيضاً :

« أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تُفهم عنه ... » [٤] .

٥ ـ أن يكون القول بعيداً عن التقعير بالتشدّق وتكلف الفَصَاحة ، واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم [٥]: فقد جاء في الحديث :

« إن الله يُبغض البليغ من الرجال الذي يتخلّلُ بلسانه كما تتخلّل البقرة »[٦] وجاء أيضاً :

« إن من أحبكم إلي ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ، أحاسنكم

---

(١) الآية / ٨٨ / من سورة هود عليه السلام .

(٢) الآية / ٤ / من سورة إبراهيم عليه السلام .

(٣) الحديث رواه أبو داود في سننه ، وهو حديث حسن انظر رقم (٤٨٣٩) وانظر تعليق الرباح والدقاق على « رياض الصالحين » ص : ٣١٣ .

(٤) الحديث رواه البخاري انظر رقم (٩٤ و ٩٥) و « فتح الباري (١/١٨٨) .

(٥) هذا عنوان باب في « رياض الصالحين » ، للإمام النووي انظر ص : ٦٥٧ ، تحقيق الرباح والدقاق .

(٦) الحديث رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حَسَن ، انظر « سنن أبي داود »(٥٠٠٥) و « سنن الترمذي » (٢٨٥٧) .

أخلاقاً ، وإن أبغضكم إلي ، وأبعدكم مني يوم القيامة : الثَّرْثَارون ، والمُتَشَدِّقون ، والمُتَفَيْهِقون »[1] وقد فسر الإمام النووي في رياض الصالحين هذه الأوصاف بقوله :

« الثرثار : هو كثير الكلام تكلفاً ، والمتشدّق : المتطاول على الناس بكلامه ، ويتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعظيماً لكلامه ، والمتفَيْهِق : أصله من الفَهْق ، وهو الامتلاء ، وهو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ، ويُغرِبُ به تكبراً وارتفاعاً ، وإظهاراً للفضيلة على غيره ... »[2] .

إلى غير ذلك من مظاهر الحكمة في القول ، وآداب البيان والموعظة التي لاتخفى على الداعية الحكيم ، فقد جاء عن رسول الله ﷺ :

« إن طول صلاة الرجل ، وقِصَر خطبته مَئِنَّةٌ من فقهه ، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة »[3] .

وجاء أيضاً عن موعظة رسول الله ﷺ :

« كان رسول الله ﷺ يتخولّنا بالموعظة في الأيام كراهةَ السآمة علينا »[4] .

تنبيه :

إنه مع أهمية وسيلة « القول » والأمر بها ، فقد نبهنا الشارع

---

(١) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حَسَن ، انظر رقم (٢٠١٩) .

(٢) « رياض الصالحين » ص : (٢٨٩ ــ ٢٩٠) .

(٣) الحديث رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » رقم (٨٦٩) ، ومعنى « مَئِنَّةٌ من فقهه » أي : دلالةٌ عليه ، انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/٢٩٠) .

(٤) الحديث متفق عليه ، انظر «صحيح البخاري مع الفتح» (٦٨ و ٧٠ و ٦٤١١) و «الفتح» (١٦٢/١ و ١٦٣) و (٢٢٨/١١)، و «صحيح مسلم» رقم (٢٨٢١).

إلى أهمية التحفُّظ منها والتريث في الكلام ومراقبته ، فقد جاء في الحديث الشريف :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقُلْ خيراً أو ليصمت »[1]

وجاء أيضاً :

« وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ، لايُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم »[2] .

وجاء في حديث معاذ رضي الله عنه ، بعد أن بين له رسول الله ﷺ أبواب الخير :

« ... ألا أخبرك بِملاكِ ذلك كلّه ؟ قلت : بلى يارسول الله ، فأخذ بلسانه قال : كُفَّ عليك هذا ، قلتُ : يارسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : ثكلتك أمك ، وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟ ! »[3].

فلا يصح للداعية أن يشغله فضل القول عن خطره ، فقد روي عن بعض السلف أنهم كانوا يضعون الحصاة تحت لسانهم ، حتى لايُسرع لسانهم إلى الكلام ، ويكفي المؤمن تحذيراً من فتنة القول ، قوله تعالى :

﴿ مايَلْفِظُ من قَوْلٍ إلا لَدَيْه رقيبٌ عَتيد ﴾ [4] وقوله :

---

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٦٠١٨ و ٦٠١٩) و « الفتح » (١٠/٤٤٥) و « صحيح مسلم » رقم (٤٧) .

(٢) رواه البخاري (٦٤٧٨) وانظر « الفتح » (١١/٣٠٨) .

(٣) الحديث رواه الترمذي وقال :حديث حسن صحيح ، انظر « سنن الترمذي » رقم (٢٦١٩) .

(٤) الآية / ١٨ / من سورة (ق) .

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَه بألسِنَتِكم ، وتَقُولونَ بأَفواهِكُم مالَيْسَ لكم به عِلْم ، وتَحْسَبونَهُ هَيِّناً ، وهو عِنْد الله عظيم ﴾ [1] .

* * *

(١) الآية / ١٥ / من سورة النور .

٢ ـ وسيلة التلفاز :

تعريفها :

التِلْفاز أو التلفِزْيون هو : اصطلاح مُوَلَّدٌ عَرَّفه صاحب المعجم الوسيط بأنه « جِهازٌ نَقْل الصور والأصوات بوساطة الأمواج الكهربية » واجتهد بعضهم في تسميته بـ « الرائي » [١] .

وهو من الوسائل العلمية والفنية التي جمعت بين خصائص الوسائلِ السمعية والبصرية ، وقد انتشر في العصر الحديث بعد اختراعها انتشاراً كبيراً ، حتى لايكاد يخلو من التلفاز بيت من بيوت الناس ...

أهميتها :

تبرز أهمية هذه الوسيلة الحديثة من عدة وجوه ، منها :

أ ـ اجتماع أهم خصائص الوسائل السمعية والبصرية فيها ، وذلك مثل :

١ ـ الامتداد الزماني والمكاني ، حيث تستغرق هذه الوسيلة الزمان في البث ، وقد لاتخلو ساعة من بث تلفازي من بلد من البلدان ، كما تخترق الحواجز الجغرافية ، فلا يقف أمامها بُعْدٌ أو قرب ، ولاسيما بعد اختراع الأقمار الصناعية ...

٢ ـ تنوع موضوعاتها التي تبث فيها بحيث تلامس حاجات الناس ورغباتهم المتعددة .

٣ ـ سهولة الاستماع إليها والمشاهدة لها ، فلا تكلف جهداً كبيراً ،

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (تلف)(٨٦/١) .

ولاتتطلب وقتاً خاصاً ، فيسمعها السامع قائماً وقاعداً ، وعلى الطعام وأثناء الكلام ، وعند التمدد للنوم وهكذا ...

ب ـ شدة جاذبيتها للناس ، حيث ترتكز على حاسة السمع والبصر معاً ، ومن هنا نجد المشاهدين لها والمتابعين للبث فيها أكثر بكثير من المتابعين للإذاعة وحدها أو للصحف ... وقد برزت جاذبيتها بما تطورت إليه من بث مُلَوَّن جذاب ...

جـ ـ كثرة توفرها ورخص ثمنها حَيْثُ تسابقت الشركات العالمية في صناعتهاوتصديرها وتقليل ثمنها ... وكثرت أماكن عرضها وبيعها ...

د ـ تنوع المشاهدين لها والمتابعين لبرامجها من الكبار والصغار ، والرجال والنساء ، والمثقفين وغيرهم ...

وما إلى ذلك من خصائص تجعلها من أخطر الوسائل الحديثة انتشاراً [1] .

واقعها :

التلفاز وسيلة مادية تصلح لأن تستعمل للخير أو الشر ، إلا أنها بحكم الدول التي اخترعتها ، والأيدي التي تتولى عليها غالباً ماتستخدم

---

(١) راجع في هذا كتاب « المسرح الإسلامي روافده ومناهجه » لأحمد شوقي قاسم ص(٤٠٠ ـ ٤٠١) وكتاب « وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة » لمحمد موفق الغلاييني ، و « التمثيلية التلفازية واستخدامها في مجال الدعوة » للباحث : محمد حسن هادي ، المقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الإعلام بالمعهد العالي للدعوة في المدينة عام ١٤٠٥ و ١٤٠٦ هـ ، وكنت مشتركاً في الإشراف عليه ص : ٢٧ وما بعدها .

للشر ، إما رغبة في إشاعة الأفكار السيئة ، والعادات القبيحة عن قصد وتخطيط ، وإما إشباعاً لرغبات الناس المتنوعة ، وجذباً لهم دون مراعاة للضوابط الشرعية والخلقية عن إهمال وغفلة ... وإما ملءاً للفراغ مع قلة البرامج الخيّرة وندرتها ، رغبةً في الإكثار من ساعات البث ... وما إلى ذلك من أسباب ودوافع تختلف من بلد إلى آخر ...

وقد قصَّر الدعاة كثيراً في معالجة هذه الوسيلة ، واختلفت مواقفهم منها ، فمنهم من قاطعها وهجرها وابتعد عنها ... ومنهم من شارك فيها مشاركة فردية أو ارتجالية لم تُجد في إصلاح واقعها ، ومنهم من حارب وجودها ، وكسَّر أجهزتها ، أو حَرَّم دخولها إلى بيته وهكذا ...

وعلى الرغم من تنوع هذه المواقف تجاهها ، لم يحصل تغيير يذكر في واقعها ، وإنما كثر شيوعها وانتشارها ، وعظم تأثيرها في الكبار والصغار ، وأقبل الناس عليها مستسلمين لواقعها ، مستقبلين ماتبثه عليهم من خير أو شر ، وإن غالب ماتبثه مَشُوبٌ اختلط فيه الحلال بالحرام ، وإن كان يختلف قلة وكثرة من بلد إلى آخر ...

واشتد خَوْف الدعاة المصلحين مما تطور إليه البث التلفازي ، وما وصل إليه من استقبال البث المباشر عن طريق القمر الصناعي الذي يبث فيه من أنحاء الدنيا ماتريد الدول بثه من برامج ، وما تدعو إليه من دعوات .

حتى فكر بعضهم بالمعالجات السلبية من تشويش على بعض القنوات ، ومَنْعٍ من استيراد بعض الأجهزة الحديثة المعينة على استقبال البث المباشر ... وهكذا ...

حكمها :

لقد اشتملت وسيلة « التلفاز » نظراً لما يُعرض فيها على ثلاثة أنواع من أنواع الوسائل من حيث حكمها ، وهي :

١ ـ الوسيلة المباحة : نظراً لما يبث فيها من خير أو مباح .

٢ ـ الوسيلة المشوبة : نظراً للبرامج المشوبة الكثيرة التي اختلط فيها الخير بالشر ، والحلال بالحرام .

٣ ـ الوسيلة المختلف في حكمها : نظراً لما تقوم عليه من أنواع التصوير الذي اختلف العلماء في حكمه ...

وهذا التنوع جعل الحكم عليها صعباً ومُعَقَّداً ، كما جعل عملية علاجها عسيرةً وشاقّة ...

فلا يستطيع المسلم أن يحكم بتحريمها مطلقاً لمجرد غلبة الشر عليها ، إذ أن هذه الغلبة تتفاوت من مكان إلى آخر ، ومن قناة إلى أخرى ، بل من برنامج إلى برنامج ...

كما لا يستطيع أن يحكم بحلها مع ماخالط برامجها من محرمات ومفاسد .. ولا يستطيع أن يعاملها معاملة المختلف فيه من كل وجه ، لأن كثيراً من المحرمات والمفاسد التي تعرض فيها ليست من المختلف فيه ...

لذا ، أرى أن يفصل في حكمها تبعاً لحال السائل والمستفتي فيقال مثلاً :

« يحرم استعمالها على من عَرَفَ من نفسه عدم القدرة على ضبطها والتحكم فيها في نفسه وأسرته ، ويجوز استعمالها لمن عرف

من نفسه القدرة على ضبطها والتحكم فيها في نفسه وأسرته » .

إلا أن هذا التحكم فيها والضبط لها لابد له من تربية عملية دقيقة يشرف عليها الآباء والمربّون ، ومن ضوابط شرعية واضحة يتقيدُ بها المسلمون ، يعرفون بها الحلال والحرام ، وما تجوز مشاهدته وما لاتجوز مشاهدته ...

وبغير هذين الأمرين : التربية والإشراف ، ووضع الضوابط الشرعية ، يصعب أن تتصور السلامة من استخدام هذه الأجهزة بوجه من الوجوه ـ كما هو واقع كثير من البيوت المسلمة التي دخلها التلفاز ، والتي لم يدخلها ـ .

وقد سبق لي منذ سنوات أن تعاونت مع بعض الإخوة الدعاة على وضع هذه الضوابط وتطبيق تلك التربية والإشراف تطبيقاً دقيقاً على مستوى بيوتنا وبيوت من يلوذ بنا ، وقد أثبتت التجربة العملية مبدئياً : أن البيت المنضبط ، الحريص على سلامة دينه ودنياه ، والواعي لخطر هذه الوسائل وأشباهها يمكنه أن يسلم من شر هذه الأجهزة الخطيرة بنسبة كبيرة والحمد لله ، ولاتزال التجربة بحاجة إلى متابعة وملاحظة ، وتسديد وترشيد من قبل المهتمين والمعنيين ...

وقد كنت قبل هذه التجربة ، أتحمّسُ لرأي المعارضين لهذه الأجهزة والهاجرين لهذه الوسائل ، ولكنني وصلت بعد اهتمام طويل ، ودراسة دقيقة ، ومتابعة متواصلة لواقع كثير من بيوت المسلمين إلى ضرورة إدخالها البيوت ضِمْن إطار خطة تربوية دقيقة ، ووضع ضوابط شرعية واضحة ... وذلك لمن عرف من نفسه القدرة على ذلك كما سبق .

فإن الطفل المسلم الذي يُدَرَّبُ على أسلوب التحكم في هذه الأجهزة

من صغره ، أقدر من غيره عند الكبر على التحكم فيها والانضباط بالضوابط الشرعية في استخدامها ، ومن السهل أن يُنَشَّأ الطفل على التحكم والانتقاء في بيت منضبط يحرص على ذلك ... كما هو الشأن في تعامل البيوت مع الأجهزة المنزلية الخطيرة الأخرى ، كالأفران الغازية أو الكهربائية وما إليها ...

أما الطفل الذي يحجز عن هذه الأجهزة حجزاً كاملاً توقّياً لخطرها ، كثيراً مايكون أوّلَ ضحية لها ولأسلوب استخدامها عندما تحين فرصة لاستخدامها ، أو تدفعه رغبة إليها ...

فليحرص الآباء والمربّون على تقديم هذه التجربة لأبنائهم وأسرهم ، قبل أن تغزوهم في عقر دارهم مستقبلاً ، وتتحكّم فيهم مستفيدة من عقدة الحرمان ، ومستغلة الغرائز والشهوات ... وليذكروا دائماً مسؤوليتهم في التربية والتعليم ، وليستجيبوا لنداء الله عز وجل لهم :

﴿ ياأيها الذين آمنوا قُواأَنْفُسَكم وأَهْليكُم ناراً وَقُودُها الناسُ والحِجَارةُ ، عليها ملائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لايَعْصون الله ماأَمَرَهُم ، ويَفْعلون مايُؤْمَرون ﴾ (١) وقوله :

﴿ قُلْ إنَّ الخاسرين الذين خَسِروا أَنْفُسَهم وأَهْليهم يومَ القيامة ، أَلَا ذلك هو الخُسْرانُ المبين ﴾ (٢) .

---

(١) الآية / ٦ / من سورة التحريم .

(٢) الآية / ١٥ / من سورة الزمر .

٣ ـ وسيلة التمثيل :

تعريفها :

التمثيل لغة : التشبيه ، يقال : مَثَّل الشيء بالشيء تمثيلاً وتَمثالاً : شبَّهَهُ به وقدره على قدره ...[١]

ومَثَّلَ له تمثيلاً : صوره له بكتابة أو غيرها حتى كأنه ينظر إليه [٢] ، قال تعالى :

﴿ فَتَمَثَّلَ لها بَشَراً سَوِيّاً ﴾ [٣] .

والتمثيل في الاصطلاح : عرفه بعضهم بقوله :

« عَرْضٌ حيٌّ لقصةٍ وأصحابها ، واقعةً أو متخيَّلة »[٤] وعرفه آخرون بقولهم :

« تجسيد الحادثة التاريخية أو الواقعة الاجتماعية أو الموقف السياسي ، أو الفكرة التوجيهية ... بشخصيات بشرية ، أو صور مادية وحسية » [٥] .

والتمثيل فَنٌّ قديم عُرِفَ عند اليونان وغيرهم ، ولم يدخل حياة المسلمين في عصورهم الأولى ، وعَرَفَ المسلمون أنواعاً مُبَسَّطةً منه في

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (مثل)(٨٥٣/٢) .

(٢) انظر « تاج العروس » للزبيدي مادة (مثل)(١١١/٨) .

(٣) الآية / ١٧ / من سورة مريم .

(٤) انظر بحث « التمثيل حقيقة وحكماً » لبكر بن عبد الله أبو زيد ص ٦ .

(٥) انظر « حكم الإسلام في وسائل الإعلام » للدكتور عبد الله علوان ص ٤٠ و ٤١ نشر دار السلام .

العصور المتقدمة عرفت بـ « خيال الظل » وتمثيل الوعاظ والمعلمين ، ثم أصبح في عصرنا هذا فناً مستقلاً له رواده ومدارسه وأشكاله [1] .

أهميتها :

تظهرأهمية التمثيل كوسيلة من الوسائل في هذا العصر ، من وجوه عدة ، منها :

١ ـ جمعها بين خصائص الوسائل اليدوية والسمعية والبصرية في وقت واحد ، مما زاد في جاذبيتها وإقبال الناس عليها .

٢ ـ تنوع أشكالها وموضوعاتها ، فمنها : المأساة ، والملهاة ، والشعبية ، والهزلية ...

ومنها : المُسَلْسَلَةُ والسِلْسِلَة وغيرها [2] .

وبهذا أصبحت التمثيلية أكثر البرامج التلفازية جذباً للمشاهدين ، وتعد أنجح أسلوب في عصرنا لربط الجماهير الغفيرة بعملية المتابعة بتلهف وشغف ، فهي تجتذب المشاهدين وتملك عليهم عقولهم ، وتأسر أفئدتهم ...[3]

حكمها :

اختلف العلماء اليوم في حكم التمثيل اختلافاً واسعاً ، كما رويت عن بعض العلماء السابقين أقوالٌ بمنع بعض أشكاله التي عرفت في

---

(١) انظر بحث « التمثيل حقيقة وحكماً » ص : (٧ ـ ٩) .

(٢) انظر بحث « التمثيلية التلفازية واستخدامها في مجال الدعوة » ص : (٥٦ ـ ٧٠) .

(٣) راجع بحث « التمثيلية التلفازية » لمحمد حسن هادي ص : (٢٦ وما بعدها) .

زمانهم ، حتى روي عن بعضهم تكفير من تشبه بالمذكرين والوعاظ والمعلمين ، فَسَألوا المسائِلَ وهم يَضْحكون ويَسْتهزئون ... كما روي عن بعضهم عدم التكفير به ...[1]

وقد شدد في حكمه بعض المُحْدَثين حتى كاد أن يصل فيه إلى التحريم القطعي المعلوم من الدين بالضرورة وجعله من أكبر الكبائر [2] .

وفَرّقَ آخرون بين نوع وآخر ، فحرم هذا وأباح هذا ، وكره ذاك ..[3] كما أباحه آخرون بشروط وضوابط [4] .

ونظراً لدقة البحث في حكم التمثيل وكثرة الاختلاف فيه من جهة ، ولقناعتي بحاجة المسألة إلى مزيد من المتابعة والبحث العلمي من جهة أخرى ، أرى أن نعاملها اليوم معاملة الوسائل المختلف في حكمها ، وقد سبق معنا في المبحث الأول من هذا الفصل ضوابط ذلك .

ويمكنني أن أجمل الأقوال فيه وأدلتها بما يلي :

١ ـ ذهب قوم إلى تحريمه تحريماً قاطعاً ، وجعله من أكبر الكبائر ـ كما فعل الشيخ أحمد الغماري ـ واستدل على ذلك بأدلة كثيرة عامة ،

---

(١) انظر مانقله بكر بن عبد الله أبو زيد عن الإمام النووي وابن حجر الهيثمي في بحثه « التمثيل حقيقة وحكماً » ص : (١٣) .

(٢) كما فعل الشيخ أحمد الغماري في كتابه « إقامة الدليل على حرمة التمثيل » ص : (٥ ـ ٦) .

(٣) انظر كتاب « البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد » لعبد الله بن عبد الرحمن السليماني ، ففيه نماذج لهذه الأقوال والفتاوى . وممن ذهب إلى الكراهة : الشيخ صالح اللحيدان ، انظر ص : (٤٦ و ٤٧) من هذا الكتاب .

(٤) راجع كتاب « حكم الإسلام في وسائل الإعلام » للدكتور عبد الله علوان ص : (٤٠) وما بعدها ، و كتاب « حكم التمثيل في الدعوة إلى الله » للشيخ أبي عبدالرحمن عبدالله بن محمد آل هادي .

وساقها بأسلوب بعيد عن الأدب العلمي ، واحترام رأي المخالف ، حتى كادأن يُخرج مَنْ قال بحله عن الدين ، ولعل أقوى ماستدل به على قوله أن التمثيل نوع من اللهو الباطل ، ونوع من الكذب ، والتشبه بالكفار ... ومادام الكذب محرماً قطعاً ، فيكون التمثيل كذلك ...[1]

٢ ـ وذهب بعضهم إلى تحريمه معتمداً في ذلك على ترك الرسول ﷺ له في عهده ، كما فعل الدكتور : عمارة نجيب في كتابه « فقه الدعوة والإعلام »[2] وما إلى ذلك من أدلة .

٣ ـ وذهب آخرون إلى تحريمه أيضاً معتمدين في ذلك على أن التمثيل أول مانشأ كان شعاراً تعبّدياً للكفار ، وقد نهي المسلمون عن تقليدهم والتشبه بهم ، هذا عن التمثيل في مجال العادات واللعب ، أما التمثيل الديني : فهو في نظرهم ماجاء على سبيل التعبد ، والعبادات موقوفة على النص ومورده ، فيكون حراماً لأنه مُحْدَثٌ وسموه (بالتمثيل البدعي)[3] ، وممن ذهب إلى هذا الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في بحثه المقدم لمجّمع الفقه الإسلامي في منظمة المؤتمر الإسلامي ، والشيخ حمود بن عبد الله التويجري[4] وغيرهم .

---

(١) راجع كتاب « إقامة الدليل على حرمة التمثيل » ص : (٦ ـ ٣٥) .

(٢) انظر كتاب « فقه الدعوة والإعلام » ص : (٢١٥ و ٢١٦) ، نشر مكتبة المعارف بالرياض عام ١٩٨٧ م .

(٣) انظر بحث « التمثيل حقيقة وحكماً » ص : (١١ و ٢٣) .

(٤) انظر كتاب « البيان المفيد » ص : (٤١) .

٤ ـ وذهب آخرون إلى إباحته بشروط وضوابط ، وتحريم أنواع خاصة منه ، كتمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو الصحابة الكرام ، وما إلى ذلك ، وممن ذهب إلى هذا الشيخ صالح الفوزان [١] ، والشيخ صالح بن محمد اللحيدان [٢] ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين [٣] ، والشيخ عبد الله علوان [٤] ، والشيخ مصطفى الزرقا وعدد من العلماء والباحثين المعاصرين [٥] .

وقد سبق للمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، أن وَجّه أسئلة واستفتاءات علمية حول بعض الوسائل الحديثة التي يحتاج إليها قسم الإعلام فيه إلى بعض العلماء والمؤسسات العلمية ، وكان من هذه الوسائل التصوير الفوتغرافي والتلفازي ، والتمثيل ... فوصل إليه عدد من الإجابات من بعض الهيئات والعلماء ، ينصُّ معظمها على حكم الإباحة بشروط [٦] .

واستدل معظم من قال بالإباحة ، بأنها الأصل في هذه الأمور ،

---

(١) انظر كتاب « البيان المفيد » ص : (٥١) .

(٢) انظر « المصدر السابق » ص : (٤٦ ـ ٤٧) .

(٣) انظر « المصدر السابق » ص : (١٠ و ١١ و ١٨) .

(٤) انظر كتاب « حكم الإسلام في وسائل الإعلام » ص : (٤٠ وما بعدها) .

(٥) وانظر بحثاً عن « ظاهرة فن التمثيل » مقدم لمجمّع الفقه الإسلامي للدكتور : محمد عبد اللطيف فرفور ، نشرته صحيفة « أخبار العالم الإسلامي » في ٢١/ رمضان ١٤١٠ هـ ، العدد / ١٦٦ / السنة الخامسة والعشرون .

(٦) تمَّ ذلك عام / ١٤٠٥ / هـ ، وعندي نسخة عن هذه الإجابات ، نظراً لاختياري عضواً في لجنة دراستها .

واكتفوا بمناقشة أدلة المحرمين وتضعيف دلالتها على التحريم (١) ، وتوسّع بعضهم في الاستدلال عليها ببعض النصوص الشرعية العامة التي احتوت نوعاً من أنواع التمثيل والتشبيه بصور مادية ، أو أشخاص بشرية (٢) .

ونظراً لعدم استيفائي البحث في هذه المسألة الخلافية الدقيقة ، أكتفي ببعض الملاحظات والتعليقات العلمية على بعض الأقوال السابقة ، فمن ذلك :

١ ـ لايصح الاستدلال في هذا المقام على التحريم : بأن التمثيل كان شعاراً للكفار قديماً ، لأن العلماء أوضحوا بأن الأمر الذي كان شعاراً لكافر ، إذا خرج عن كونه شعاراً لهم ، جاز فعله (٣) ، ولايخفى أن التمثيل اليوم عَمَّ بوجه لم يعد فيه شعاراً لقوم دون غيرهم .

٢ ـ لايصح القول « بأن الدعوة إلى الله توقيفيةٌ في وسيلتها وغايتها ، والوسيلة لاتبررها الغاية ، وهذه الوسيلة تعبدية محدَثة فسبيلها الرد ابتداءً »(٤)، وذلك لأن الوسائل الدعوية كغيرها من الوسائل

(١) انظر مثلاً ما فعله الشيخ محمد بن صالح العثيمين في كتاب « البيان المفيد » ص : (١١ ــ ١٣) حيث نفى أن يكون التمثيل من الكذب الحرام .

(٢) انظر مثلاً ما فعله الشيخ عبد الله علوان في كتابه « حكم الإسلام في وسائل الإعلام » ص : (٤٠ ــ ٤٩) ، وما فعله كل من الشيخ صالح الفوزان ، والشيخ ابن عثيمين ، والشيخ مناع القطان في مقابلات أجراها معهم الباحث « محمد حسن هادي » في بحثه (التمثيلية التلفازية) ص : (١٨٠ و ١٩٠) .

(٣) انظر « فتح الباري » (١٠/٢٧٥ و ٣٠٧) الطبعة السلفية .

(٤) انظر قول بكر بن عبد الله أبو زيد في بحثه « التمثيل حقيقة وحكماً » ص : (٢٠) .

التي يستخدمها المسلمون في حياتهم ، متطورة من عصر إلى عصر ، ويكفي فيها أن تكون محكومة بالضوابط الشرعية التي أوضحتها في المبحث الأول من هذا الفصل ، والفرق واضح بين جعل الشي تعبدياً توقيفياً ، وبين كونه محكوماً بالحكم الشرعي !!

٣ ـ ولايصح أيضاً القول بأن « التمثيل الديني » اليوم يعني « التعبدي »[١] ، فالتعبدي : ماكان على سبيل التعبد والتقرب إلى الله به ، والديني في الاصطلاح : هو ماكان مضمونه دينياً ، سواء كان قصة دينية ، أو تمثيلاً لغزوة من الغزوات ، أو تجسيداً لخلق إسلامي كريم وهكذا ...

٤ ـ ولايصح الاستدلال (بترك) الرسول ﷺ للفعل على تحريمه هكذا بإطلاق ، كما فعل الدكتور (عمارة نجيب)[٢]، وإنما لابد من تقييد الترك بثبوت وجود المقتضي للفعل في زمنه قطعاً ، وهذا يصعب إثباته في معظم ماتركه ﷺ أو تركه السلف الصالح ، ومن هنا لم يُدْخِلْ أحد من علماء السلف في تعريف السنة تركَهُ ﷺ للشيء،وإنما عرفوها بأنها ماصدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ـ كما سبق في بيان أصول الدعوة ـ .

وقد استقر منهج الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم على أن الأمر الجديد الذي لم يفعله رسول الله ﷺ ينظر فيه من حيث ذاتُه ، فإن كان خيراً يُفْعل ، وإلا تُرِكَ ، كما تم بعد المناقشة في ذلك بين الخليفتين

---

(١) انظر قول بكر بن عبد الله أبو زيد في بحثه « التمثيل حقيقة وحكماً » ص : (١١) .

(٢) انظر كتاب « فقه الدعوة والإعلام » ص : (٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧) .

الراشدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في مسألة « جمع القرآن » ، حيث استدل أبو بكر رضي الله عنه أولاً بقوله : « كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟! » وأجابه عمر رضي الله عنه بقوله : « والله إنه خير » ، ثم قال أبو بكر : « فلم يزل عمر يراجعني ، حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر » ،

وبمثل هذا الجواب أجاب الخليفتان رضي الله عنهما زيْد بن ثابت رضي الله عنه لما استَشْكَلَ الإشكال نفسه فقالا : والله إنه خير ...[1] فكانت هذه سنة راشدة ثابتة ، والله أعلم .

* * *

(١) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٤٩٨٦) و (٤٩٨٧) و « الفتح » (٩ / ١٠ و ١١) .

٤ ـ وسيلة إقامة الجماعات والمنظمات الدعوية :

تعريفها :

غالباً ماتطلق الجماعات والمنظمات الإسلامية على المؤسسات الدعوية ذات الأهداف العامة ، كما تطلق (الجمعيات) و (الهيئات) على المؤسسات الدعوية ذات الأهداف الخاصة ، فيقال : جماعة دعوية ومنظمة دعوية ، كما يقال : هيئة خيرية ، أو جمعية خيرية وهكذا ...

ويمكننا أن نعرف الجماعات والمنظمات الإسلامية بأنها :

« مجموعةٌ من الناس ، التقت على هدف واحد ، ضِمْنَ إطار تنظيمي واحد » .

أنواعها :

ويمكن أن نُقسم الجماعات والمنظمات الإسلامية إلى نوعين أساسيين :

أ ـ المنظمات الرسمية .

ب ـ المنظمات الشعبية .

ونريد بالمنظمات الرسمية : ماكان له طابع رسمي كالدولة ، أو كان منبثقاً عن الدولة ، أو معترفاً به من جهة الدولة : وذلك مثل :

رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة ، والرئاسة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية ، والندوة العالمية للشباب فيها . وما إلى ذلك ...

ونريد بالمنظمات الشعبية : ماليس له طابع رسمي ، وأنشأه أفراد ،

ولم تعترف بها الدولة ، وذلك مثل :

جماعة الإخوان المسلمين في بعض الدول الإسلامية ، والجماعة الإسلامية في باكستان والهند في بعض أحوالها ، وجماعة التبليغ في الهند وما إلى ذلك من جماعات إسلامية شعبية كثيرة ...

كما يمكن أن تقسم المنظمات والجماعات تقسيمات أخرى بحسب أهدافها وأعمالها ، أو بحسب انفتاحها وانغلاقها ، وما إلى ذلك من اختلافات جوهرية في أهدافها أو طبيعتها .

نشأتها :

أول من أنشأ جماعةً إسلامية بالمعنى العام في تاريخ الإسلام والمسلمين هو سيدنا الرسول ﷺ ، حيث كوَّن جماعةً مسلمة شعبية في مكة المكرمة ، ثم تحولت إلى جماعة رسمية في المدينة المنورة ، حيث صار للمسلمين دولة تضمهم وتنظم أمورهم ...

واستمرت هذه الجماعة بعده ﷺ يرعاها الخلفاء من بعده ، تقوى أحياناً وتضعف أحياناً حتى سقوط الخلافة الإسلامية ،

وانبثقت عَنْ هذه الجماعةِ الدعويةِ (الدولةِ المسلمة) جميعُ المؤسسات الدعوية والمنظمات على مر العصور الإسلامية ، لأن الدولة المسلمة تُعَدُّ في حقيقتها أكبر المؤسسات الدعوية ، التي قامت على أساس الإسلام ، ومن أجل الحفاظ عليه وتطبيق حدوده وأحكام الله في الأرض ، ومن ثَمَّ نشرُه في العالم كله ...

ولاتزال تنبثق عن الدول المسلمة القائمة اليوم بعض المؤسسات والمنظمات الدعوية هنا وهناك ...

أما المؤسسات الشعبية والجماعات الإسلامية الأخرى ، فقد نشأت الحاجة إليها في العصر الحديث ، ولاسيما بعد سقوط الخلافة ، وفَقْدِ المسلمين الدولة المسلمة في كثير من أوطانهم ، حيث رأى بعض الدعاة والمصلحين ضرورة تكوين جماعة إسلامية تُعوِّض ذلك الفقد من جهة ، وتمارس بين أفرادها نظام السمع والطاعة ، وتربيهم على النظام والانضباط ، وتعمل على إعادة الدولة المسلمة بأي شكل من أشكالها ، أملاً بإعادة الخلافة الإسلامية الكبرى .

وأكد الحاجة إلى وجود هذه الجماعات والمنظمات غفلةُ كثير من علماء الأمة وأهل الحل والعقد فيها عن واجبهم بعد سقوط الخلافة ، الذي يُعدُّ من أولوياته : جَمْعُ كلمة أهل الحل والعقد من علماء الأمة وعقلائها وأصحاب الحل والعقد فيها ، على كلمة واحدة ، وأميرٍ واحد يسمعون له ويطيعون ، ويتعاونون معه على سَدِّ تلك الثغرة الكبرى في حياة الأمة التي يكونّها غياب الإمام المسلم بمعناه الكامل [1] .

فظهرت اجتهادات عديدة في ذلك ، وأخذت في بعض الأحيان طابعاً فردياً ، وأحياناً طابعاً جماعياً تنظيمياً ، كما فعل كثير من علماء الأمة ، وعدد من دعاتها الكبار ... ولاتزال تظهر أمثال هذه الاجتهادات والمنظمات بتعددها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، فكان منها القوي والضعيف ، والمصيب والمخطئ ...

ولعل بهذا البيان المجمل لنشأة الجماعات الدعوية والمنظمات تندفع

---

(١) راجع مثل هذه الأحكام في كتاب « الغياثي » ـ غياث الأمم في التياث الظلم ـ لإمام الحرمين الجويني ـ رحمه الله ـ المتوفى ٤٧٨ هـ . تحقيق الدكتور عبد العظيم الديب ، الطبعة الثانية ـ قطر ـ من ص : (٣٨٧ ـ ٣٩٣) .

شبهة القائلين ببدعيّة ظهور هذه الجماعات ، وتحريم الانتماء إليها ، وتشبيهها بالفرق الضالة المنتسبة لهذا الإسلام ، والمتفرقة فيه ، أو بالأحزاب السياسية غير الإسلامية المنتشرة في هذا العصر ...

وقد سبق أن أشرت في مبحث الحكمة في الأساليب الدعوية إلى ضرورة التفريق في أسلوب العمل بين العمل في دولة مسلمة أو مسالمة للدعوة ، وبين العمل في غيرها ...[1]

أهميتها وخصائصها :

تبرز أهمية الجماعات والمنظمات الإسلامية وخصائصها من عدّة حيثيات ، هي :

١ ـ من حيث الشكل .

٢ ـ من حيث الهدف .

٣ ـ من حيث المضمون .

أما من حيث الشكل : فهي عَمَلٌ جماعي وليس عملاً فردياً ، وفضل العمل الجماعي على العمل الفردي ثابت في الكتاب والسنة ، قال تعالى :

﴿ واعتَصِموا بِحَبْلِ الله جميعاً ولاتَفَرَّقوا ﴾[2] . وجاء في الحديث الشريف :

« عليكم بالجماعة ، وإياكم والفُرْقة ، فإن الشيطان مع الواحد ،

---

(١) راجع المبحث الأول في فصل « الأساليب الدعوية » ص : (٢٥٣ ـ ٢٥٥) .

(٢) الآية / ١٠٣ / من سورة آل عمران .

وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بُحبوحة الجنة ، فليلزم الجماعة ... »[1]

وجاء في الحديث :

« يد الله مع الجماعة »[2] .

أما من حيث الهدف : فإن الجماعات الإسلامية عموماً تهدف إلى التعاون على تحقيقِ مرضاةِ الله عز وجل ، سواء على جميع المستويات ومختلف الميادين ، أو على بعض المستويات والميادين ، وتحقيقُ مرضاة الله عز وجل هو أسمى أنواع البر الذي يتعاون عليه ، قال تعالى :

﴿ وتَعَاوَنوا على البِرِّ والتَقْوى ، ولاتَعاونوا على الإثم والعُدوان ﴾ [3] ، ومن هنا عَرَّفَتْ جماعة الهدى الإسلامية الالتزامَ بالجماعة الإسلامية بأنه : « عَقْدُ أخوةٍ في الله ، للتعاون على مرضاة الله » [4] .

أما من حيث المضمون : فإن مضمون العمل الجماعي يقوم على ثلاثة أسس هامة ، هي :

التخطيط والتنظيم ، والتطبيق والتنفيذ ، والمتابعة لذلك كله .

وذلك لأن العمل الجماعي أقدر على الوصول إلى التخطيط الكامل ،

---

(١) هذا جزء من حديث رواه الإمام الترمذي في سننه وقال عنه : هذا حديث حَسَنٌ صحيح غريب ، انظر « سنن الترمذي » (٢٢٥٤) .

(٢) الحديث رواه الترمذي واستغربه ، انظر « سنن الترمذي » رقم (٢١٦٧) كما رواه الحاكم (١/١١٥) وتشهد له الأحاديث الصحيحة الأخرى .

(٣) الآية / ٢ / من سورة المائدة .

(٤) انظر التعريف بجماعة الهدى الإسلامية في آخر رسالة « سبيل الهدى والعمل » للوالد ـ رحمه الله تعالى ـ ص : (٧٦) ، عدد / ١/ من منشورات الجماعة .

وعلى التطبيق الصحيح للخطط ، وعلى المتابعة لكل من التخطيط والتطبيق ، من العمل الفردي الذي يقصر تخطيطه غالباً ، ويصعب على الفرد تطبيقه ، ويضعف صاحِبُهُ عن متابعته ...

إلى غير ذلك من خصائص ومزايا ...

تَعدُّدها :

تَعدَّدت الجماعات الإسلامية تبعاً لتعدد اجتهادات أصحابها ومؤسسيها ـ كما بينا سابقاً في نشأتها ـ حيث اختلفت اجتهادات الدعاة والعلماء في المناهج الدعوية والأساليب والوسائل ، كما اختلفت اجتهادات الفقهاء في الأحكام الشرعية ، وذلك لأسباب مشابهة ...[1]

ومن هنا : كان التعدد في الجماعات الإسلامية ظاهرة طبيعية لاتضر بشكل من الأشكال مادام الاتفاق قائماً على المبادئ والمناهج الربانية ، لا كما وصفه بعضهم بأنه ظاهرة مَرَضية ، منكرة دعا إلى التخلص منها والقضاء عليها [2] .

وقد سبق الإمام ابن تيمية رحمه الله إلى تشبيه تعدد مناهج العلماء والدعاة بتعدد شرائع ومناهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من بعض الوجوه فقال :

« فالمذاهبُ والطرائق والسياسات للعلماء والمشايخ والأمراء ، إذا

---

(١) انظر تفصيلاً لهذه الأسباب في كتابي « وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع » النشرة الثانية من منشورات جماعة الهدى الإسلامية ، ص : (٢٣ ـ ٦٤) الطبعة الأولى والثانية .

(٢) انظر ما قاله في ذلك الأخ « محمد سرور زين العابدين » في كتابه « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله » ص : (١٦٨) الطبعة الأولى نشر دار الأرقم .

قصدوا بها وجه الله تعالى دون الأهواء ، ليكونوا مستمسكين بالملة والدين الجامع الذي هو عبادة الله وحده لاشريك له ، واتبعوا ماأنزل إليهم من ربهم من الكتاب والسنة بحسب الإمكان من الاجتهاد التام : هي لهم من بعض الوجوه بمنزلة الشرع والمناهج للأنبياء ، وهم مثابون على ابتغائهم وجه الله وعبادته وحده لاشريك له ، وهو الدين الأصلي الجامع ، كما يثابُ الأنبياء على عبادتهم الله وحده لاشريك له ... الخ ... »[1] .

ومع إقرارنا لظاهرة التعدد في العمل الإسلامي ، والجماعات الإسلامية نؤكد على وجود بعض السلبيات لهذا التعدُد ، التي يتوجب على الدعاة الصادقين علاجها ، وقد فَصّلتُ في كتابي : « وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع » كثيراً من السلبيات والإيجابيات ، وأشرت تفصيلاً إلى طرق علاجها والقضاء عليها [2] ، فليرجع إليه من شاء ، وقد ظهرت كتابات عديدة مفيدة تؤكد ماذهبت إليه [3] والحمد لله .

* * *

(١) انظر مجموعة الفتاوى (١٩/١٢٦ ـ ١٢٨) .

(٢) راجع في ذلك في ص : (٦٥ ـ ٩٠) .

(٣) من هذه الكتابات المفيدة : كتاب « الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم » للدكتور القرضاوي ، وكتاب : « كيف تلتقي الجماعات الإسلامية » للدكتور عدنان علي رضا النحوي ، وغيرها .

المبحث الرابع

« الخصائص العامة للوسائل الدعوية »

سبق أن تحدثنا عن خصائص خاصة ببعض الوسائل الدعوية التي تكلمنا عنها ، وإن هناك خصائص ومزايا لكل وسيلة من الوسائل تبرز من خلالها أهمية تلك الوسيلة وحاجة الدعاة إليها .

كما أن هناك خصائص عامة مشتركة لجميع أنواع الوسائل ، المعنوية منها أو المادية ، نعرض في هذا المبحث أهمها ، فمن ذلك :

١ ـ خصيصة الشرعية :

ونعني بها : انضباط جميع الوسائل الدعوية بحكم الشرع ، فلا يجوز للداعية الخروج على أحكام الشرع في مناهجه وأساليبه ووسائله ، لأن الدعوة في حقيقتها ، طريقةُ تطبيق الشريعة ، ومنهجها الذي رسمه الله لها ، فلا يصح الخروج عليه في أي جانب من جوانبه .

وقد تحدثنا في ضوابط مشروعية الوسائل عن أن الغاية في الإسلام لاتبرر الوسيلة .

إلا أنه مما ينبغي التنبيه إليه في هذا المقام ما التبس على بعضهم في التعبير عن هذه الخصيصة الشرعية ، فعبر عنها « بالتوقيفية » ، وبنى على ذلك أحكاماً غريبة تمنع من بعض الوسائل المستجدة في حياة الناس ـ كما أشرنا إلى ذلك في وسيلة التمثيل ـ وذلك بناءً على أن

الخصيصة التوقيفية تعني (التوقف) وعدم الاجتهاد في الأمر ... وهذا يصح في مناهج العبادة وأساليبها وبعض وسائلها دون بعض ،

فإن من الوسائل العبادية مايتطور ويتجدد ، كبعض وسائل الطهارة ، وأشكال إعمار المساجد ، لا في أصل الطهارة ، وأحكام المسجد .

ولذلك فإن تطور الوسائل الأخرى وعدم التوقيف فيها من باب أولى كما سيأتي معنا في الخصيصة الثانية .

٢ ـ خصيصة التطور :

الأصل في الوسائل والأساليب التطوّرُ والتجدّدُ ، تبعاً لتطور عادات الناس وأعرافهم ، ولتقدم العلوم والفنون ...

كما أن الأصل في المبادئ والأهداف والمناهج الربانية الثبات وعدم التحول ، تبعاً لكمال الله وعصمة شرائعه ، وإحاطة علمه ...

فإن لكل عصر أساليبه ووسائله في جميع نواحي الحياة ، وإن هذه الوسائل المعاصرة قد تشترك مع وسائل عصر سابق ، وقد تختلف عنها ، فالداعية الحكيم هو الذي يختار لكل عصر وسائله المناسبة له ، والموجودة فيه ،

فعندما فقدت بعض العصور وسيلة الكتابة والطباعة ، كانت الوسيلة المتبّعة لدى الدعاة من الأنبياء والمرسلين (المشافهةَ) والقولَ ، وعندما ظهرت الكتابة في حياة الناس ، استخدمها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ونزلت بعض الكتب والصحف السماوية مكتوبة وهكذا ...

فكان منهجُ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في جانب

الوسائل ، استخدامَ الوسائل المتوفرة في عصرهم مادامت لاتخالف شرعاً ولا خلقاً ...

ومن هنا استخدم ﷺ وسيلة « المآدب » الدعوات إلى الطعام من أجل جَمْع الناس على أمر يبلغهم عن طريقه دعوته [1] .

كما استخدم تجمعات الأسواق وغيرها من أجل إيصال دعوته إلى الناس ، وعرضها على الناس ، لأنها كانت تستخدم للشعر والأدب ، كما تستخدم للبيع والشراء ...

وفي هذا يقول الشيخ أمين أحمد إصلاحي في كتابه « منهج الدعوة إلى الله » :

« إذاً ، فلابد أن يراعي الداعي الحق ، الطرق المعروفة في زمانهم ، حتى تكون دعوته أكثر وقعاً وتأثيراً في النفوس والقلوب ، فليَجْتمع بالناس كما يجتمعون ، وليتحدث إليهم كما يحبون ، وليلاحظ في التعرض لهم من الطرق مايتفق ، وأوضاعهم وطبيعتهم وأسلوب حياتهم ، فلو وطئ اليوم أحدٌ بلاد أوربا وأمريكا ينشر فيها الدعوة ، لوجب عليه أن يختار من وسائل الاتصال بالناس ، والاستئناس بهم ، وبث آرائه وأفكاره فيهم ، مايكون قد راج في حياتهم الاجتماعية والمدنية ، فإن تَنكَّرَ لهذه الوسائل وألح على رفضها ، فسوف تذهب جهوده سُدى ، ويكون سعيه نفخاً في رماد أو صوتاً في واد .

وكل مايحتاج إليه الداعي إلى الله في هذا الصدد ، هو أن يتحاشى من الوسائل المُتَّبعة المفضّلة لدى الناس عما يؤدي إلى الفساد

---

(١) انظر « منهج الدعوة إلى الله » ص : (٥٩) .

الخلقي ... إلى أن قال :

وعلى الداعي أن يتفادى من وسائل استقطاب الناس مايحط من شأن الدعوة ، أو ينال من شخصيته ومكانته ... الخ »[1] .

٣ ـ خصيصة التكافؤ :

ونريد بها التماثل والموازاة بين الوسيلة والغاية التي تستعمل من أجلها .

فالوسيلة القاصرة عن الغاية ، والضعيفة ، لايمكن أن توصل إلى الغاية في الوقت المناسب ، ولا بالكيفية المطلوبة ...

وتكافؤ كل وسيلة بحسبها ، وبحسب الغاية المستخدمة من أجلها ، فالإعداد للعدو ، والعمل على اكتساب القوة المادية والمعنوية لمقاومته مطلوب ، ولايكفي فيه مجرد الإعداد ، وإنما يجب فيه بذل الوسع والطاقة لتكون القوة مرهبةً للعدو مخيفةً له . ولاتكون الوسيلة مُرْهِبةً للعدو إذا لم تكن مكافئة لما عنده من وسائل ، بل متفوقةً عليه ، ومن هنا جاء أمر الله عز وجل عباده بالإعداد موضحاً فيه هذا المعنى ، فقال عز وجل :

﴿ وأعِدّوا لهم مااسْتَطَعتم من قُوَّة ، ومن رِبَاط الخَيْل تُرهبونَ به عَدوَّ الله وعدوكُم وآخرينَ من دُونِهم لاتَعْلَمونهم ،اللهُ يَعْلَمُهم ، وماتُنْفقوا مِنْ شيء في سبيل الله يُوفَّ إليكم وأنْتم لاتُظلمون ﴾[2] .

---

(١) راجع كتاب « منهج الدعوة إلى الله » ص : (٥٧ ـ ٦٣) ففيه فوائد عديدة حول هذه الخصيصة .

(٢) الآية / ٦٠ / من سورة الأنفال .

ومن هنا : عمدت الدول اليوم إلى مايُسمى « بسباق التسلح » لترهب كل واحدة منهن الأخرى .

فعلى الدعاة واجب كبير في هذا المجال ، وهو سهل على من يسره الله عليه ، إذا فهم هذه الخصيصة ، ووضع لها خطتها ، وتوكل على الله ...

ولعل واجب الدعاة في هذا الجانب يتوزع على الفرد وعلى الجماعة ، كما يتوزع على الشعوب المسلمة والدول المسلمة ،

فالمسؤولية عامة مشتركة ، وكل يطالب في حدود إمكاناته وقدراته ، ويحاسب بحسب تقصيره في ذلك ، فما يمكن أن يقدمه الفرد الداعية غير مايمكن أن تقدمه الجماعة والمنظمة ، وما يمكن أن تقوم به الدولة المسلمة غير مايمكن أن تقوم به الشعوب ، والله المعين والموفّق .

إلى غير ذلك من خصائص عامة لاتخفى على الدعاة ...

* * *

الفصل السادس

مشكلات الدعوة وعقباتها

ويشتمل الفصل على مقدمة ، وأربعة مباحث :

١ ـ المبحث الأول : المشكلات الداخلية (الذاتية) .

٢ ـ المبحث الثاني : معالم عامة في طريق علاجها

٣ ـ المبحث الثالث : المشكلات الخارجية .

٤ ـ المبحث الرابع : معالم عامة في طريق علاجها .

مقدمة بين يدي مشكلات الدعوة وعقباتها

لقد ترددتُ كثيراً في إثبات هذا الفصل ، وتناوله في هذا المدخل العلمي ، نظراً لأن المشكلات العلمية والعملية حول واقع علم من العلوم ، لاتكوّن جزءاً أساسياً من أجزائه ، يؤهله للأبراز في فصل مستقل بين فصوله ...

ولكنني بعد هذا التردد الطويل ، أزمعت رأيي على إثباته وتناوله في هذا المدخل ، نظراً إلى طبيعة علم الدعوة المكونة من العلم والعمل ، ولأن المشكلات الدعوية ذاتُ علاقة وثيقة بمختلف فصول هذا الكتاب ، فهي لاتعدو أن تتعلق بشكل ما بتاريخ الدعوة ومفاهيمها ، وبأصولها ومناهجها ، وبأساليبها ووسائلها ... فيكون في ذكرها وتشخيصها ، ووضع معالم ولمسات في طريق علاجها تتميم للفائدة من تلك الفصول السابقة ، وتكون بياناً عملياً غير مباشر لكيفية تطبيقها على الوجه الصحيح ، كما يكون ذكرها والتذكير بها وبأهمية علاجها بذلاً للنصيحة الواجبة على كل مسلم تجاه ربه وكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم ...

وأود قبل عرض المشكلات الدعوية أن أشير إلى عدة أمور ، منها :

١ ــ إن مصطلح « مشكلات الدعوة وعقباتها » ليس مصطلحاً غريباً في علم الدعوة ، فقد تداوله الكاتبون من زمن بعيد ، فقد كتب الأستاذ فتحي يكن كتابه « مشكلات الدعوة والداعية » عَرَضَ فيه عدداً من المشكلات الهامة ، كما كتب الأستاذ خالص جلبي

كتابه « في النقد الذاتي » الذي عالج فيه مشكلات أخرى ونبه إليها ، وقد كنت قد كتبت منذ سنتين بحثاً عن « مُعَوِّقات تطبيق الشريعة » بطلب من الأمانة العامة للندوة العلمية العالمية عن تطبيق الشريعة الإسلامية ، التي كانت جامعة الإمام محمدابن سعود الإسلامية تنوي إقامتها في الرياض ...

فلا غرابة إذن أن يدخل هذا المصطلح في مصطلحات هذا العلم ، ويكون جزءاً هاماً في هيكله العام ...

٢ ـ نريد بمشكلات الدعوة وعقباتها : « مجموعة الأخطاء والمعوّقات التي يقع فيها الدعاة ، أو يواجهونها في طريق دعوتهم داخلية كانت أو خارجية ، وتشكل عقبةً أو مشلكة في سبيلهم ، سواء أكانت هذه الأخطاء والمعوقات في جانب المفاهيم الدعوية ، أم في جانب المناهج والأساليب والوسائل » .

لأن الخطأ الصادر عن الداعية ليس كخطأ الرجل العادي ، فإن خطأ الرجل العادي قد يختص به ولايتجاوزه ، أما خطأ الداعية في مفهوم أو منهج أو أسلوب أو وسيلة ، يتعدى أثره إلى الآخرين ، وقد تضر نتائجه بالدعوة كلها ، شعر بذلك أو لم يشعر ..! وقديماً قيل : زَلَّةُ العالِمِ زَلَّةُ العالَمِ ، ومن هنا جاء التنبيه والتحذير من خطأ القدوة والأسوة بأساليب عديدة ، فقال تعالى :

﴿ يانِسَاءَ النبيِّ مَنْ يَأْتِ منكُنَّ بفاحشةٍ مُبَيِّنة يُضاعَفْ لها العذابُ ضِعفَين ، وكان ذلك على الله يسيراً ❊ ومَنْ يَقْنُت منكُنَّ للهِ ورسولِه وتَعْمَلْ صالحاً نُؤتها أَجْرَها مرَّتين ،

وأَعتدنا لها رزقاً كريماً ﴿ يانِساءَ النبِّي لَسْتُنَّ كأُحدٍ من النساء إن اتَّقَيْتُنَّ ... الآيات ﴾ [1] .

وجاء في الحديث الشريف :

« يُؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتابُ بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يافلان مالَكَ ؟ ألم تَكُ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه »[2] .

٣ ـ لايشترط في الأخطاء الدعوية والمعوقات حتى تُسمّى مشكلات وعقبات أن تكون عامة منتشرة في جميع الدعاة ـ وإن غلب على طابع المشكلات الدعوية العموم ـ ويكفي في ذلك أن توجد في صفوف الدعاة ولو قَلّوا ، أو يعاني منها المصلحون أياً كانوا ...
ومن هنا : أبتدر مُسْتَسْمحاً إخواني الدعاة الذين قد يعجبون لذكر أمر من الأمور في هذا الفصل وعَدِّه مشكلة أو عقبة ، مبيناً أنه يكفيني في ذلك أن ألحظ الخطأ في نفسي أو في بعض من أعرف من حولي ، راجياً أن لايُشغلوا في مناقشة إثباته أو رفضه عن دراسته ومعالجته مهما كان في نظرهم صغيراً ، فإن العناية به لاتخلو من فائدة دعوية بإذن الله .

٤ ـ إنه من التفريط أن تُهمَلَ المشكلات والعقباتُ الدعوية ، ويُتَجاهَلَ

(١) الآيات / ٣٠ ـ ٣٤ / من سورة الأحزاب .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٣٢٦٧) و « الفتح » (٣٣١/٦) ، و « صحيح مسلم » رقم (٢٩٨٩) .

أمرها حتى تتمكن في طريق الدعوة ويصعب علاجها ، كما أن من الإفراط أن تُضَخَّم الأخطاء والمشكلات ، وتصور بالعقبة الكؤود التي يُعجزُ الناسَ حَلُّها وتصحيحُها ، فتوقع الناس في اليأس والقنوط ... فإنه ما من داءٍ إلا وأنزل الله له دواء ، فعلى الدعاة أن يجتهدوا في معرفة الداء وتشخيصه ، ويبذلوا وسعهم في علاجه واختيار الدواء المناسب له ، فالأمر كله بيد الله ، قال تعالى :

﴿ والذينَ جاهَدوا فِينْا لنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنا ، وإنَّ الله لَمَعَ المُحْسنين ﴾ (١) .

٥ ـ كان السلف الصالح من العلماء الربانيّن ، والدعاة العاملين يهتمون بمعالجة أخطائهم وأنفسهم قبل اهتمامهم بمعالجة أخطاء الآخرين ، ويقدمون تزكية أنفسهم على تزكية أنفس الآخرين ، مما سهل عليهم مداواة النفوس وعلاج المشكلات ...

وشُغِلَ كثير منا بعيوب الآخرين عن عيوبه ، وأصبح بعضنا يرى القذاة في عين أخيه ولايرى الحصاة في عينه ، مما عَقَّد المشكلة وأخر الشفاء ...

فلابد لنا من عودة إلى منهج أسلافنا في معالجة المشكلات وإتيان البيوت من أبوابها .

٦ ـ إن من توجيهات القرآن السامية في تشخيص المشكلات وكشف الأخطاء ، أن يُرْجعَ فيها إلى النفس ، قبل أن يُبْحث عنها في

---

(١) الآية / ٦٩ / من سورة العنكبوت .

الآخرين ، ويوجه اللوم إليهم ... قال تعالى :

﴿ وما أَصابكُم من مُصيبَةٍ فَبِما كَسَبتْ أَيْديكُم ، ويَعْفو عن كثير ﴾ [1]. وقال :

﴿ أَوَلَمَّا أَصابتكم مصيبةٌ قد أَصبتُم مِثْليها ، قلتم : أنّى هذا !! قل هو من عند أَنْفسكم ، إن الله على كل شيء قدير ﴾ [2] . وقال :

﴿ ما أصَابكَ مِنْ حَسَنة فَمِنَ الله ، وما أصابَك من سَيِّئةٍ فمِنْ نَفْسك ، وأَرْسَلناكَ للناس رسَولاً ، وكَفى بالله شهيداً ﴾ [3].

وإن كثيراً منا اليوم إذا أصيب بمصيبة ، أو اعترضت طريقه عقبة ، أعاد الأمر إلى غيره ، وتَعلّل بقوة الأعداء ، قبل أن يعيده إلى نفسه ، ويعلله بغفلة المسلمين وتفرقهم ...

وإذا كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلل تأخير النصر عند المسلمين في غزوة من الغزوات بقوله : « أما بعد : فقد عجبتُ لإبطائكم عند فتح مصر ، تُقاتلونهم منذ سنين ، وماذاك إلا لما أحدثتم وأحببتُم من الدنيا ما أحب عدوكم ، وإن الله تعالى لاينصر قوماً إلا بصدق نياتهم ... »[4] فما بالنا نحن نترفَّع عن ذلك ؟ ونَغْفُل عن توجيه مثل هذا النقد البناء إلى أنفسنا ! ؟ .

---

(١) الآية / ٣٠ / من سورة الشورى .

(٢) الآية / ١٦٥ / من سورة آل عمران .

(٣) الآية / ٧٩ / من سورة النساء .

(٤) انظر « كنز العمال » (١٥١/٣) و « حياة الصحابة » (٦٨٣/٣) .

٧ ـ إن الذنوب والأخطاء التي تستوجب التوبة والمراجعة لها ، ليست محصورة في مجال الأحكام العقدية والشرعية ، وإنما قد توجد في الأحكام الدعوية ، فإن الخروج عن المفهوم الصحيح في أمر من أمور الإسلام ذنب ، والانحراف عن أصول الدعوة والخروج عليها ضلال ، ومجانبة المنهج الحكيم ، والأسلوب السليم مهما قَلَّت خطأ ... وكل ذلك يستوجب مراجعة وتوبة .

بل إن الخطأ والذنب في جانب المنهج غالباً مايكون أعظم إثماً وأكبر أثراً من الخطأ في الحكم والمسألة الشرعية الواحدة ، لأن الخطأ في الحكم الشرعي والمسألة الواحدة ، قد ينتهي في وقته ، ويتدارك أمره بسهولة ، أما الخطأ في المنهج والأسلوب فكثيراً ماتترتب عليه أخطاء أخرى ، وتنتج عنه آثار سيئة لاتُحصى ...

٨ ـ إن من الملاحظ : أن الجهة الدعوية الواحدة ، فرداً كانت أو جماعة ، قد لاتنتبه إلى خطئها بسهولة ، وإذا تنبهت إليه ، قد لاتهتدي إلى دوائه وكيفية معالجته ، كما هو الواقع غالباً نتيجة للقرب الشديد من الخطأ وإلفته ...

لذا ، كان لابد للنجاح في معالجة الأخطاء والمشكلات الدعوية من تعاون وثيق بين الدعاة والعاملين على مختلف مستوياتهم وانتماءاتهم .

فحبَّذا لو تشيع بين الدعاة الحلقاتُ المفتوحة التي تجمع بين المتعاونين سواء على مستوى الجلسات الدورية المحدودة ، أو على مستوى المؤتمرات الواسعة التي يحضرها نخبةٌ من الدعاة على مختلف مناهجهم وانتماءاتهم الدعوية ، من الذين تجمعهم الهموم الدعوية

المعاصرة ، ويملكون من الكفاءات العلمية والخبرات العملية ، ليعقدوا جلساتِ حوار هادئة تعرض فيها الأمور ، وتناقش فيها الأخطاء ، وتتبادل فيها وجهات النظر ... ليصل الجميع إلى أحكم الخطوات وأنجع الأدوية ، وذلك نهوضاً بالعمل الإسلامي من كبوته ، ودفعاً لسلبياته ، وتحقيقاً لإيجابياته ، قال تعالى : ﴿ إن اللهَ مع الذين اتَّقَوا ، والذينَ هُمْ مُحْسِنون ﴾ [1] .

٩ ـ نظراً لكثرة المشكلات والعقبات الدعوية وتنوعها ، رأيتُ أن أعرضها في هذا الفصل في نوعين أساسيين وإطارين عامين هما :

أ ـ المشكلات الداخلية (الذاتية) .

ب ـ المشكلات الخارجية .

دون مراعاةٍ لترتيب معين بين المشكلات ، ودون دخولٍ تفصيلي في علاج كل مشكلة على حدَة ، مع محاولة جمع المشكلات المتشابهة بعضها إلى بعض ماأمكن .

ثم ألحق كل نوع من المشكلات بمعالمَ عامة في طريق علاجها ، تاركاً المعالجات التفصيلية لاجتهادات الدعاة والمتخصصين في أساليب العلاج ووسائله ، وذلك اعترافاً بالقصور الشخصي من جهة ، ومراعاةً لسعة الموضوع الذي قد لايتناسب مع طبيعة المدخل من جهة ثانية ، ورغبةً في ترك الباب مفتوحاً أمام كل مجتهد فيه من جهة ثالثة ،

وسأحاول أن أحيل على ماكتب في معالجة بعض المشكلات إن شاء الله ، والله الموفق والمعين ...

---

(١) الآية / ١٢٨ / من سورة النحل .

المبحث الأول

« المشكلات الداخلية : (الذاتية) »

ونريد بالمشكلات الداخلية : المشكلات التي تنبع من واقع الدعاة ومفاهيمهم ومناهجهم وأساليبهم ووسائلهم ، وليس لغيرهم دخل فيها ، وهي كثيرة جداً ،

من ذلك :

١ ـ خطأ كثير من الدعاة في مفهوم الدعوة الإسلامية ، وتحولها عند كثير منهم من دَعَوةٍ ربانية هادية ، وإرث نبوي شريف ، إلى تنظيمات حِزْبيّة ، وشكليات فارغة ، وذلك غفلةً عن مفهوم الدعوة الحقيقي من جهة ، وتأثراً بواقع الدعوات الأخرى ، ومحاكاةً لتنظيماتها من جهة أخرى .

فالدعوة كما سبق : دعوةٌ إلى الله ، وعملٌ على تحقيق مرضاته ، وقيامٌ بوظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ومتابعة لهم فيها ، فهي أبعد ماتكون عن أهداف التنظيمات الوضعية ، وطبيعة الدعوات الأرضية ، تتميّز في مناهجها وأساليبها ووسائلها ، وتنضبط في مصادرها وأدلتها ...

وقد أثر هذا الخطأ في طبيعة كثير من الدعاة ومناهجهم وأساليبهم ، وحولهم من دعاة هادين مهديّين ، إلى رجالات دنيا

تُسيّرهم مطامِعُهم وطموحاتهم ، وتَحْكُمُهم منافِعهُم ومصالحهم ...[1]

٢ ـ تقصير كثير من المسلمين في القيام بواجب الدعوة إلى الله ، وتصورهم الدعوة وظيفةً طبقةٍ مخصوصة من العلماء والمتخصصين فيها ، تنحصر بهم ، ولا علاقة لهم بها ، مما أضعف الدعوة ، وحجب كثيراً من أبنائها عنها[2] ،

والله عز وجل يقول :

﴿ وَلْتكُنْ مِنْكم أمةٌ يَدْعونَ إلى الخير ، ويَأمُرُون بالمعروف ويَنْهَونَ عن المنكر ، وأولئك هُمُ المفلحون ﴾[3] . ويقول :

﴿ كنتم خَيْرَ أمةٍ أُخْرِجَت للناس ، تَأْمرون بالمعروف وتَنْهون عن المنكر ، وتُؤمنون بالله ﴾[4] .

ويوجه رسوله ﷺ ليقول :

﴿ قُلْ هذه سبيلي أَدْعو إلى الله على بَصيرة أَنا ومَنْ اتبَّعني ﴾[5] .

٣ ـ قَصْرُ بعض الدعاة مفهوم الدعوة على عنصر واحد من عناصرها ، ودعوتُهم إلى العمل به وحدَه ، وإنكارهم على من يعمل بالعناصر

---

(١) راجع في معالجة هذا الخطأ : كتاب « النبوة والأنبياء في ضوء القرآن » لأبي الحسن علي الندوي ، وكتاب « التفسير السياسي للإسلام » له أيضاً .

(٢) راجع في معالجة هذا الخطأ : حكمَ الدعوة في التمهيد من هذا المدخل .

(٣) الآية / ١٠٤ / من سورة آل عمران .

(٤) الآية / ١١٠ / من سورة آل عمران .

(٥) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

الدعوية الأخرى ، فالدعوة عند بعضهم تبليغ فقط ، أو تعليم ، أو سياسة ... مما أثرً في إضْعَاف الدعوة ، وتشويه جمالها وشمولها من جهة ، وأوقع بعض الدعاة في النيل من بعضهم ، وتوجيه النقد لغيرهم بسبب ذلك من جهة أخرى .

وقد سبق معنا : أن الدعوة تبليغ وبيان ، وتعليم وتربية ، وتطبيق وتنفيذ . وإذا كان مقبولاً من بعض الدعاة أن يتخصصوا في العمل بعنصر من عناصر الدعوة أو أكثر ، تبعاً لاستعداداتهم وإمكاناتهم وظروفهم ... فلا يقبل من هؤلاء أن ينظروا إلى العمل بالعناصر الأخرى ، نظرة استنكار ، أو يروه خروجاً عن طبيعة الدعوة .

وقد عالجت هذه المشكلة عند تعريفي للدعوة ، وتحديد مصطلحات هذا العلم في التمهيد .

٤ ـ غَفلَةُ كثير من الدعاة والعلماء عن حقيقة عِلم الدعوة ، وأصل نشأته ، وحاجة الناس إليه ، وظَنُّ كثير منهم إمكانَ الاستغناء عنه بالعلوم الشرعية الأخرى ، ونظرتُهم إلى التخصّصات الدعوية بأنها تخصّصات مُحدَثَةٌ لاحاجة إليها ... فالدعوة عند بعضهم وعظٌ وخطابة ، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى أن يصف الأسلوب الأدبي والخطابي البعيد عن الدقة والتحديد بأنه أسلوب دَعْوِيّ وهكذا ، مما يُقلّل من أهمية الدعوة ، ويصرف الناس عن دراسته والعناية به ، فأصبحنا نرى في الأمة المسلمة كثيراً من العلماء المتخصصين في العلوم الشرعية المتنوعة لايُحسنون الدعوة ولايفقهونها ، وكثيراً من العاملين في صفوف الدعاة يدعون على

جهل ، ويعملون على غير هدى وبصيرة .

وقد عالجت جانباً من هذه المشكلة عند الحديث عن نشأة علم الدعوة ، وبيان صلته بالعلوم الشرعية الأخرى في التمهيد أيضاً .

٥ ـ غفلةُ بعض الدعاة عن الإفادة من السنن الربانية الثابتة في حياة الدعوات ، أو ضَعْفُ تعاملهم معها ، مما أوقع كثيراً منهم في الاستعجال والتخبط ، أو اليأسْ والقنوط ، مما أثر في بناء الدعوة وحركتها ، وأخرها عن الوصول إلى أهدافها [١] .

٦ ـ تكرارُ حُدوثِ الأخطاء في طريق الدعوة ، وقِلّةُ الاستفادة من التجارب والأخطاء السابقة ، وأخذ العبرة منها ! فإن وجود الأخطاء أمر طبيعي نظراً للضعف البشري ، ولكن المستنكر تكرار الخطأ وعدم الإفادة من التجارب السابقة ، ففي الحديث الشريف : « كلُّ ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون »[٢] و « لا يُلْدغ المؤمن مِنْ جُحْر واحد مرتين » [٣] .

٧ ـ قِلّةُ الوعي في صفوف كثير من الدعاة ، وغفلتُهم عن واقع الدعوة والظروف المحيطة بها من جهة ، وعدم بصيرتهم بطبيعة أعدائهم ،

---

(١) راجع في ذلك كتاب « واقعنا المعاصر » و « رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر » للأستاذ محمد قطب ، وكتاب « هكذا جاء جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس » للدكتور : ماجد عرسان الكيلاني ، وكتاب « هل يعيد التاريخ نفسه ؟ » للأستاذ محمد العبده ، وغيرها .

(٢) الحديث رواه الترمذي انظر « سنن الترمذي » (٢٦١٦) و (٥/ ٧٠) ط : عبد الرحمن محمد عثمان .

(٣) رواه البخاري : انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦١٣٣) و « الفتح » (١٠/ ٥٢٩) .

وأساليب مكرهم وخداعهم من جهة أخرى . مما جعل كثيراً منهم تُحركُهم العواطف ، وتَخْدعهم الشعارات ، ويقفون مواقف شتى ، تجرهم في كثير من الحالات إلى الندم والتلاوم ...

٨ ـ شيوع بعض الأمراض الاجتماعية الخطيرة بين صفوف الدعاة ، ولاسيما التي وصفها الرسول ﷺ بأنها من المهلكات : كالشُح المطاع ، والهوى المتّبَع ، والدنيا المؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، وما إلى ذلك من الكبر والعجب ، وحب الزعامة والرياسة ... مما أهلك بعضهم ، وأوقع آخرين فريسةً لهذه الأمراض الفتاكة ، فتحكمٌ الشح في نفوس بعضهم ، وأصبح الهوى متبوعاً ، والدنيا مؤثرة على الآخرة ، وأعجب كل ذي رأي برأيه حتى تصور ما عنده حقاً مطلقاً ، وما عند الآخرين خطأ محضاً وباطلاً صريحاً ، بعد أن كان أسلافهم لسانُ حالهم يقول :

« ماأنا عليه صوابٌ ويحتمل الخطأ ، وما عند غيري خطأ ، ويحتمل الصواب » !!

٩ ـ شيوعُ ظاهرة انفصال العلم عن العمل ، والفكرة عن التطبيق عند كثير من الدعاة ، مما شَوَّه كمال الدعوة وجمالها ، وأفقدها مصداقيتها عند كثير من المدعوين ، وقد عالجت جانباً من هذه المشكلة عند الحديث عن صفات الداعية وآدابه في الفصل الثاني .

١٠ ـ شيوع ظاهرة انفصال الفقه عن الفكر في صفوف الدعاة ، مما جعل كثيراً من الدعاة يجهلون أحكام دينهم ، ووزَّعَ علماء الأمة والعاملين فيها إلى طبقتين متباعدتين من العلماء والفقهاء من جهة ، ومن المفكرين والدعاة من جهة أخرى ، وأحدث خللاً كبيراً

في المفاهيم والتصورات ، وخروجاً عن الأحكام الشرعية ، وانحرافاً عن الصراط المستقيم وأَوْقعَ الدعاة في تناقضات غريبة ، وجَرَّهم إلى مواقف عجيبة في كثير من الأحيان .

وقد عالجت هذه المشكلة في محاضرة لي عن « انفصال الفكر عن الفقه ، وخطرها على الدعوة الإسلامية » نشرتها رابطة الشباب المسلم العربي في الولايات المتحدة عام ١٤١١ هـ .

١١ ـ اضطراب طريقة التعامل مع المصطحات ، وتداخل كثير من المصطلحات الدعوية بعضها في بعض ، ومعاملتها معاملة واحدة ، كما حدث في مصطلح مبادئ الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها ...مما أفقد هذه المصطلحات بعض خصائصها ، وأوقع كثيراً من الدعاة في غموض المبادئ ، وقصور المناهج ، وخطأ الأساليب وضعف الوسائل ... وما إلى ذلك ... وجَرَّهم إلى منازعات شكلية ، ومشاحّات اصطلاحية هم في غنىً عنها .

وقد عالجت جانباً من هذه المشكلة في بحث لي عن « الأصالة والمعاصرة في الدعوة الإسلامية » نشرته مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض في عددها الأول عام ١٤٠٩ هـ .

كما عالجتها في بحث لم يطبع بعد ، عنوانه « أصول التعامل مع المصطلحات » .

١٢ ـ إهمالُ كثير من الدعاة ترتيب الأولويات في عملهم ، وضعفُهم في الموازنة بين الواجبات والإمكانات ، وبين المفاسد والمصالح .. مما جعل بعضهم يُقدِّم الهامَّ على الأهم ، والأمر التحسيني

التكميلي على الأمر الحاجي الضروري ... وجَرَّهم إلى مفاسِدَ هُمْ في غنىً عنها ، وأخر عملية البناء والإصلاح ، وأضاع كثيراً من الجهود ، وزادَ من العقبات ، ووسَّعَ الخَرْقَ على الراقعين ...

وقد عالجت هذه المشكلة في حديثي عن مظاهر الحكمة في المناهج في الفصل الثالث من هذا المدخل(١) .

١٣ ـ ضَعْفُ العلاقات الأخوية بين المؤمنين عامة ، وبين الدعاة خاصة ، مما أساء نظرة بعضهم إلى بعض ، وظَنَّ بعضهم ببعض ، وجَرّأهم على إصدار الحكم على غيرهم بالتكفير أو التضليل أو التبديع وما إلى ذلك ... ففرق صفوفهم ، وباعد بين قلوبهم وأفكارهم ، وخالَفَ بين مواقفهم ...(٢)

١٤ ـ انتشار النظرة الخاطئة إلى التعددية العلمية والعملية في العمل الإسلامي ، وإساءةُ فهم الخلاف بين المسلمين ، والغفلة عن طبيعته وأسبابه ... مما فرق الصفوف ، وجعل من الإخوة المتعاونين ، أعداءَ متشاكسين ، وعَمَّق في نفوس الدعاة الفردية والأنانية ، وأقام الحواجز النفسية بسبب الانتماءات ، وأشاع روح العصبية والحزبية ... وقد عالجت جانباً من هذه المشكلة

---

(١) راجع كتاب « أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة » للدكتور يوسف القرضاوي .

(٢) راجع ما كتب عن الأخوة الإسلامية وحقوقها مثل : « سلسلة مجتمع الإيمان » للأستاذ محمود فؤاد الطباخ ، و « الأخوة الإسلامية » للشيخ عبد الله علوان ، و « الأخوة والحب في الله » لحسني أدهم جرار وغيرها . وقف على كتاب « دعاة لا قضاة » للأستاذ حسن الهضيبي ، وكتاب « كيف تلتقي الجماعات الإسلامية » للدكتور عدنان علي رضا النحوي ، و « وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع » للمؤلف ، و « أدب الاختلاف في الإسلام » للدكتور طه جابر العلواني ، و كتاب « التكفير » للدكتور نعمان السامرائي .

في كتابي « وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع »[1] .

١٥ ـ تَفَرُّق كلمة أهل الحل والعقد في الأمة ، وتوزعُ المسلمين بين قيادات طبيعية متمثلة بالعلماء والفقهاء ، وبين قيادات تنظيمية متمثلة بالزعماء والرؤساء ، في وقت أحوج مايكونون فيه إلى وحدة الصف واجتماع الكلمة ، ولاسيما في مواقف مواجهة أعدائهم ، مما فرّق الصفوف ، وشتّت الجهود ، وجَرَّ الأمة إلى مواقف خاطئة ، وقرارات متعارضة ، ونكسات متوالية ...[2]

١٦ ـ ضَعْفُ اعتمادِ المسلمين على الله عز وجل وتوكُّلِهم عليه ، واعتمادُ كثير من الدعاة على الأسباب المادية والقوى البشرية ، مما أضعف ثقة الأمة بنصر الله ، وأوقع كثيراً من الدعاة في شباك أعدائهم وجَرَّهم إلى التبعيّة لهم ...[3]

١٧ ـ تواكُلُ كثير من المسلمين ، وإهمالهم الأخذ بالأسباب المادية ، وإحجامهم عن دراسة العلوم التجريبية ، بعد أن كانوا أساتذة العالم فيها ! ، في وقت تُعدُّ فيه هذه العلوم التجريبية وتلك الأسباب المادية من أبرز خصائص هذا العصر الذي عرف بعصر

---

(١) راجع كتابي « دراسات في الاختلافات الفقهية » وكتاب « أدَبُ الاختلاف في الإسلام » للدكتور طه جابر ، وكتاب « الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم » للدكتور يوسف القرضاوي ، وكتاب « كيف تلتقي الجماعة الإسلامية » وغيرها .

(٢) قف على واجب الأمة وعلمائها في حالة فقد الإمام المسلم ، ووجوب اجتماع كلمة أهل الحل والعقد فيهم على واحد منهم ، ليسدوا بذلك مَسدَّ الإمام في كثير من التصرفات الشرعية والسياسات العامة حال غيابه ، في كتاب « الغياثي » لإمام الحرمين الجويني وغيره .

(٣) راجع كتاب « رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر » للأستاذ محمد قطب .

السَبْق العلمي ... مما جعل المسلمين عالةً على غيرهم في كثير من مواردهم ، وأسس عيشهم ، ومصادر قوتهم المادية ...[1]

١٨ ـ إهمالُ المشاريع الاقتصادية الاستثمارية المُغطّية لاحتياجات الدعوة الإسلامية ومتطلباتها المادية الكثيرة ، واعتمادُ الدعاة في تلك المتطلبات وسد تلك الحاجات على أموال التطوع والصدقات الآنية المحدودة ... مما أوقع كثيراً من المسلمين في العجز المادي ، والأزمات الاقتصادية الحادة ، فأصبحوا عرضة للحركات التنصيرية المعادية ، وللضغوط الكبيرة المتنوعة التي لاقبل لهم بها .

وما إلى ذلك من مشكلات أخرى ، قد يدخل بعضها في بعض ، أو يشخصها أصحاب الخبْرة والكفاءة في ميادين الدعوة .

* * *

---

(١) راجع كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للأستاذ أبو الحسن الندوي ، وكتاب « الدين والعلم » للدكتور : محمد حسن هيتو .

المبحث الثاني

« معالِمُ في طريق معالجة المشكلات الداخلية »

سبق أن تَعرَّضْتُ من خلال عَرْض المشكلات والأخطاء في المبحث السابق إلى الإشارة إلى بعض الحلول والمعالجات لبعضها ، وأحَلْتُ على بعض ما كتب في ذلك ...

ولكن هناك ملامح عامة ، ومعالِمُ بارزة ، وخطوات أولى في طريق معالجة تلك المشكلات بوجه عام أو خاص ، أَعْرِضُها في هذا المبحث ، لتكون معالم يُهتدى بها في هذه السبيل ، ونواةً لأبحاث علمية ودراسات في ذلك ، تنمو بالاهتمام بها ومتابعتها ...

فمن هذه المعالم البارزة :

١ ـ الاعترافُ بالأخطاء ، والاعتقاد بأنها المشكلاتُ المؤثرة ، والعقبات الأولى في طريق الدعوة الإسلامية ، وعدم التقليل من خطرها وآثارها . قال تعالى :

﴿ ونَفْسٍ وما سَوَّاها * فأَلْهمَهَا فُجورَها وتَقْواها * قَدْ أفلَحَ مَنْ زكّاها * وقَدْ خابَ مَنْ دسّاها ﴾ [١] .

٢ ـ حَصْرُ الأخطاء ، وترتيبُ المشكلات ، ووضع أولويات دقيقة لمعالجتها ، وجداول زمنية عملية لتجاوزها .

---

(١) الآيات / ٧ ـ ١٠ / من سورة الشمس .

٣ ـ العَملُ الجادّ على علاجها ، ومجاهدة النفس في سبيل التخلص منها ، والصبر على ذلك ، قال تعالى :

﴿ والذين جَاهَدوا فِينا ، لنَهْدِينَّهم سُبُلَنا ، وإِنَّ اللهَ لَمعَ المُحْسنين ﴾ (١) .

٤ ـ الاهتمامُ بالتربية الصحيحة المتوازنة ، وعَدُّها حَجَرَ الأساس في معالجة المشكلات الداخلية ، والرجوعُ فيها إلى منابعها الأولى : الكتاب والسنة ، والاعتصام بهديهما ، والإفادة في ذلك من جميع المصادر الدعوية ...

٥ ـ البدءُ بمعالجة الأمراض الاجتماعية الخطيرة في صفوف الدعاة أنفسهم ، والمتمثلة في المهلكات الثلاث وما شابهها ، وإعطاؤها الأولوية في المعالجة ، وعدم إهمالها أو الانشغال عنها بالانصراف إلى غيرها ، أو إلى الأمور العامة في عامة الناس ، كما وجه لذلك الرسول ﷺ بقوله : « ... حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى مُتّبعاً ودُنيا مُؤثَرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصّة نفسك ، ودَعِ العوام ... » (٢) .

وقد رأينا في صفوف الدعاة من يَغْفل عن خطرها ، وإذا ذُكّر بها في مناسبة من المناسبات ، بَرَّرَ وجود بعضها بقول بعضهم : « إن آخر مايخرج من قلوب العارفين حُبُّ الزعامة » الذي يَحْمِلُ بين

---

(١) الآية / ٦٩ / من سورة العنكبوت .

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة وغيرهم بألفاظ متقاربة ، انظر « سنن الترمذي » رقم (٣٠٦٠)(٨/٢٢٢) الطبعة الحمصية ، و « سنن ابن ماجة » (٢/ ١٣٣١) ، و « سنن أبي داود » (٤/٢١٣) .

طياته ـ إن صَحَّ ـ التنبيهَ إلى تمكّن هذا المرض من النفوس وشدة خطره ، والمبادرة إلى علاجه وإخراجه منها ، ولا يدل بوجه ما على تبريره والإغضاء عليه !!

٦ ـ العمل على تصحيح المفاهيم والمناهج والأساليب الدعوية في ضوء المصادر المعتمدة ، وإعادة صياغة العقلية المسلمة صياغة جديدة تُمكنُها من تحقيق الأصالة المعاصرة ، ووضع ضوابط واضحة لمنهج التفكير الإسلامي الصحيح .

٧ ـ الاستفادة من جميع أهل الخبرات والكفاءات في هذا المضمار ، والرجوع في المعالجات إلى العلماء الربانيّين ، والخبراء المجرّبين في القديم والحديث .

٨ ـ التعاون الصادق في سبيل علاجها بين الدعاة ، وعَقْدُ أخوّات خاصة لذلك على مستوى الأفراد العاملين ، « فالمؤمن مرآة أخيه »[١] ، « ومثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى »[٢] .

٩ ـ رَفْعُ الحواجز الانتمائية على مستوى الأفراد ، ونَبْذُ العصبية الحزبية على مستوى الجماعات ، وعَقْدُ لقاءات دعويةٍ مفتوحة للحوار في سبيل الوصول إلى الحل الأفضل ، والعلاج الأنجع ...

---

(١) رواه أبو داود بلفظ « المؤمن مرآة المؤمن ... » رقم (٤٩١٨) و (٥/ ٢٨٠) ط : محيي الدين عبد الحميد ، وهو في « الأدب المفرد » للبخاري بلفظ « المؤمن مرآةُ أخيه ، إذا رأى فيه عيباً أصلحه » وفي رواية فيه أيضاً : « المؤمن مرآة أخيه ، والمؤمن أخو المؤمن ، يكُفُّ عليه ضَيْعَتَه ، ويحوطهُ من ورائه » . انظر « الأدب المفرد » رقم (٢٣٨ و ٢٣٩) وص : (٩٤ ـ ٩٥) ترتيب كمال يوسف الحوت .

(٢) هذا القول من كلام سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وروي عنه مرفوعاً ، انظر « إتحاف السادة المتقين ، بشرح إحياء علوم الدين » للزبيدي (١٧٣/٦) .

وقد أرجع بعض كبار الدعاة المشكلة القائمة اليوم بين الدعاة إلى ماأُسْماه : « الأنَا الفَرْدية ، والأنَا الجَماعية »[1] .

١٠ ـ العمل على تحقيق وحدة الصف ، عن طريق تحقيق وَحْدةٍ قلبية صادقة بين العاملين ، ووَحْدةٍ فكرية واضحة ، وذلك بواسطة التحابب والتوادد والتزاور والتواصل والتباذل فيما بينهم من جهة ، وبالتحاور والتشاور ، ووضع ضوابط فكرية يلتقون عليها ويتحاكمون إليها من جهة أخرى . فيتعاون المتفقون على تحقيق ما اتفقوا عليه ، ويعذر المختلفون بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه مما يجوز فيه الخلاف ...

١١ ـ العمل على تفريغ هيئة عليا من حكماء الأمة وعلمائها الموثوقين في دينهم وخبراتهم ، يَخْضع لها أفراد الأمة ، ويقدمون لها النصح والشورى ... فتتدارس فيما بينها التوصيات والآراء ، وتُتَّخذُ من قبلها القراراتُ ، وتصدر عنها الخطط والمناهج والتوجيهات ...

فكم في الأمة من قيادات علمية وخبرات عملية ، مشغولة في تصريف أمورها الشخصية ، أو مستهلكة في وظائف عادية !!

١٢ ـ المراجعةُ المستمرّةُ للعمل الدعوي ، واعتمادُ مبدأ النقد الذاتي ، والعَملُ الجادّ على متابعة الخطط ، وتطوير الأساليب ، وتقوية الوسائل وتصحيح الأخطاء .. فبغير هذا لايوصف العمل الدعوي بالعمل الصالح الذي وُعِدَ عليه المؤمنون بالنصر والتمكين ، بمثل

---

(١) سمعتُ هذا التشخيص من فضيلة الأستاذ الشيخ أبو الحسن الندوي في لقاء معه منذ سنوات في منزل أحد الإخوة ، والأمرُ كما قال ـ حفظه الله ونفع به ـ .

قوله تعالى :

﴿ وَعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ... ﴾[1]

وقوله :

﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴾[2] .

كما لاتتطابق السبيل الدعوية مع السبيل التي كان عليها رسول الله ﷺ في الدعوة ، والتي عَبرَّ عنها القرآن بقوله :

﴿ قل : هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾[3] .

١٣ ـ إقامةُ المشاريع الاقتصادية الاستثمارية الكبرى التي تسد حاجات الدعوة المادية المتنامية ، وتجعل الدعاة في غِنىً عن السؤال وجمع الصدقات ، وتحررهم من آثار الضغوط المتنوعة ، وذلك كما فعلت بعض المؤسسات الدعوية حديثاً ، كالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت ، وهيئة الإغاثة الإسلامية في المملكة العربية السعودية ، وغيرها لعلاج هذه المشكلة .

١٤ ـ الاستعانةُ في ذلك كله بالله عز وجل وحده ، والتوكلُ الصادق عليه ، لأنه هو القادر على كل شيء ، والقائل :

---

(١) الآية / ٥٥ / من سورة النور .

(٢) الآية / ١ ـ ٣ / من سورة العصر .

(٣) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

﴿ ومَنْ يَتوكَّلْ على الله فهو حَسْبُه ، إنَّ الله بالِغُ أمْرِه ﴾[1] .

والقائل :

﴿ ومَنْ يتوكَّلْ على الله فهو حَسْبُه ﴾[2] ، والقائل :

﴿ وإليه يَرْجِعُ الأمرُ كُلُّه ، فاعبُدْه وتَوكَّلْ عَليه ﴾[3] .

إلى غير ذلك من معالم وتوصيات يراها الدعاة والمهتمون بواقع الدعوة الإسلامية اليوم .

* * *

---

(١) الآية / ٣ / من سورة الطلاق .

(٢) الآية / ١٣ / من سورة التغابن .

(٣) الآية / ١٢٣ / من سورة هود عليه السلام .

المبحث الثالث

« المشكلات الخارجية »

ونريد بها المشكلات والعقبات التي تنبع من خارج الدعاة ، وتأتي من قِبَلِ أعدائهم لتعوق دعوتهم .

ويمكن إجمالُ العقبات الخارجية في عدة أمور أساسية ، هي :

١ ـ مَكْرُ الأعداء المستمر بالمسلمين ، وكَيْدُهم لهم ، وتخطيطهم الدائم للقضاء على الدعوة الإسلامية .

وهو سنة من سنن الله الثابتة في هذه الحياة ، ومَعْلَم من معالم الصراع بين الحق والباطل في تاريخ الدعوة ، قال تعالى :

﴿ ويَمْكرون ويَمْكُرُ اللهُ ، واللهُ خَيْرُ الماكرين ﴾[١]. وقال :

﴿ بَلْ مَكْرُ الليل والنهار ، إذْ تأمروننا أنْ نَكْفُرَ بالله .. ﴾[٢] ، وقال :

﴿ وقَدْ مَكروا مَكْرهم ، وعِنْدَ الله مَكْرُهم ، وإنْ كانَ مَكْرُهم لِتَزولَ منه الجبال ﴾[٣] ، وقال :

﴿ وقَدْ مَكَر الذين مِنْ قَبْلهم ، فلله المَكْرُ جميعاً ﴾[٤] .

---

(١) الآية / ٣٠ / من سورة الأنفال .

(٢) الآية / ٣٣ / من سورة سبأ .

(٣) الآية / ٤٦ / من سورة إبراهيم عليه السلام .

(٤) الآية / ٤٢ / من سورة الرعد .

كما قال عز وجل :

﴿ إنَّهم يَكيدونَ كَيْداً ＊ وأَكِيدُ كَيْداً ＊ فَمَهِّل الكافرينَ أَمْهِلْهم رُوَيداً ﴾[1] .

٢ ـ تَعاونُ الأعداء فيما بينهم على تطبيق المكر ، وتنفيذ تلك المخططات ، وتداعيهم على المسلمين ، قال تعالى :

﴿ وكان في المدينة تِسْعةُ رَهْطٍ يُفْسدون في الأرض ، ولايُصلحون ＊ قالوا : تَقَاسَموا بالله لنُبَيِّتَنَّه وأَهْلَه ، ثم لَنَقولَنَّ لِوَلِيّه : ماشَهِدْنا مَهْلِكَ أهله ، وإِنّا لصادقون ＊ ومَكَروا مَكْراً ، ومَكَرْنا مَكراً وهم لايَشعرون ＊ فانْظُر كيفَ كان عاقبةُ مَكْرهم ، أَنّا دَمَّرناهم وقومَهم أجمعين ＊ فتلك بيوتُهم خاويةً بما ظَلَموا ، إن في ذلك لآيةً لقوم يعلمون ＊ وأَنْجينا الذينَ آمنوا وكانوا يَتَّقون ﴾[2] .

وجاء في الحديث الشريف :

« يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأَكَلةُ إلى قَصعتها ، فقال قائل : ومن قِلّةٍ نحن يومئذ ؟! قال : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولَيَنْزِعَنَّ الله من صدور عدوكم المهابةَ منكم ، وليَقْذِفَنَّ الله في قلوبكم الوَهْنَ ، فقال قائل : يارسول الله وما

---

(١) الآيات / ١٥ ـ ١٧ / من سورة الطارق .

(٢) الآيات / ٤٨ ـ ٥٣ / من سورة النمل .

الوَهْنَ ؟ قال : حُبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت »[1] .

٣ ـ تَنَوّعُ أساليب الأعداء في مواجهة الدعوة والدعاة ، فمن مواجهة صريحة مكشوفة ، إلى محاولة احتواءٍ لها ولأصحابها بأساليب عديدة ، إلى مخادعةٍ واستدراجٍ لهم إلى مواقف مقصودة ... وهكذا في القديم والحديث .

وكلما استَنْفَذوا أسلوباً ، أو ثبت لهم فشلُه ، اختاروا أسلوباً جديداً مناسباً وطوروا أساليبهم باستمرار[2] .

٤ ـ قُوّةُ وسائلهم المادية ، وتسخيرُهم العلوم الحديثة ، والدراسات العلمية في سبيل تحقيق أهدافهم ... فمن مراكز أبحاث ودراسات لأحوال العالم الإسلامي ، ونفسيّات زعمائه ، وتطوراتِ مواقفه ... إلى صناعات ثقيلة ، وأسلحةٍ مدمِّرة ، وسباقٍ في التسلح لايقف عند حد ... إلى عقد مؤتمرات ومعاهدات واتفاقات فيما بينهم وبين الدول الضعيفة ... وما إلى ذلك ...

إلى غير ذلك من مشكلات وعقبات تواجه العالم الإسلامي ، وتعوق مسيرة الدعوة الإسلامية .

* * *

---

(١) الحديث رواه أبو داود وأحمد ، عن ثوبان رضي الله عنه ، انظر « عون المعبود » كتاب الملاحم رقم (٥) (١١/٤٠٤) وانظر « الفتح الرباني » (٢٤/٣١ ـ ٣٢) .

(٢) انظر على سبيل المثال : « بروتوكولات حكماء صهيون » و « أحجار على رقعة الشطرنج » و « أجنحة المكر الثلاثة » و « التنصير خطةٌ لغزو العالم الإسلامي » وما إلى ذلك .

المبحث الرابع

« معالم في طريق معالجة المشكلات الخارجية »

يَعملُ الدعاة ويجتهدون كثيراً في معالجة المشكلات والعقبات الخارجية ، وتختلف آراؤهم وأساليبهم ووسائلهم في تحقيق ذلك ، ولكنهم كلما عالجوا مشكلة أو حاولوا تجاوز عقبة من العقبات ، برزت أمامهم تلك المشكلات والعقبات ، في صورة أخرى ، قد تكون أشد وأصعب ، مما أوقع كثيراً منهم في الحيرة أمامها ، وكاد أن يصل ببعضهم إلى اليأس والاستسلام .. !

وهذا يعود في حقيقته إلى أمرين اثنين :

١ ـ ضعف المسلمين ، وتحكُّمُ مشكلاتهم الداخلية فيهم ، مما يُضعفهم عن مثل هذه المعالجات للمشكلات الخارجية .

٢ ـ قوة الأعداء في مناهجهم وأساليبهم ووسائلهم ... وأنّى للضعيف أن يواجه القويَّ !!؟

كل هذا يجعلنا نختار طريقاً أخرى لمعالجة هذه المشكلات الخارجية ، وهي التنبيه إلى المعالم الإلهية ، والسنن الربانية في ذلك ، ذلك لأن المشكلات الخارجية ـ كما سبق ـ مشكلاتٌ قديمة ، واجهت الدعوات الإلهية في جميع مراحل تاريخها ، فما من رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا وقَدْ واجَهَهُ وقومَه المؤمنين معه مِثْلُ هذه العقبات والمشكلات ، وكانت العاقبة للمؤمنين ...

ولم تكن العقبات في زمنهم خفيفة أو بسيطة كما يتصورها بعضهم ، وإنما كانت في بعض الأحوال على أشدها وأقواها ، والشدة والخفة أمران نسبيان يختلفان من عصر إلى آخر ، وذلك بحسب طبيعة كل عصر وإمكاناته ...

ولكنها سنة الله الثابتة التي لاتتغير ، قال تعالى :

﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسلنا ، ولاتجدُ لسُنَّتِنا تَحْويلا ﴾[1] ، وقال :

﴿ سُنَّةَ الله في الذين خَلَوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾[2] وقال مُعَلِّلاً بَعْضَ تصرفاتِ الأعداء ، ومذكراً بعاقبة من قَبْلهم ، ومُبَصِّراً بسنته الثابتة :

﴿ وأقْسَموا بالله جَهْدَ أَيْمانهم ، لَئِنْ جاءهم نذيرٌ ليكونُنَّ أَهدى مِنْ إِحدى الأُمَم ، فلمّا جاءَهم نذيرٌ مازادَهم إلا نُفوراً ۞ استكباراً في الأرض ، ومَكْرَ السيِّء ، ولايَحيقُ المكرُ السيء إلا بأهله ، فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فَلَنْ تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ۞ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، وكانوا أشدَّ منهم قُوَّةً ، وماكان الله ليعجزَه من شيء في السموات ولا في الأرض ، إنه كان عليماً قديراً ۞ ولو يؤاخذُ اللهُ الناسَ بما كسبوا ماترَكَ

---

(١) الآية / ٧٧ / من سورة الإسراء .

على ظَهْرها من دابة ، ولَكِنْ يُؤَخِّرُهم إلى أَجَل مُسَمّى ، فإذا جاء أَجلُهم ، فإن الله كان بِعباده بَصيراً ﴾ (١) .

وقد لَخَّصَ الله عز وجل لعباده معالِمَ معالجة مثل هذه العقبات الخارجية مهما كانت ، وجعلها منوطةً بأمرين متلازمين لابد منهما جميعاً وهما :

١ ـ التقوى ،

٢ ـ الصبر ،

فقد جاءت آيات عديدة تربط بين الأمرين في مجال معالجة العقبات والنجاة من كيد الأعداء ومكرهم ، فقال تعالى :

﴿ وإن تَصْبِروا وتتَّقُوا ، لايَضرُكم كيدُهم شيئاً ، إن الله بما يعملون محيط ﴾ (٢) .

وقال أيضاً :

﴿ لَتبْلَوُنَّ في أموالكم وأَنْفُسِكم ، ولتَسمَعُنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً ، وإِنْ تَصْبروا وتَتَّقوا ، فإِنَّ ذلك من عَزْمِ الأمور ﴾ (٣) .

وقال بعد عرض العقبات التي واجهت يوسف عليه السلام :

﴿ إِنَّه من يَتَّقِ ويَصْبر، فإن الله لايُضيعُ أجر المُحْسنين﴾ (٤) .

(١) الآيات / ٤٢ ـ ٤٥ / من سورة فاطر .
(٢) الآية / ١٢٠ / من سورة آل عمران .
(٣) الآية / ١٨٦ / من سورة آل عمران .
(٤) الآية / ٩٠ / من سورة يوسف عليه السلام .

ولكننا كثيراً ما نمر على هذه الآيات القرآنية وأمثالها دون تنبه لمعانيها ، وإلى أنها تقرير حقيقة قاطعة ، وسنة ثابتة في الصراع بين الحق والباطل إلى يوم القيامة ، لابد للمسلمين من الإفادة منها ، والعمل على أساسها ، وإلا كان عملهم دون جدوى ...

فليست التقوى التي يتحدث عنها القرآن ، ويأمر بها ويكررها على مسامعنا كلمةً تُقال ، أوْ دَعْوى تُدَّعى ، وإنما هي حالةٌ نفسية خاصة تُعرَفُ بآثارها ومظاهرها .

وليس الصبر المذكور في هذه الآيات والمأمور به هيناً أيضاً ، وإنما هو من عزائم الأمور التي تتطلب جهاداً ومجاهدة ، والتي تعرف بمظاهرها وآثارها .

ومن أبرز مظاهر التقوى في مواجهة العقبات وعلائمها :

١ ـ إخلاصُ المؤمن لله عز وجل في نيته وقوله وعمله ، وجميع شؤونه ، فالإخلاص هو الذي يقي الأعمال من أن تُحبط وتضيع آثارُها ، وهو الذي يقي صاحبه من كيد أعدائه له في الدنيا ، وهو الذي يقي صاحبه من النار في الآخرة .

قال تعالى :

﴿ إلا الذين تابوا وأَصْلَحوا واعتَصَموا بالله ، وأَخْلَصوا دينَهم لله ، فأولئك مع المؤمنين ﴾[1] .

وقال أيضاً :

(١) الآية / ١٤٦ / من سورة النساء .

﴿ فَادْعوا الله مُخْلِصينَ له الدينَ ، ولو كَرِهَ الكافرون ﴾[1]
وقال :
﴿ فاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً له الدينَ ۞ ألا لله الدينُ الخالِصُ . . ﴾[2].
وقد جاء في الحديث الشريف :
« إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى ... »[3] .
وجاء أيضاً أن أول ما تُسعَّر جهنم بالذين جانبوا الإخلاص لله في أعمالهم ، وأول من يقضى عليه يوم القيامة ثلاثة من هؤلاء [4].

٢ ـ التزامُ طاعة الله ، واجتنابُ نهيه : ومن هنا عرف بعضهم التقوى بقوله :
« أن لايراك الله حيث نَهاكَ ، وأن لا يفقدك حيث أمرك » ، قال تعالى :
﴿ فاتَّقوا اللهَ وأطيعون ۞ ولاتُطيعوا أمْرَ المُسْرِفين ۞ الذين يُفْسِدونَ في الأرض ولايُصْلِحون ﴾[5] .
وقال أيضاً :
﴿ إِنَّما كانَ قولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله لِيَحْكُمَ بينهم ، أَنْ يقولوا سَمِعنا وأَطَعْنا ، وأولئك هُمُ المفلحون ۞

(١) الآية / ١٤ / من سورة غافر .
(٢) الآيات / ٢ ـ ٣ / من سورة الزمر .
(٣) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (١) و « الفتح » (١١/ ٢٩٤) و « صحيح مسلم » رقم (٧٨٥) .
(٤) انظر حديث مسلم رقم (١٩٠٥) .
(٥) الآيات / ١٥٠ ـ ١٥٢ / من سورة الشعراء .

ومَنْ يُطع اللهَ ورسولَهَ ، ويَخْشَ اللهَ ويَتَّقْهِ ، فأولئك هم الفائزون ﴾[1] .

وقال أيضاً :

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ۞ يُصلحْ لكم أعمالكم ، ويَغْفِرْ لكم ذنوبكم ، ومَنْ يُطِعِ اللهَ ورسولَه فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾[2] .

٣ ـ التواصي بين المؤمنين بالحق ، وتبادل النصيحة والشورى فيما بينهم ، والتآمر بينهم بالمعروف ، والتناهي عن المنكر .

قال تعالى :

﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر ۞ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ۞ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾[3] .

وقال :

﴿ وأَمْرُهم شورىٰ بينهم ﴾[4] .

وجاء في الحديث الشريف :

« الدين النصيحة ... »[5] فجعلها أساس الدين وجوهره ، كما جاء في الحديث أيضاً :« أن أول مادخل النقص على بني إسرائيل

---

(١) الآيات / ٥١ ـ ٥٢ / من سورة النور .

(٢) الآيات / ٧٠ ـ ٧١ / من سورة الأحزاب .

(٣) سورة العصر .

(٤) الآية / ٣٨ / من سورة الشورى .

بتركهم التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[1] .

٤ ـ إتقانُ العمل الصالح والاستمرارُ عليه ، وتَوخّي الحِكْمة فيه : قال تعالى :

﴿ يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشـاء ، ومَنْ يُؤْتَ الحكمَةَ فَقَدْ أوتِيَ خيراً كثيراً ﴾[2] . وجاء في الحديث الشريف :

« وكان أحَبُّ الدين إليه مادام صاحبُه عليه »[3]، وفي الحديث : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم العملَ أن يُتْقِنه »[4] .

ومن العمل الصالح الذي أُمِرْنا به ، ومن أوجه الحكمة فيه : الاستمرار في دعوة الآخرين إلى الحق والهدى ، والحرص على هدايتهم ، وعدم اليأس منهم ، فبالدعوة الصادقة الحكيمة قد ينقلب العدو صديقاً ، وتُصبح قوة الأعداء قوةً للمسلمين ، كما حدث في تاريخ الدعوة قديماً وحديثاً ...

٥ ـ تحقيقُ وَحْدة الصف بين العاملين ، ونَبْذُ التفرق والشقاق ، ولاسيما عند مواجهة الأعداء : قال تعالى :

﴿ وأطيعوا اللهَ ورَسولَه ولاتَنازَعوا فتَفْشَلوا وتَذْهَبَ

---

(١) معنى حديثٍ رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديثٌ حَسَنٌ ، انظر « سنن أبي داود » رقم (٤٣٣٦) و « سنن الترمذي » (٣٠٥٠) .

(٢) الآية / ٢٦٩ / من سورة البقرة .

(٣) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري » رقم (٦٤٦١ و ٦٤٦٢ و ٦٤٦٤ و ٦٤٦٥) و « الفتح » (٢٩٤/١١) و « صحيح مسلم » رقم (٧٨٥) .

(٤) الحديث ذكره العجلوني في كشف الخفاء ، وعزاه إلى أبي يعلى والعسكري ، والبيهقي والطبراني بألفاظ متقاربة ، دون الحكم عليه ، انظر « كشف الخفاء » (٢٨٥/١ و ٢٨٦) .

رِيحُكم .. ﴾[1]. وقال :

﴿ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الذينَ يقاتِلون في سبيله صَفاً ، كأنهم بُنيانٌ مَرْصوص ﴾[2] .

وقد جاء الأمر بالاعتصام وعدم التفرق في كتاب الله إِثْر الأمر بتقوى الله حق تقاته ، فقال سبحانه :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حَقَّ تُقاتِه ، ولا تَموتُنَّ إلا وأنْتم مُسلمون ❊ واعتصموا بِحَبْلِ الله جميعاً ولا تَفرَّقوا .. ﴾[3] .

٦ ـ اللجوء إلى الله وحدَه ، والإكثار من ذكره ، والتضرع إليه في السراء والضراء : قال تعالى مبيناً موقف المؤمنين في الشدائد وعند مواجهة الأعداء :

﴿ ربنا أَفْرِغ علينا صَبراً ، وتَوفَّنا مسلمين ﴾[4] وقال :

﴿ ولما بَرزوا لجالوتَ وجنودِه قالوا : ربَّنا أَفْرِغ علينا صَبْراً وثَبِّتْ أقدامَنا ، وانصُرنا على القوم الكافرين ❊ فهزَموهم بإذن الله ... ﴾[5]. وقال أيضاً :

﴿ يا أيها الذين آمَنوا إذا لقيتم فِئَةً فاثبُتوا واذكُروا اللهَ

---

(١) الآية / ٤٦ / من سورة الأنفال .

(٢) الآية / ٤ / من سورة الصف .

(٣) الآيات / ١٠٢ و ١٠٣ / من سورة آل عمران .

(٤) الآية / ١٢٦ / من سورة الأعراف .

(٥) الآيات / ٢٥٠ ـ ٢٥١ / من سورة البقرة

كثيراً لعلكم تُفْلحون ﴾ [1] .

وما إلى ذلك من مظاهر التقوى الأخرى ...

ومن أبرز مظاهر الصبر في مواجهة العقبات وعلائمه :

١ ـ الاستمرارُ في العمل الحكيم ، والثباتُ على التقوى والعمل الصالح : قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمَنوا اصبِروا وصابِروا ورابِطوا واتَّقوا الله لعلكم تُفلحون ﴾ [2] .

وقال أيضاً :

﴿ ولقد كُذِّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذِّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مُبَدِّلَ لكلمات الله ... ﴾ [3]

وقال :

﴿ .. وماكان ربُّك نَسيّا ۞ ربُ السموات والأرض ومابينهما ، فاعْبُدْه واصْطَبِر لعبادته ... ﴾ [4] .

٢ ـ البَذْلُ والتضحية في سبيل الله ، والجهاد بالمال والنفس والوقت وما إلى ذلك .

قال تعالى :

---

(١) الآية / ٤٥ / من سورة الأنفال .

(٢) الآية / ٢٠٠ / من سورة آل عمران .

(٣) الآية / ٣٤ / من سورة الأنعام .

(٤) الآيات / ٦٤ و ٦٥ / من سورة مريم .

﴿ أَمْ حَسِبْتُم أَنْ تَدخُلوا الجنةَ ، ولما يَعْلمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم ويَعلَمَ الصابرين ! ﴾[1] .

وقال أيضاً :

﴿ ثُمَّ إِنَّ ربك للذين هاجَروا من بَعْدِ ما فُتِنوا ، ثم جَاهدوا وصَبروا ، إن ربك من بَعْدِها لغفورٌ رحيم ﴾[2] . وقال :

﴿ ولَنَبْلُونَّكم حتى نَعلمَ المجاهدينَ منكم والصابرين ونَبْلُوَ أَخْباركم ﴾[3] .

٣ ـ التَعقُّل في العمل ، وعَدمُ التَعجُّل بالنتيجة ، وضبط النفس :

قال تعالى :

﴿ خُلِقَ الإنسانُ من عَجَل ، سَأُريكم آياتي فلا تَسْتعجلون ﴾[4]

وقال أيضاً :

﴿ فاصبِرْ كما صَبَرَ أولو العَزْم من الرسل ، ولاتَستعجِلْ لَهم ، كأنهم يومَ يَرَوْن ما يوعدون لم يَلْبثوا إلا ساعةً من نَهار ، بلاغٌ ، فهل يُهلَكُ إلا القومُ الفاسقون ﴾[5] وقال :

﴿ فاصبِر إنَّ وعْدَ الله حقٌّ ، ولا يَسْتَخِفنَّك الذين لا يُوقِنون ﴾[6]

---

(١) الآية / ١٢٤ / من سورة آل عمران .

(٢) الآية / ١١٠ / من سورة النحل .

(٣) الآية / ٦ / من سورة محمد ﷺ .

(٤) الآية / ٣٧ / من سورة الأنبياء .

٤ ـ عَدَمُ الركون إلى الأعداء وتوليهم ، وإعلانُ البراءة منهم ، وتجنبُ الخضوع والتنازل عن أمور الدين من أجلهم :

قال تعالى :

﴿ فاصبِرْ لحُكْمِ ربكَ ، ولا تُطِع منهم آثماً أو كفوراً ﴾(١) .

وقال أيضاً :

﴿ فاستَقِمْ كما أُمِرْتَ ، ومَنْ تابَ معكَ ، ولا تَطْغَوا ، إنه بما تَعملون بصير ۞ ولا تَركُنوا إلى الذين ظَلَموا فتمسَّكُم النارُ ، ومالَكم من دون الله مِنْ أولياء ، ثُمَّ لاتُنْصَرون ﴾(٢) .

وقال :

﴿ ولولا أَنْ ثَبَّتْناكَ ، لقد كِدْتَ تركَنُ إليهم شيئاً قليلاً ۞ إذاً لأَذَقناكَ ضِعْفَ الحياة ، وضِعْفَ الممات ، ثم لا تَجِدُ لك علينا نصيراً ... ﴾(٣) . وقال :

﴿ ياأيها الذين آمنوا : لاتَتَّخذوا الكافرين أولياءَ من دون المؤمنين ،أتُريدون أَنْ تَجعلوا لله عليكم سُلطاناً مبيناً ﴾(٤) .

وقال :

﴿ قد كانت لكم أُسوةٌ حَسَنَةٌ في إبراهيمَ والذينَ معه ، إذْ

---

(١) الآية / ٢٤ / من سورة الإنسان .

(٢) الآيات / ١١٢ و ١١٣ / من سورة هود عليه السلام .

(٣) الآيات / ٧٤ ـ ٧٥ / من سورة الإسراء .

قالوا لقومهم : إنّا بُرآءُ منكم ومما تَعبدون من دون الله ، كَفَرْنا بكم ، وبَدا بَيْننا وبَيْنكم العداوةُ والبغضاءُ أبداً ، حتى تُؤمنوا بالله وحدَه ﴾[1] .

٥ ـ التصديقُ بوعد الله ، والجَزْمُ بأن العاقبة للمتقين :

قال تعالى :

﴿ فاصبِرْ إنَّ وعْدَ الله حقٌ ، ولا يَسْتَخِفنَّك الذينَ لا يوُقنون ﴾[2]

وقال سبحانه :

﴿ فاصبر إن وَعْدَ الله حقٌ ، فإما نُرينَّك بعضَ الذي نَعِدُهم أو نَتَوفينَّكَ ، فإلينا يُرجعون ﴾[3] .

وقال :

﴿ ثم نُنَجِّي رُسُلَنا والذين آمنوا ، كذلك حقاً علينا نُنجي المؤمنين ﴾[4] . وقال :

﴿ وكان حقاً علينا نَصْرُ المؤمنين ﴾[5] . وقال :

﴿ وَعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليَسْتَخْلِفَنَّهم في الأرض كما استخلَفَ الذين مِنْ قَبلِهم ، وليُمكِنَنَّ لهم

---

(١) الآية / ٤ / من سورة الممتحنة .

(٢) الآية / ٦٠ / من سورة الروم .

(٣) الآية / ٧٧ / من سورة غافر .

(٤) الآية / ١٠٣ / من سورة يونس عليه السلام .

(٥) الآية / ٤٧ / من سورة الروم .

دينَهم الذي ارتَضى لهم ، وليُبَدِّلَنَّهم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهم أَمْناً ... الآيات ﴾[1] .

وقال :

﴿ قال موسى لقومه : استعينوا بالله واصْبِروا ، إِنَّ الأرضَ لله يُورثها مَنْ يشاءُ من عباده ، والعاقبةُ للمتقين ﴾[2] .

٦ ـ تفويض الأمر لله ، وصدقُ التوكل عليه ، فهو القادر الذي لايعجزه شيء : قال تعالى :

﴿ وتوكَّلْ على الله وكَفى بالله وكيلاً ﴾[3] . وقال :

﴿ ولاتُطِعِ الكافرينَ والمنافقين ودَعْ أَذاهم ، وتَوكَّلْ على الله ، وكفى بالله وكيلا ﴾[4] . وقال :

﴿ ومالَنا أَنْ لانتوكَّلَ على الله ، وقَدْ هدانا سُبُلَنا ، ولنَصْبِرنَّ على ما آذَيتُمونا ، وعلى الله فَلْيتوكَّلِ المتوكلون ﴾[5] .

وقال :

﴿ لاتحسبَنَّ الذين كفروا مُعْجزينَ في الأرض ، ومَأْواهم النارُ ولَبِئْسَ المصير ﴾[6] .

---

(١) الآية / ٥٥ / من سورة النور .

(٢) الآية / ١٢٨ / من سورة الأعراف .

(٣) الآية / ٣ / من سورة الأحزاب .

(٤) الآية / ٤٨ / من سورة الأحزاب .

(٥) الآية / ١٢ / من سورة إبراهيم عليه السلام .

(٦) الآية / ٥٧ / من سورة النور .

إلى غير ذلك من معالم وتوجيهات قرآنية ، لو تنبَّه الدعاة إليها وتمسكوا بها مجتمعة ، لما وقفت أمامهم عقبة ولا عسرت عليهم مشكلة [1] .

* * *

---

(١) قف على زيادة إيضاح لهذه المعاني وتأكيدٍ عليها في كتاب « رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر » للأستاذ محمد قطب .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، ورضي الله عن الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان من العلماء العاملين والدعاة الصادقين إلى يوم الدين ،

وبعد :

فأحمد الله عز وجل وأثني عليه ، إذ أعانني على إتمام كتابة هذا المدخل العلمي لعلم الدعوة ، الذي تناولت فيه معظم موضوعات هذا العلم الشريف التي يوضح عمل الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، ويبين كيف يجب أن يكون عليه عمل أتباعهم من دعوة إلى الله على بصيرة بأصول الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها ...

وأسأله سبحانه أن يجعل ماكتبته محل دراسة وتمحيص من جهة ، وميدان كتابة وتصنيف من جهة أخرى ، وذلك لأنَّ علم الدعوة ـ كما بينت سابقاً ـ علم ناشئ لابد له من تحديد المصطلحات ، وتضافر الجهود على تأصيله وعرضه ...

وهنا أود أن أنبه إلى عدة أمور :

١ ـ لايصح أن تؤدي الكتابة في علم الدعوة والتصنيف فيه إلى جعل الدعوة علماً نظرياً بعيداً عن العمل والتطبيق ، تُعرَضُ فيه الدعوة عرضاً مجرداً ، يُتحدَّثُ فيه عما كانت عليه ، أو كيف يجب أن تكون فحسب ـ كما هو واقع عدد من العلوم الإسلامية الأخرى ـ بل يجب أن يربط هذا العلم بواقع الدعوة وممارستها العملية ، فتجري تطبيقاته في واقع العمل الدعوي الفردي والجماعي ، فتربىَّ عليه الأفراد ، ويمارسه الدعاة في حياتهم اليومية ...

فإن من مهمة هذا العلم أن يصحح الواقع العملي للدعوة إلى الله ويسدد هذا الواقع ، كما أن من مهمة الواقع العملي الصحيح للدعوة أن يطور من معالم هذا العلم ويضيف إليه الجديد النافع ، فيمده بالمستجدات المفيدة في المناهج والأساليب والوسائل ...

ولا أنسى هنا أن أشيد بما فعله قسم الدعوة والاحتساب في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المدينة المنورة من إضافة مادة جديدة على خطته الدراسية أسْماها « تطبيقات دعوية » يتدرب فيها الطلبة والدارسون على تطبيق العلوم الدعوية التي يدرسونها على أيدي الخبراء من الأساتذة والدعاة .

٢ ـ إن ماكُتِبَ في هذا المدخل لايخرج عن كونه محاولة جادة في سبيل توضيح معالم علم الدعوة ونشأته ، لاتسلم من الخطأ والقصور ، وتتطلب مزيداً من الحرص والاهتمام لمتابعة النظر فيها ، والعمل على مناقشتها وتسديدها .

فما أصبتُ فيه : فمن الله وحده وبفضله ، وما أخطأت فيه : فمن قصوري وضعفي ، الذي أرجو فيه المغفرة من الله عز وجل ، والإعذارَ من الأخوة الدعاة ، فعسى أن يُذهب الله السيئات بالحسنات ، ويسدد الأخطاء بالتصويبات ، وأن يشفع لي في ذلك حُسْن المقصد وبَذْلُ الجهد ، فإنما الأعمال بالنيات ...

٣ ـ إن كل موضوع من موضوعات هذا المدخل يصلح في نظري أساساً لبحث علمي متخصص في موضوعه ، فحبذا لو يفيد فيه الإخوة الباحثون ، ولاسيما أبناء الدراسات العليا المتخصصين في علم الدعوة ، فيكتبوا فيه ويركزوا في دراساتهم عليه ، فإن كل فصل

من فصوله يصلح موضوعاً لرسالة دكتوراه ، وإن كل مبحث من مباحثه يصلح موضوعاً لرسالة ماجستير أو لبحث جزئي من الأبحاث العلمية .

وإذا كانت بعض موضوعاته قد عُني بها الكاتبون والدارسون ـ كموضوع تاريخ الدعوة مثلاً ـ فإن موضوعاته الأخرى لاتزال في حاجة ماسةٍ إلى العناية بها والدراسة لها ، والتصنيف فيها : لتتكامل أجزاء هذا العلم وتكمل الفائدة منه .

وليت المشرفين على الأقسام العلمية المتخصّصة في الجامعات الإسلامية يهتمون بهذا المطلب فيوجهون اهتماماتهم واهتمامات الباحثين إلى تحقيق ذلك .

هذا ، وأسأل الله عز وجل أن يتقبل هذا العمل ، ويجعله ذخراً لي يوم ألقاه ، وأن يصلح لي جميع عملي ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم .

كما أسأله أن ينفع به كاتبه ، وجميع المسلمين ، ويجعله صدقة جارية إلى يوم الدين ، وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين ،

وأن يجزي عني خيراً جميع الأساتذة الأفاضل ، والأخوة الكرام الذين تكرموا بإبداء ملاحظاتهم المفيدة ، فساهموا في تسديد هذا الكتاب ، وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

في غرة شهر شوال عام ١٤١١ هـ .

* * *

الفهارس

١ - فهرس الآيات القرآنية

* * *

٢ - فهرس الأحاديث النّبويّة

٣ ـ فهرس الأعلام

* * *

٤ - فهرس المراجع والكتب الوارد ذِكرها في هذا الكِتاب

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١ -	آداب البحث والمناظرة .	محمد الأمين الشنقيطي
٢ -	الآداب الشرعية .	ابن مفلح
٣ -	الآداب في علم أدب البحث والمناظرة .	محمد محي الدين عبد الحميد
٤ -	آيات التخويف الكونية وأثرها في الدعوة .	جمعان عبد الله سرور الغامدي
٥ -	إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين .	الزبيدي
٦ -	الإتقان في علوم القرآن .	السيوطي
٧ -	أجنحة المكر الثلاثة . .	عبد الرحمن حبنكة
٨ -	أحجار على رقعة الشطرنج .	وليام غاي كار
٩ -	أحكام أهل الذمة .	ابن القيم
١٠ -	الإحكام بين مراحل العمل في دعوة الإسلام .	يوسف محيي الدين أبو هلالة
١١ -	الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام ، وتصرف القاضي والإمام .	القرافي المالكي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة
١٢ -	إحياء علوم الدين .	الغزالي
١٣ -	أخبار عمر رضي الله عنه .	الطنطاويان
١٤ -	الأخلاق الإسلامية .	عبد الرحمن حبنكة
١٥ -	الأخوة الإسلامية .	عبد الله علوان
١٦ -	الأخوة والحب في الله .	حسني أدهم جراره
١٧ -	أدب الاختلاف في الإسلام .	طه جابر العلواني
١٨ -	الأدب المفرد .	البخاري
١٩ -	الأذكار .	النووي
٢٠ -	إسبانيا الإسلامية	فراتر روزنتال الإسباني

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢١ ـ	استخراج الجدل في القرآن الكريم .	ابن الحنبلي ، تحقيق زاهر عواض الألمعي
٢٢ ـ	أسد الغابة .	ابن الأثير
٢٣ ـ	الإسلام الفاتح .	حسين مؤنس
٢٤ ـ	الإصابة .	ابن حجر
٢٥ ـ	الأصالة والمعاصرة خصيصتان من خصائص الدعوة .	محمد أبو الفتح البيانوني
٢٦ ـ	أصول الحوار .	صادر عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي
٢٧ ـ	أصول الدعوة .	عبد الكريم زيدان
٢٨ ـ	الاعتصام .	الشاطبي
٢٩ ـ	الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية .	محمود السيد حسن مصطفى
٣٠ ـ	إعلاء السنن .	التهانوي
٣١ ـ	إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين .	محمد بن طولون الدمشقي، تحقيق محمود الأرناؤوط
٣٢ ـ	إقامة الدليل على حرمة التمثيل .	أحمد الغماري
٣٣ ـ	اقتضاء الصراط المستقيم ، مخالفة أهل الجحيم .	ابن تيمية
٣٤ ـ	الإمام سفيان الثوري .	محمد أبو الفتح البيانوني
٣٥ ـ	أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة .	يوسف القرضاوي
٣٦ ـ	الإيمان .	عبد المجيد الزنداني
٣٧ ـ	الإيمان خصائصه وثمراته .	أحمد عز الدين البيانوني
٣٨ ـ	البحر المحيط .	أبو حيان

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٣٩	ـ البداية والنهاية .	ابن كثير
٤٠	ـ بروتوكولات حكماء صهيون .	ترجمة : محمد خليفة الترنسي
٤١	ـ البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد .	عبد الله بن عبد الرحمن السليماني
٤٢	ـ بينات الحل الإسلامي .	يوسف القرضاوي
٤٣	ـ تاج العروس .	الزبيدي
٤٤	ـ تاريخ الإسلام .	الذهبي
٤٥	ـ تاريخ الأمم الإسلامية .	الخضري
٤٦	ـ تاريخ الأنبياء .	محمد الطيب النجار
٤٧	ـ تاريخ بغداد .	الخطيب البغدادي
٤٨	ـ تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر .	آرمينوس فابري المجري
٤٩	ـ تاريخ توثيق نص القرآن الكريم .	خالد العك
٥٠	ـ تاريخ الدعوة	جمعة الخولي
٥١	ـ تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم .	آدم عبد الله الألوري
٥٢	ـ تاريخ الشعوب الإسلامية .	كارل بروكلمان الألماني
٥٣	ـ تاريخ الطبري .	الإمام الطبري
٥٤	ـ تاريخ العرب العام .	فيليب حتي
٥٥	ـ تحفة الأحوذي .	المباركفوري
٥٦	ـ التدرج بين التشريع والدعوة .	يوسف محيي الدين أبو هلالة
٥٧	ـ تذكرة الدعاة .	بهي الخولي
٥٨	ـ الترغيب والترهيب .	المنذري
٥٩	ـ تركستان من الفتح العربي حتى الفتح المغولي .	بار تولد الروسي

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٦٠	ـ التصريح بما تواتر في نزول المسيح .	الكشميري ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة
٦١	ـ تطبيقات الرسول ﷺ للمنهج العقلي في الدعوة .	محمد بن عبد الله العثمان
٦٢	ـ التعريفات .	الجرجاني
٦٣	ـ تفسير الرازي .	الرازي
٦٤	ـ التفسير السياسي للإسلام .	أبو الحسن الندوي
٦٥	ـ تفسير القرآن العظيم .	ابن كثير
٦٦	ـ التكفير .	نعمان السامرائي
٦٧	ـ التمثيل حقيقة وحكماً .	بكر بن عبد الله أبو زيد
٦٨	ـ التمثيلية التلفازية واستخدامها في مجال الدعوة .	محمد حسن هادي
٦٩	ـ التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي .	ترجمة لأعمال مؤتمر تبشيري
٧٠	ـ جامع بيان العلم وفضله .	ابن عبد البر
٧١	ـ الجامع لأحكام القرآن .	القرطبي
٧٢	ـ جمع الفوائد .	محمد بن سليمان المغربي
٧٣	ـ جوامع السيرة .	ابن حزم
٧٤	ـ حاضر العالم الإسلامي .	شكيب أرسلان
٧٥	ـ حجية السنة .	عبد الغني عبد الخالق
٧٦	ـ حركة الجامعة الإسلامية .	أحمد فهد بركات الشوابكة
٧٧	ـ الحسبة في الإسلام .	ابن تيمية
٧٨	ـ حكم الإسلام في الصور والتصوير .	دندل جبر
٧٩	ـ حكم الإسلام في وسائل الإعلام .	عبد الله علوان

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٨٠	ـ الحكمة وأثرها في الدعوة إلى الله .	علي أحمد مشاعل
٨١	ـ حلية الأولياء .	أبو نعيم
٨٢	ـ حياة الصحابة .	محمد يوسف الكاندهلوي
٨٣	ـ خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم .	فتحي الدريني
٨٤	ـ خصائص الدعوة الإسلامية .	محمد أمين حسن
٨٥	ـ خصائص الشريعة الإسلامية .	عمر سليمان الأشقر
٨٦	ـ الخصائص العامة للإسلام .	يوسف القرضاوي
٨٧	ـ خصائص مدرسة النبوة .	كمال محمد عيسى
٨٨	ـ الخطط .	المقريزي
٨٩	ـ الخلفاء الراشدين .	عبد الوهاب النجار
٩٠	ـ درء تعارض العقل والنقل .	ابن تيمية
٩١	ـ دراسات قرآنية .	محمد قطب
٩٢	ـ دراسات في الاختلافات الفقهية .	محمد أبو الفتح البيانوني
٩٣	ـ الدروس الدعوية في السنن الفعلية في صحيح الإمام مسلم .	مرزوق بن سليم اليوبي
٩٤	ـ دعاة لا قضاة .	حسن الهضيبي
٩٥	ـ الدعوة الإسلامية .	أحمد غلوش
٩٦	ـ الدعوة الإسلامية .	محمد خير رمضان
٩٧	ـ الدعوة الإسلامية بين التنظيم الحكومي والتشريع الديني .	عبد الغفار عزيز
٩٨	ـ الدعوة الإسلامية والإنقاذ العالمي .	عبد الله علوان
٩٩	ـ الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الإفريقي .	علي الشيخ أحمد أبو بكر
١٠٠	ـ الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية .	محيي الدين الألوائي

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٠١	ـ الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ، والمدني .	رؤوف شلبي
١٠٢	ـ الدعوة إلى الإصلاح .	محمد الخضر حسين
١٠٣	ـ الدعوة إلى الإسلام وأركانها .	أحمد عز الدين البيانوني
١٠٤	ـ دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجاً وأسلوباً .	عبد الله الرحيلي
١٠٥	ـ الدعوة الإسلامية دعوة عالمية .	محمد الراوي
١٠٦	ـ دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام .	محمد العدوي
١٠٧	ـ الدين والعلم .	حسن هيتو
١٠٨	ـ رؤى على طريق الدعوة .	عبد القادر طاش
١٠٩	ـ رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر .	محمد قطب
١١٠	ـ الرد على المنطقيين .	ابن تيمية
١١١	ـ الرسالة .	الإمام الشافعي
١١٢	ـ الرسالة المحمدية .	السيد سليمان الندوي
١١٣	ـ رياض الصالحين .	النووي ، تحقيق رباح والدقاق
١١٤	ـ زاد المسير في علم التفسير .	ابن الجوزي
١١٥	ـ زاد المعاد .	ابن القيم
١١٦	ـ سبل السلام .	الصنعاني
١١٧	ـ سبيل الهدى والعمل .	أحمد عز الدين البيانوني
١١٨	ـ سراج الملوك .	الطرطوشي
١١٩	ـ سلسلة مجتمع الإيمان .	محمود فؤاد الطباخ
١٢٠	ـ سنن ابن ماجة .	ابن ماجة
١٢١	ـ سنن أبي داود .	أبو داود

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٢٢	ـ سنن الترمذي .	الترمذي
١٢٣	ـ سير أعلام النبلاء .	الذهبي
١٢٤	ـ سيرة ابن إسحاق .	ابن إسحاق
١٢٥	ـ السيرة النبوية .	ابن هشام
١٢٦	ـ السيرة النبوية .	ابن كثير
١٢٧	ـ شرح صحيح مسلم .	النووي
١٢٨	ـ شرح العقيدة الطحاوية .	لابن أبي العز الدمشقي ، تحقيق الأرناؤوط
١٢٩	ـ شرح مختصر ابن الحاجب .	العضد
١٣٠	ـ شرح مسلم الثبوت .	لابن عبد الشكور
١٣٠	ـ الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم .	يوسف القرضاوي
١٣٢	ـ صحيح ابن حبان .	ابن حبان
١٣٣	ـ صحيح البخاري .	الإمام البخاري
١٣٤	ـ صحيح مسلم .	الإمام مسلم
١٣٥	ـ صفات الداعية النفسية .	عبد الله علوان
١٣٦	ـ صفة الصفوة .	ابن الجوزي
١٣٧	ـ طرق الدعوة الإسلامية .	أحمد بن محمد العدناني
١٣٨	ـ ظاهرة فن التمثيل .	محمد عبد اللطيف فرفور
١٣٩	ـ العثمانيون في التاريخ والحضارة .	محمد حرب
١٤٠	ـ عدة الصابرين ، وذخيرة الشاكرين .	ابن القيم
١٤١	ـ العقائد .	حسن البنا

اسم المؤلف	اسم الكتاب	الرقم
أبو الطيب آبادي	عون المعبود شرح سنن أبي داود .	١٤٢ ـ
ابن سيد الناس	عيون الأثر .	١٤٣ ـ
السفاريني	غذاء الألباب .	١٤٤ ـ
النيسابوري	غرائب القرآن .	١٤٥ ـ
إمام الحرمين الجويني	الغياثي .	١٤٦ ـ
ملا علي القاري ، تحقيق : عبد الله رجب الفلنكاري	فتح الأسماع في شرح السماع .	١٤٧ ـ
ابن حجر ـ الطبعة السلفية	فتح الباري شرح صحيح البخاري .	١٤٨ ـ
البلاذري	فتوح البلدان .	١٤٩ ـ
ابن حزم	الفصل في الملل والنحل .	١٥٠ ـ
عمارة نجيب	فقه الدعوة والإعلام .	١٥١ ـ
الخطيب البغدادي	الفقيه والمتفقه .	١٥٢ ـ
الحجوي ، تحقيق عبد العزيز القاري	الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي .	١٥٣ ـ
المناوي	فيض القدير .	١٥٤ ـ
خالص جلبي	في النقد الذاتي .	١٥٥ ـ
الفيروز آبادي	القاموس المحيط .	١٥٦ ـ
ابن الجوزي	القصاص والمذكرين .	١٥٧ ـ
عبد الكريم الخطيب	القصص القرآني .	١٥٨ ـ
محمد بن حسن الزير	القصص في الحديث النبوي .	١٥٩ ـ
عبد الله الرحيلي	قواعد في أصول الحوار ورد الشبهات .	١٦٠ ـ
العجلوني	كشف الخفاء .	١٦١ ـ

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٦٢	ـ الكفر والمكفرات .	أحمد عز الدين البيانوني
١٦٣	ـ الكليات .	أبو البقاء
١٦٤	ـ كنز العمال .	المتقي الهندي
١٦٥	ـ كيف تلتقي الجماعات الإسلامية .	عدنان علي رضا النحوي
١٦٦	ـ لسان العرب .	ابن منظور
١٦٧	ـ لوامع الأنوار البهية .	السفاريني
١٦٨	ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .	أبو الحسن الندوي
١٦٩	ـ مباحث في إعجاز القرآن .	مصطفى مسلم
١٧٠	ـ المجتمع المدني في عهد النبوة .	أكرم ضياء العمري
١٧١	ـ مجمع الزوائد .	الهيثمي
١٧٢	ـ مجموعة العقائد .	أحمد عز الدين البيانوني
١٧٣	ـ مختصر سنن أبي داود .	المنذري
١٧٤	ـ مجموع فتاوى ابن تيمية .	ابن تيمية
١٧٥	ـ المستدرك على الصحيحين .	الحاكم أبو عبد الله
١٧٦	ـ المستصفى .	الغزالي
١٧٧	ـ المسرح الإسلامي	أحمد شوقي قاسم
١٧٨	ـ المسند .	أحمد بن حنبل
١٧٩	ـ مسند أبي يعلى .	أبو يعلى
١٨٠	ـ مشكلات الدعوة والداعية .	فتحي يكن
١٨١	ـ المصباح المنير .	الفيومي
١٨٢	ـ معالم التاريخ الإسلامي المعاصر .	أنور الجندي

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٨٣	ـ المعجم الكبير والأوسط .	الطبراني
١٨٤	ـ المعجم الوسيط .	الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٨٥	ـ معرفة علوم الحديث .	الحاكم أبو عبد الله
١٨٦	ـ مع الله .	محمد الغزالي
١٨٧	ـ المفردات في غريب القرآن .	الراغب الأصفهاني
١٨٨	ـ مقدمة العلوم والمناهج .	أنور الجندي
١٨٩	ـ مناقب عمر رضي الله عنه .	ابن الجوزي
١٩٠	ـ مناهج الجدل في القرآن الكريم .	زاهر عواض الألمعي
١٩١	ـ مناهل العرفان .	الزرقاني
١٩٢	ـ منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل .	ربيع بن هادي مدخلي
١٩٣	ـ منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله .	محمد سرور بن نايف زين العابدين
١٩٤	ـ المنهج الحركي للسيرة النبوية .	محمد منير الغضبان
١٩٥	ـ منهج الدعوة إلى الله .	أمين أحسن إصلاحي
١٩٦	ـ المنهج العلمي وأثره في الدعوة .	فكري السيد عوض
١٩٧	ـ منهج القرآن في مجادلة أهل الكتاب .	أحمد عبد الله السديس
١٩٨	ـ الموافقات .	الشاطبي
١٩٩	ـ الموسوعة الحركية .	فتحي يكن
٢٠٠	ـ الموطأ .	الإمام مالك
٢٠١	ـ النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم .	أبو الحسن الندوي

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٠٢	ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة .	الشيزري
٢٠٣	ـ النهاية في غريب الحديث .	ابن الأثير
٢٠٤	ـ هداية المرشدين .	علي محفوظ
٢٠٥	ـ هذه الدعوة ما طبيعتها ؟ .	عبد الله علوان
٢٠٦	ـ هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس .	ماجد عرسان الكيلاني
٢٠٧	ـ هكذا علمتني الحياة .	مصطفى السباعي
٢٠٨	ـ هل يعيد التاريخ نفسه .	محمد العبده
٢٠٩	ـ واقعنا المعاصر .	محمد قطب
٢١٠	ـ الوثائق السياسية في الصدر الأول .	جمع وتحقيق محمد حميد الله
٢١١	ـ وجوب تبليغ الدعوة .	عبد الله علوان
٢١٢	ـ وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع .	محمد أبو الفتح البيانوني
٢١٣	ـ وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة .	محمد موفق الغلاييني

* * *

٥ ـ فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة :	(٣ ـ ١٢)
قائمة بموضوعات الكتاب	١٠
التمهيـــد :	(١٣ ـ ٤٩)
تعريف علم الدعوة	١٤
تعريفات منوعة لعلم الدعوة	١٥
التعريف المختار لعلم الدعوة	١٩
مناقشة شبهة حول قصر الدعوة على التبليغ والبيان	١٩
نشأة علم الدعوة	٢٢
العلاقة بين علم الدعوة وبين العلوم الشرعية الأخرى	٢٥
مَثَلٌ مادي لكلٍ من المِلّة والشريعة والمنهج	٢٩
حكم الدعوة	٣١
التحقيق في الخلاف العلمي في حكم الدعوة	٣٣
موضوع علم الدعوة	٣٥
تحديد مصطلحات علم الدعوة	٣٨
مصطلح الدعوة	٤٠
مصطلح الداعي	٤٠
مصطلح المدعو	٤١
مصطلح المِلّة	٤٢
مصطلح الشريعة	٤٣
مصطلح المنهاج	٤٤

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
أصناف الكافرين	١٧٨
فائدة هذا التصنيف	١٨١
الركن الثالث : موضوع الدعوة	١٨٢
جوانب الإسلام العامة	١٨٣
خصائص الإسلام	١٨٤
مبادئ الإسلام الأساسية	١٨٥
الفصل الثالث : في مناهج الدعوة	(١٩٤ ـ ٢٤٠)
المبحث الأول : التعريف بالمناهج	١٩٥
أنواع المناهج الدعوية	١٩٥
أنواع المناهج الدعوية من حيث واضعُها	١٩٦
أنواع المناهج الدعوية من حيث موضوعُها	١٩٦
أنواع المناهج الدعوية من حيث طبيعتُها	١٩٧
أنواع المناهج الدعوية من حيث ركائزها	١٩٨
أهداف المناهج الدعوية	١٩٨
ضرورة تحديد أهداف الدعوة وملاحظات حولها	٢٠٢
المبحث الأول : التعريف بالمناهج الثلاثة من حيث الركائز	٢٠٤
تعريف المنهج العاطفي	٢٠٤
أبرز أساليبه	٢٠٤
مواطن استعمالاته	٢٠٦
من خصائصه	٢٠٧

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع : في أساليب الدعوة	(٢٤١ ـ ٢٨٠)
مقدمة بين يدي أساليب الدعوة	٢٤٢
المبحث الأول : أسلوب الحكمة	٢٤٤
تعريفه	٢٤٤
أهميته وفضله	٢٤٥
مظاهره	٢٤٧
مظاهر الحكمة في جانب المناهج الدعوية	٢٤٧
مظاهر الحكمة في جانب الأساليب الدعوية	٢٤٩
مظاهر الحكمة في جانب الوسائل الدعوية	٢٥٥
من خصائص أسلوب الحكمة	٢٥٦
المبحث الثاني : أسلوب الموعظة الحسنة	٢٥٨
تعريفه	٢٥٨
أهميته وفضله	٢٥٩
من خصائصه	٢٦١
المبحث الثالث : أسلوب المجادلة	٢٦٣
تعريفه	٢٦٣
أهميته	٢٦٥
من آداب الجدل والمناظرة	٢٦٦
من خصائص أسلوب الجدل	٢٦٧
المبحث الرابع : أسلوب القدوة الحسنة	٢٧١

الموضوع	الصفحة
	٢٩٨

الموضوع	الصفحة